الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر باتنة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية

قسم العلوم الانسانية

شعبة تاريخ

التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري (1844م/1912م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

تخصص تاريخ حديث ومعاصر

إعداد الطالب:

داود شريفي

تحت إشراف الأستاذة:

أ/د. حسينة حماميد

الاسم واللقب	لجنة المناقشة	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية
د.سليمان قريري	رئيسا	أستاذ محاضر – أ-	جامعة الحاج لخضر باتنة
أ.د. حسينة حماميد	مشرفا ومقررا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر باتنة
أ.د. ليلى تيتة	مناقشا	أستاذ محاضر – أ-	جامعة الحاج لخضر باتنة
د. السبتي غيلاني	مناقشا	أستاذ محاضر – أ-	جامعة الحاج لخضر باتنة

السنة الجامعية:2015-2016

الإهداء:

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا تخشع ومن نفس لا تشبع ومن عين لا تدمع ومن دعوة لا يستجاب لها . "أمين".

إلى ينبوع الصبر والتفاؤل والأمل . . . إلى من بها أكبر وعليها أعتمد . . .

إلى من كان دعائها سر نجاحي . . . وحنانها بلسم جراحي . . .

إلى زهرة حقل النساء . . . إلى القلب الناصع بالبياض . . .

إلى أمي الغالية سيدة النساء رحمها الله .

إلى قدوتي في الحياة . . . إلى مبدأ الأخلاق والقيم السامية، إلى سر الوجود

إلى من أحمل اسمه بكل فخر . . . إلى من علمني العطاء دون انتظار وافتخار . . .

إلى من ستبقى كلماته نجوما ، أهتدي بها اليوم وفي الغد والى الأبد . .

فلك مني يا والدي الغالي كل التقدير والاحترام

يا صاحب القلب الكبير أبي العزيز .

إلى سندي وقوتي وملاذي بعد الله، الى زوجتي وشريكة الدرب

إلى من تحمل اسمي ابني الغالي فادي .

الى كل اخوتي واخواتي حفظهم الله .

إلى كل الأصدقاء الذين من لم تسعهم هاته الورقة البيضاء

فأبقى قلبي أن تجعلهم ماكثين فيه

نازلين في رحابه، إلى كل هؤلاء أهدي هذا

الجهد البسيط كتعبير عن عرفاني وفائق أمنياتي .

شريفي داود

شكر وعرفان:

بالله نبدأ و به التمام وباسمه يفتتح الكلام.

إنا أول شكر نبدأ به لصاحب الفضل الأول والأخير، الهادي إلى سواء السبيل، المعين على كل عسير الله عز وجل

مصداقا لقوله تعالى (لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ).

إلى من بلغ الرسالة ... وأدى الأمانة ... ونصح الأمة ...

إلى نبي الرحمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

عرفانا منا بالجميل وإقرار بالفضل لابد لنا ونحن نخطو هذه الخطوة في الحياة الجامعية من وقفة نعود بها إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد لنبعث الأمة من جديد، وقبل أن نمضي نقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة.

إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة...

إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة إلى جميع أساتذتنا الأفاضل ونخص بالتقدير والشكر: أستاذتنا المشرفة "حسينة حاميد "التي كان الموجه والمرشدة في إعدادي لهذه المذكرة وتتبع خطوات هذا البحث خطوة بخطوة حتى استقر على هذه الصورة.

كما نتوجه بالشكر الى أعضاء لجنة الخبرة والمناقشة على إثراء هذا البحث بانتقاداتهم ملاحظاتهم القيمة، والتي زادتنا إصرارا على موصلة البحث

خطة البحث

خطة البحث:

الاهداء.

شكر وعرفان.

الخطة.

المقدمة.

الفصل الأول: جغرافية الصحراء الجزائرية وبدايات الاهتمام الأوروبي الاستعماري بها.

المبحث الأول: مميزات الوسط الطبيعي الصحراوي.

المبحث الثاني: الظاهرة الاستعمارية في الجزائر وبداية الاهتمام الأوروبي بالصحراء الجزائرية.

المبحث الثالث: التعمير الاستيطاني في الصحراء الجزائرية.

الفصل الثاني: التوسع العسكري الفرنسي في الصحراء الجزائرية (1844-1914).

المبحث الأول: التوغل في القسم الشرقي واهم المعارك فيه.

المبحث الثاني: التوغل في القسم الأوسط وأهم المعارك فيه.

المبحث الثالث: التوغل في القسم الغربي الجنوبي وأهم معاركه.

الفصل الثالث: التنظيم الاستعماري في الجنوب الجزائري.

المبحث الأول: التنظيم العسكري.

المبحث الثاني: التنظيم الإداري.

المبحث الثالث: التنظيم المالي.

المبحث الرابع: التنظيم الاجتماعي.

الفصل الرابع: ردود الفعل الشعبية من التوسع الفرنسي في الصحراء (المقاومات الشعبية
نموذجا)

المبحث الأول: مقاومة الزعاطشة (1848-1849).

المبحث الثاني: ثورة العامري (1876).

المبحث الثالث: مقاومة الشيخ بوعمامة (1881-1904).

الفصل الخامس: انعكاسات السياسة الاستعمارية على الجنوب الجزائري

المبحث الأول: النتائج الاقتصادية.

المبحث الثاني: النتائج الاجتماعية.

المبحث الثالث: النتائج البشرية والمادية.

الخاتمة.

الملاحق.

قائمة المصادر والمراجع.

فهرس الأعلام والأماكن.

فهرس المحتويات.

المقدمة

1- التعريف بموضوع البحث وأهميته :

إن احتلال فرنسا للجزائر قام أساسا على اختراع حادثة المروحة لتكون المبرر الرسمي عن احتلالها في 05 جويلية 1830. ولكن الهدف كان من أجل تحقيق طموحات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ودينية ولقد اعتبر القادة الفرنسيون بعد سقوط مدينة الجزائر أنهم سوف يخضعون بقية المناطق الأخرى في ظرف خمسة عشر يوما وهذا ما صرح به قائد الحملة " الجنرال دي بورمون عندما كتب إلى حكومته قائلا : (إن العرب ينظرون إلينا كمحررين وان الجزائر سوف تخضع لسلطتنا قبل خمسة عشر يوما) لكن الحكومة الفرنسية تفاجاءت بوجود مقاومة عنيفة مستبسلة من طرف الشعب الجزائري في كل منطقة تحاول فرنسا إخضاعها .

- وان التوغل والتمدد الاستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري "الصحراء" ما هو إلا حلقة من حلقات التوسع الاستعماري لا سيما أن هذه المنطقة كانت ولا زالت تحتل مكانة هامة وذات نفوذ كبير عبر التاريخ ويندرج اهتمام الفرنسيين بهذه المنطقة ضمن اهتمامهم العام بشمال وغرب القارة الإفريقية وإنشاء إمبراطورية استعمارية قوية
- وبدأ هذا الاهتمام أكثر منذ احتلال الشمال الجزائري من جهة وتحول الجنوب الجزائري إلى معاقل للثوار والمجاهدين الذين فشلوا في مقاومة قوات الاحتلال بالشمال بغية الاستعداد مرة ثانية للمقاومة خاصة بعد أحداث ثورة سكان واحة الزعاطشة ببسكرة وحركة الشريف محمد بن عبد الله بواحات الأغواط من جهة أخرى ويعتبر سقوط واحة الزعاطشة في يد السلطة الفرنسية يوم 24 سبتمبر 1849م بداية الدخول الفرنسي الفعلي في الصحراء بعد احتلال بسكرة عام 1844وبعد إخضاع منطقة الزيبان بوابة الصحراء سارعت السلطات الاستعمارية إلى استكمال مشروعها للتوسع نحو الصحراء الجزائرية والذي امتد لفترة طويلة نسبيا تجاوزت نصف قرن من التاريخ .

وحتى إن تجاوزت قليلا بعض الخطوات الأكاديمية والمنهجية في مقدمة هذا البحث من خلال بيان دوافع الاحتلال والتوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري ;

- فلقد استهوت خيرات الصحراء المستعمرين وأسالت لعابهم وأصبحت ركيزة أساسية في الإستراتجية المستقبلية للاستعمار الفرنسي ومن أجل أن تستكمل فرنسا تحقيق حلمها القديم الداعي إلى تكوين إمبراطورية استعمارية بدءا من شمال إفريقيا ومرورا بالصحراء الجزائرية إلى غرب القارة الإفريقية خاصة وأنه

كانت لفرنسا مستعمرات في إفريقيا الغربية لتجارة الرقيق في السنغال وغيره ومن بين دوافع هذا التوسع محاولة دراسة السكان والمكان وجمع مختلف المعلومات عن المنطقة خدمة للسياسة الاستعمارية التي انتهزتها فرنسا في ذلك الحين وهي السيطرة الكلية على الصحراء الجزائرية وعليه فان دراسة السكان قد استهدفت التغلغل إلى أعماق المجتمع الصحراوي لمعرفة مكوناته ونقاط ضعفه حتى يسهل للفرنسيين التحكم فيه من الداخل ولإبعاد أي مقاومة من شأنها عرقلة المشاريع الاستعمارية الفرنسية بالمنطقة . وعلى هذا الأساس عمل الفرنسيون على تقسيم الجزائريين بتشجيع الصراعات العرقية والطائفية تطبيقا لسياسة (فرق تسد) . وهكذا انطلقت سياسة التفريق بين الاعراش والعائلات .أما فيما يخص دراسة المكان (الجغرافيا) فكان من اجل معرفة المسالك والطرق والمواقع الإستراتيجية الضرورية لتمركز ومرابطة الوحدات العسكرية الفرنسية في المستقبل مع الاهتمام بمسالة التنقيب عن المياه وتحديد مواقعها قصد تموين أية بعثة استكشافية أو فرقة عسكرية تنوي العبور نحو الجنوب الأقصى الجزائري. ومن بين دوافع هذا التوسع الاستعماري في الجنوب محاولة تفكيك المجتمع الجزائري وتقسيمه وذلك بفصل الصحراء عن الشمال وتكوين كيان مستقل جديد يضم كل سكان الصحراء . ومنها يتم تفريغها من السكان وتجميعهم في ناحية حتى تسهل السيطرة عليهم سياسيا وعسكريا . والتخلص من المقاومة الآتية من الجنوب الجزائري ثم العمل على عزل الشمال عن الجنوب تمهيدا لمشروع الفصل بينهما لاحقا. كما ان هذا التوسع له دوافع عسكرية ومنها محاولة حصار ايالة تونس عسكريا واقتصاديا من ناحية الجنوب الشرقي بحكم التبادلات التجارية والعلاقات الاجتماعية بين منطقتي الجريد التونسي ووادي سوف في الجزائر ثم بعد ذلك التمهيد لابتلاع موريتانيا والذي تم عام 1920م من جهة أخرى ومنها تحقيق الحلم الذي طالما راود أذهان الفرنسيين وهو السيطرة على الشمال الإفريقي وكذلك احتواء الثورات الشعبية والحركات التحررية في مستعمرات فرنسا الإفريقية قصد جعل الصحراء الجزائرية القاعدة العسكرية التي تهون فرنسا في حالة أي اعتداء أجنبي والقاعدة السياسية التي تمارس منها فرنسا الضغوطات على مختلف الثورات في إفريقيا دون نسيان رغبة فرنسا في إخضاع الجنوب الجزائري كله حتى لا يكون مركزا لتجديد المقاومة في شمال الجزائر أو خزانا بشريا للمقاومة الشعبية إذ قررت السلطات الفرنسية القيام بإجراءات وعمليات توسعية سريعة وشديدة لتحكم قبضتها على الجنوب حتى تضمن بسط نفوذها على كامل التراب الوطني .

- السعي إلى تعزيز الوجود الاستعماري في الصحراء لذلك عملت السلطات الفرنسية بكل ما تملك من إمكانيات لإبعاد خطر منافسة بريطانيا في التوغل داخل الصحراء الجزائرية بعدما راج في ذلك العهد

محاولات التوسع الانجليزية والألمانية وحتى الاسبانية في الصحراء بغية تكوين إمبراطوريات وعليه لجأت السلطات الفرنسية إلى إبرام اتفاق فرنسي - انجليزي يوم 05 أوت 1890م يجعل كل أراضي الجنوب الجزائري مناطق نفوذ فرنسية .

- وفي إطار هذا التوسع لا يمكن أن نغفل دور الدوافع الاقتصادية في هذا المشروع التوسعي الاستعماري ومن ذلك الاستحواذ على الثروات الطبيعية والمعدنية والطاقوية وتحقيق استثمار صناعي إلى أبعد حدود في الصحراء الجزائرية خاصة وأن فرنسا كانت تدرك أنها متخلفة صناعيا عن منافستها بريطانيا في تلك الفترة وفي هذا الصدد يقول الاقتصادي الفرنسي "بول ليروي بوليو p. Leroy Beaulieu » الذي كان يحلم أن تصبح الصحراء الجزائرية مثل فرنسا أو مشابهة لشمال الجزائر إذ يقول " يتراءى لنا أن الصحراء الجزائرية على جانب كبير من الثروة المعدنية والمدخرات المنجمية المتنوعة "

- وكذلك استغلال الطرق التجارية الصحراوية للسيطرة على خيرات إفريقيا من جهة واستغلال الصحراء كسوق استهلاكية لمنتجات فرنسا من جهة أخرى وفي هذا الصدد يقول الماريشال سولت Soult والذي كان آنذاك وزيرا للحربية (إن الصحراء في هذه الفترة يمكن اعتبارها أهم مركز للبحث عن الأسواق التجارية الرابطة بين الصحراء والشمال الإفريقي من جهة والصحراء الجزائرية وإفريقيا السوداء من جهة ثانية) كما يصف التقرير الذي أرسله الوالي العام "بيجو Bugeau إلى المارشال سولت في نفس الاتجاه وفيه يقول :(..... وسيطرتنا على هذه المناطق تفتح لنا آفاقا واسعة لازدهار تجارتنا وربطها بإفريقيا الداخلية).

وهكذا وفي عام 1844م أصدر البرلمان الفرنسي قرارا يقضي بتقدم قواته نحو الجنوب وإنشاء مراكز عسكرية خاصة في المناطق الإستراتيجية الرئيسية تتحكم في مرور القوافل التجارية من جهة وتضمن لهم الأمن للمعمرين وتسمح لهم بالتصدي لمقاومة سكان الصحراء من جهة أخرى ومنه بسط نفوذه على الشريط الواقع ما وراء جبال الأطلس الصحراوي وتم احتلال ما بين 1844و1854 بسكرة والجلفة و الاغواط وعين الصفراء ثم ورقلة وتقرت ووادي سوف وما إن حلت سنة 1911م حتى تمكن الفرنسيين من الدخول إلى كامل الصحراء . إذا وانطلاقا من هذه المعطيات التاريخية حاولنا تقديم نظرة مختلفة من خلال دراسة تاريخية متواضعة وقع اختياري علي وبتوجيه من الأستاذة المشرفة فجاءت بعنوان **التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري ما بين1844و1912** فهذا الموضوع يعالج الجانب التاريخي لعملية التوغل و التوسع الاستعماري في الصحراء الجزائرية منذ سقوط مدينة بسكرة سنة 1844م وحتى استكمال مشروع التوغل عام 1912م وما قابل ذلك من مقاومة شعبية عنيفة وصمود

قوي من طرف السكان الصحراويين أينما حلت القوات الاستعمارية كما أننا سلطنا الأضواء أكثر حول عملية تثبيت فرنسا لوجودها في الجنوب الجزائري بعد التوغل العسكري بإنشاء أنظمة إدارية واقتصادية واجتماعية في الجنوب وما صاحبه من آثار ونتائج على الساكنة هناك إذ استلزم هذا العمل استنباط واستخراج كل ماله علاقة بالتاريخ الاستعماري في المنطقة

2- أسباب ودوافع اختيار الموضوع :

هذا البحث جاء نتيجة مجموعة من الدوافع والأسباب التي أقنعتني بتناول هذا الموضوع ويمكن تلخيصها فيما يلي ؛

.الميول الشخصي لدراسة جانب مهم من تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر المتمثل في التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية وما تبعه من نتائج

-اطلاعي على بعض الكتابات التاريخية حول الموضوع من خلال المصادر والمراجع في مرحلتي التدرج وما بعد التدرج والتي وجدت فيها بعض المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع

-محاولة إزالة بعض الغموض والنقص الذي يميز الدراسات في هذا الجانب ومزاحمة الأبحاث التي تطرقت له ولو من زاوية أخرى .

-تشجيع الأستاذة المشرفة على تناول هذا الموضوع، وجهدها المتواصل لي على محاولة استكمال بعض الحلقات الهامة في هذا الموضوع

-محاولة وضع صورة تاريخية وأكاديمية لوضعية الصحراء الجزائرية إبان الفترة الاستعمارية وحال سكانها آنذاك وما مدى تأثيرهم بالسياسات الاستعمارية المختلفة بهم

3- الدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع

تجدر الإشارة إلى أن هناك دراسات تاريخية هامة لا يمكن للباحث في مجال هذا الموضوع تجاوزها منها ؛- رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر للأستاذ "مياسي إبراهيم " رحمه الله بعنوان (توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1837-1934) من معهد التاريخ لجامعة الجزائر العاصمة 1987-1988

- وأيضا ماكتبه الدكتور اعميراوي احميدة وآخرون حول الموضوع بعنوان (السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844_1916) منشورات مخبر الدراسات الأدبية والإنسانية بكلية الأدب والعلوم الإنسانية جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة .

- وأيضا كتابات للأستاذ محمد الطاهر عدواني في مجلة الأصالة عدد 72 بعنوان (اهتمام فرنسا بمنطقة الهقار والتوسع فيها) وما كتبه كذلك في مجلة الثقافة العدد 57 -58 ماي –جوان 1980بعنوان (اهتمامات الفرنسيين بالجنوب الجزائري والصحراء).

- ورسالة ماجستير مقدمة من طرف الطالبة "مبخوت بوداوية "من جامعة قسنطينة تحت عنوان (مقاومة أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الغربي الجزائري) سنة 1998 .

- كما أنه للدكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله كتابات حول هذا الموضوع خاصة في كتاب أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر

والملاحظ أن كل الكتابات السابقة حول هذا الموضوع هي كتابات فرنسية نظرا لوجود الأرشيف التاريخي والعسكري للمنطقة في فرنسا واغلبها تعود إلى أساتذة أكاديميين او ضباط عسكريين تتمثل أساسا في مذكرات وملاحظات ومدونات لضباط او مؤرخين من أبرزهم كتاب الجنرال مينييه meynier بعنوان (هدوء الصحراء والتوغل الصحراوي 1930/1852) .

- كتاب تييون tillon بعنوان (غزو الواحات الصحراوية 1900-1901) والذي ركز فيه على التوسع الاستعماري الفرنسي في إقليم توات وخاصة مقاطعة تيديكلت

- كتاب الأستاذ أوغستان برنارد augustin bernard بالاشتراك مع الضابط لاكروا lacroix بعنوان (التوغل الصحراوي 1830-1906)وهو عبارة عن دراسة مركزة حول البعثات الاستكشافية الفرنسية للصحراء منذ احتلال الجزائر إلى نهاية القرن 19م .

-- كما كتب قوتييه gautier (غزو الصحراء)والذي وضح فيه أهمية الصحراء الجزائرية ودورها في ربط ا لمستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا حيث ركز على أحداث الفترة المحصورة ما بين 1903-1905 أين عاش فيها وتابع فيها عمليات التوغل في واحات الجنوب الغربي .

- ما كتبه الأستاذ فيكتور دانقل v. dangles بعنوان (الاستعمار في القطاع الوهراني من 1889-1904) والتي نشرها في مقالات خاصة في نشرة الجمعية الجغرافية بوهران عام 1952.

4-إشكالية البحث

تتمحور إشكالية البحث الرئيسية لموضوع البحث في معرفة بعض التفاصيل في عملية التمدد الاستعماري في الجنوب الجزائري وتتبع حركة الاحتلال في هذا الجزء الكبير من الجزائر مبرزا الصعوبات التي أفضت إلى إطالة عملية التوسع الاستعماري وأيضا أثر هذا التوسع الاستعماري وأيضا أثر هذا التوسع على سكان الجنوب الجزائري ولحل هذه الإشكالية كان لابد أن نعزز ذلك من خلال الإجابة على التساؤلات التالية ;

-إلى أي مدى أغرى الجانب الطبيعي والجغرافي السلطات الاستعمارية الفرنسية في اتخاذ قرار بالتمدد نحو الجنوب .

-وهل كان هذا التمدد نتاج تنافس محتدم بين القوى الاستعمارية على الصحراء

-والسؤال الأخر المطروح هو هل كان توسع وتوغل فرنسا في الجهات المختلفة في الصحراء نابعا من تخطيط وإستراتجية مسبقة أم أملته ظروف خاصة من بينها تتبع المقاومين ومحاولة إنهاء الثورات الشعبية المتتالية وأخيرا كيف كان للتوسع الفرنسي في الصحراء اثر على حياة ومعيشة السكان هناك وانعكاس على التركيبة الديمغرافية للمجتمع الصحراوي .

5- منهج الدراسة

هذا وقد اتبعت في دراسة موضوع البحث المنهج الوصفي التاريخي للوصول إلى الحقيقة التاريخية . ومن ثم بناء مسار الأحداث حسب الكرونولوجيا التاريخية مع مراعاة الموضوعية العلمية في تفسير أهم النصوص والمادة الخبرية التي اطلعت عليها .

6- الإطار الزماني والمكاني للبحث

بخصوص الإطار الزماني لموضوع البحث يتضح لنا من خلال العنوان أنه ينحصر في الفترة ما بين 1844م إلى 1912م أي ما بين عملية الاحتلال الفرنسي لمدينة بسكرة في أقصى شمال الصحراء الشرقية إلى غاية استكمال احتلال مناطق أقصى الجنوب الجزائري كتمنراست وجانت وبرج باجي مختار أما الإطار المكاني فيشمل جغرافيا الجنوب الجزائري وبالتحديد من وراء السفوح الجنوبية لسلسلة الأطلس الصحراوي شمالا إلى حدود مالي والنيجر جنوبا ومن الحدود الليبية شرقا إلى حدود المغرب وموريتانيا غربا .

7- هيكل الدراسة:

تضمن هيكل الدراسة مقدمة وأربع فصول وخاتمة، ففي **الفصل الأول** والذي جاء بعنوان (**جغرافية الصحراء الجزائرية وبدايات الاهتمام الأوروبي الاستعماري بها**)، عالجت فيه الجانب الجغرافي والطبيعي للصحراء الجزائرية، وأبرزت مؤهلاته المختلفة وعلاقته بحياة السكان في الجنوب كما طرحت فيه في شق آخر البدايات الأولى للاهتمام الأوروبي عامة والفرنسي خاصة بالصحراء الجزائرية.

أما **الفصل الثاني** والموسوم بعنوان (**التوسع العسكري الفرنسي في الصحراء الجزائرية 1844-1912**) فقد عالجت فيه مسار التمدد والتوغل الاستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري وكيفية إخضاع فرنسا لمناطق الصحراء المختلفة سواء القسم الأوسط أو الجزء الشرقي أو القسم الجنوبي الغربي، مبينا فيه كذلك أبرز المعارك والمقاومات الشعبية لهذا التوغل.

أما **الفصل الثالث** والذي عنونته بـ (**التنظيم الاستعماري في الجنوب الجزائري**)، فقد تضمن دراسة تحليلية وفي بعض الأحيان إحصائية للهيكلة والتنظيم الاستعماري المنتهج في الجنوب الجزائري في جانبه العسكري والإداري والمالي والاجتماعي.

أما **الفصل الرابع** فتطرقت فيه إلى إبراز (**ردود الفعل الشعبية ضد السياسة الاستعمارية في الجنوب**) وطرحت فيه نماذج من المقاومات الشعبية.

أما **الفصل الخامس** والأخير وعنوانه (**انعكاسات السياسة الاستعمارية في الجنوب الجزائري**)، يلخص لنا أهم آثار ونتائج عملية التوسع الاستعماري في الصحراء الجزائرية.

وأنهيت دراستي هذه بخاتمة ضمنتها أهم النتائج المتوصل إليها.

8- أهم المصادر المعتمدة في هذه الدراسة:

8-1 كتب الرحلات:

- الحشائشي (الشيخ محمد بن عثمان)،(الرحلات الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق)، قدم لها وعلق عليها وراجع ترجمتها للعربية محمد المرزوقي، تونس، الدار التونسية للنشر 1988.
- ابن هطال التلمساني (أحمد)، رحلة محمد الكبير (باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري)، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، القاهرة، عالم الكتب 1969م.

8-2 الدراسات

- بلغيث محمد الأمين – تاريخ الجزائر المعاصر (نماذج من سياسة فرنسا للتوغل في الجنوب الغربي الجزائري وبلاد السنغال من خلال فتوى قورارة 22 جوان 1893م)الجزائر – بيروت – دار البلاغ – دار ابن كثير 2001م .

- مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة ترجمة محمد العربي الزبيري الطبعة الثانية الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981.

- مذكرات الأمير عبد القادر تحقيق د. محمد الصغير بناني وآخرون الطبعة الثانية الجزائر دار الأمة 1898م .

-الوزان أبو الحسن محمد الزناتي (وصف إفريقيا) ترجمة من الايطالية إلى الفرنسية ترجمة جديدة "الجنرال أبيولار وترجمة من هذه الترجمة الفرنسية إلى العربية الدكتور عبد الرحمن حميد .ط2 .بيروت 1983م .

8-3 . *المقالات*

- بوعزيز يحيى .(طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الاوروبيون خلال القرن التاسع عشر) مجلة الثقافة عدد 59 الجزائر 1989 .

- المدني أحمد توفيق (رسائل جديدة بين أحمد باي قسنطينة والباب العالي العثماني قبل وبعد سقوط قسنطينة) مجلة التاريخ الجزائر رقم 6 (1978م) .

- بوبكر سي حمزة (.بداية الحرب بجنوب وهران ضد فرنسا 1864_1900) حسب الرواية العربية المجلة التاريخية المغربية –تونس- أرشيف ولاية قسنطينة .

8-4 مصادر اجنبية

-Bernard augustin et Lacroix(la peneration saharienne1830-1906) Alger Imper Algérienne 1906.

-Bezy (le citoyen) Insurrection du sud oronaisy- Oran- collet 1884.

-A casset(dans le sud oranais souvenir d'un mèdecin militaire) (ED.1913) Libraire médicaux Paris . 1911.

---

henry de la croix castrés Questions Saharienne et trenssahirennes (ED.1902) Libraire Africaine et coloniale paris 1902.

9- صعوبات البحث

أما عن الصعوبات في الحقيقة ما يعترض طريق الباحث من عقبات هي جزء من البحث وعوائق لا بد من اجتيازها وإلا لماذا يسمى البحث بحثا لولا أنه جهد متواصل لحل إشكاليات اعتمادا على فرضيات مسبقة تحتاج إلى تعميق وتأكيد غير أنني أفضل أن أذكر في هذا المقام بعض الصعوبات التي اعترضتني على سبيل تحفيز الدارسين والمهتمين بالدراسات المعمقة بتاريخ الجزائر الحديث والمعاصر وخاصة ما تعلق بموضوع الدراسة (التوسع الفرنسي الاستعماري في الجنوب الجزائري) فالمشكلة الأولى تتمثل في ضيق المدة الزمنية لإعداد وإخراج هذا البحث في صورته الحالية والمشكلة الثانية التي واجهتها هي صعوبة ما تتميز به كتب الرحلات عامة والتي لا توحي للقارئ بطبيعة المحتوى ما فرض على قراءتها حرفيا من البداية إلى خاتمة الكتاب للحصول على بعض النصوص التي احتاجها في عملية استخراج الحقائق والمعلومات التاريخية وصعوبة التعامل مع المادة الخبرية التي توفرها كتب هذه الرحلات خاصة في ظل غياب الإطار الزماني من أغلبها .

ومن أبرز الصعوبات التي واجهتني في إعداد هذا البحث هي قلة المصادر المكتوبة باللغة العربية سواء الجزائرية والمغاربية والتي تعالج هذا الموضوع إذ أن جل المصادر هي فرنسية وهذا ما يصعب علينا جمع المعلومات والحقائق التاريخية من جهتين مختلفتين فكل ما كتبه المعاصرون للتوسع الاستعماري في الجنوب الجزائري هي شهادات ومذكرات تاريخية فرنسية لضباط أو مستكشفين أو مؤرخين وها ما استلزم مني جهدا إضافيا مع الدقة في الترجمة واستخراج المادة العلمية وتنظيمها موضوعيا لكن هذه العقبات جعلتني أتحدى كل الظروف وبتوفيق من الله عز وجل وجهد كبير من الأستاذة المشرفة الدكتورة (**حسينة حماميد**) أتممت هذا البحث والذي أتمنى من خلاله أن يكون سندا لملئ زاوية من زوايا تاريخ الجزائر في العهد الاستعماري .ومن خلال كل هذا أقدم شكري لأعضاء لجنة الخبرة والمناقشة الذين بذلوا مجهودات كبيرة وتحملوا متاعب قراءة هذه المذكرة وتسجيل ملاحظاتهم حولها ثم مناقشتها وأنا بطبيعة الحال إن شاء الله آذان صاغية لهم لسماع تلك الملاحظات وتسجيلها وأخذها بمثابة توصيات هامة للاستفادة منها في المستقبل .

الفصل الأول

جغرافية الصحراء الجزائرية

وبدايات الاهتمام الأوروبي الاستعماري بها.

المبحث الأول: مميزات الوسط الطبيعي الصحراوي.

المبحث الثاني: الظاهرة الاستعمارية في الجزائر وبداية الاهتمام الأوروبي بالصحراء الجزائرية.

المبحث الثالث: التعمير الاستيطاني في الصحراء الجزائرية.

- في هذا الفصل الأول سنتطرق إلى جوانب من جغرافية الصحراء في الأخص الجانب الطبيعي من تضاريس ومناخ وأيضا في بعض الجانب البشري والحياة الاجتماعية لسكان الصحراء وقد اعتمدنا في إعداد هذه الدراسة على كتاب جغرافية الجزائر (طبيعية .بشرية.اقتصادية) للأستاذ "عبد القادر حليمي" وأيضا كتاب " الصحراء الكبرى وشواطئها " للدكتور إسماعيل العربي, وفي الشق الأول من هذا الفصل قمنا بربط العلاقة بين الوسطين الطبيعي والبشري في الصحراء الجزائرية ومحاولة شرح مدى التأثير بينهما.
- أما في الشق الثاني لهذا الفصل فخصصناه لدراسة أهم الرحلات الاستكشافية الأوروبية للصحراء الجزائرية وبداية الاهتمام الفرنسي بالجنوب الجزائري محاولين إبراز أهمية وأثر تلك الاستكشافات في وضع ورسم صورة الصحراء الحقيقية بمختلف مجالاتها للأوربيين عموما والفرنسيين خصوصا .

المبحث الأول: مميزات الوسط الطبيعي الصحراوي.

1-حدود إقليم الصحراء:

يعد الجنوب الجزائري جزءا من الصحراء الكبرى الإفريقية التي تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا، ومن جبال الأطلس شمالا إلى بلدان الساحل جنوبا. وتغطي الصحراء الكبرى مساح ثمانية ملايين كلم. يشترك فيها كل من جنوب المغرب والجزائر وتونس وليبيا وشمال مصر وغرب موريطانيا ومالي والنيجر والتشاد وجنوب السودان[1].

أما مساحة الصحراء الجزائري فتبلغ 1987600كلم[2]، وبذلك تحتل مساحة واسع تجاوزت نسبتها 90% من مساحة القطر الجزائري.

والصحراء ف تركيبها الجغرافي أبسط من المناطق التلية[2]، إذ لا نجد بها الجبال المتقطعة، ولا المرتفعات المعقدة، ولا السهول الضيقة المحصورة، ولا الإلتوءات الحديثة، ولكن نجد السهول التحاتية الواسعة، والأحواض المغلقة، والجبال بحافاتها الشديدة الانحدار، والعروق الرملية المتنقلة[3].

2-التضاريس:

يتميز سطح الصحراء ببنية تضاريسية بسيطة ومتنوعة في أشكالها المورفولوجية والتي تبرز في الوحدات الأربع الأساسية الآتية:

الصحراء المنخفضة:

تتمركز الصحراء المنخفضة في الجزء الشمالي الشرقي وتتميز بمنخفض يقل بـ31مترا عن مستوى سطح البحر، بينما الأراضي المجاورة لا يزيد سطحها على ارتفاع مائتي مترا. ولهذه الأراضي أهمية اقتصادية تتمثل في انتشار الواحات، منها واحات الزيبان شمالا، وواحات وادي سوف، ووادي ريغ جنوبا كما أنها تزخر بكميات معتبرة من المياه الجوفية والبترول.

---

1) Dictionnaire universel des noms properes, le petit Robert, Paris. 1981.P.1617.

2) ينظر خريطة رقم 1.

3) عبد القادر حليمي: جغرافية الجزائر طبيعية، اقتصادي، ط1968، ص56.

السهول الرملية:

تحتل مساحات واسعة من الصحراء وتتمثل في العرق الشرقي الكبير والعرق الغربي الكبير، إلى جانب عروق أخرى ثانوية كعرق الشاش وايقدي والراوي وغيرها. كذلك تتمثل في تضاريس الرق وهي صحراء حصوية تكاد تكون خالية من مظاهر الحياة مثل رق تانزوفت.

الهضاب الصحراوية:

وهي في معظمها ذات تكوينات صخرية جبرية، ومنها هضبة الحمادة التي تمتد في الجزء الشمالي من الصحراء إلى الجنوب من السلسلة الأطلسية، وهضبة تادميت الكريتاسية الفسيحة والممتدة في وسط الصحراء بين دائرتي عرض27° و30° شمالا، وترتفع إلى علو يناهز 600متر، وقد غطتها على امتداد مئات الكيلومترات من الشمال إلى الجنوب طبقة من اللوم الأحمر القديم، ويعلوها غطاء صحراوي حديث أثرت فيه إلى حد كبير الرياح وإن كانت تدفقات السيول قد شاركت في تكوينه.

المرتفعات القديمة:

تتمركز في الوسط بالجنوب الشرقي وتمثلها منطقة التاسيلي، ومنطقة الهقار. فالأولى عبارة عن صخور من صلصال الرمل شاهقة ومتقطعة، أصبحت تعد من أهم سجلات التراث الإنساني في العالم بعد العثور بها على أقدم الرسومات المعبرة عن حياة ومناخ المنطقة في القدم.

أما الثانية فهي مرتفعات واسعة المساحة حوالي5000 كلم معظمها من الصخور القديمة البركانية التي تعرضت إلى عملية الحت، ورغم ذلك لا تزال بها قمم عالية تقارب3000مترا، كقمة تاهات التي تبلغ2918متر وهي أعلى قمة جبلية في الجزائر[1].

3-المناخ:

لقد كان للوضع الجغرافي انعكاس مباشرا على مناخ الصحراء، حيث يسودها مناخ قاري قارس في فصل الصيف حيث ترتفع درجة الحرارة إلى +50° في الظل، وقد تصل بمدينة أدرار أو عين صالح إلى+45°، كما تنخفض في الشتاء إلى درجة الصفر، وبهذا يكون المدى الحراري السنوي كبيرا جدا

[1]) جيلاني صاري: دور البيئة في الجزائر، ط1، الجزائر، 1983، ص18-20.

بالإضافة إلى ذلك تتعرض الصحراء إلى هبوب رياح جافة وفي بعض الأحيان متميزة بعواصف هوجاء من الرمال تعرقل جميع أنواع النشاط البشري.

وتتميز بندرة الأمطار وعدم انتظامها حيث لا يزيد متوسطها السنوي عن 200ملم. وترتفع على الهوامش الشمالية وقمم المرتفعات ما بين50-200ملم[1]، وتتراجع إلى ما دون 50ملم في باقي المناطق، وتعود ظاهرة الجفاف في الصحراء إلى كونها تقع في المنطقة المدارية التي تهب عليها الرياح القادمة من خط الاستواء، وبالتالي فهي منطقة ضغط مرتفع ومصدر للرياح التجارية التي تهب من الصحراء نحو المناطق الاستوائية، وهي رياح جافة ولا تسبب نزول الأمطار لأنها تتحرك على سطح يابس.

تقع الصحراء بين الإقليم السوداني في الجنوب والإستبسي في الشمال، فشمال الصحراء تتسلل إليه الرياح الغربية والشمالية الغربية في فصل الشتاء فتسقط الأمطار على الهوامش الشمالية أما الجنوب فأمطاره ترتبط بأمطار المنطقة المدارية التي تتميز بفصلين متباينين، هما الصيف الممطر والشتاء الجاف.

وبذلك نجد أن للمطر الصحراوي فترتين إحداهما تبتدئ من شهر نوفمبر إلى غاية شهر جانفي عندما تهب الرياح الشمالية الغربية الممطرة على الهوامش الشمالية، أما الثانية فتبتدئ من شهر ماي إلى شهر سبتمبر وذلك عندما تهب الرياح الموسمية على الهوامش الجنوبية.

إذن فظاهرة الجفاف السائدة في الصحراء تعود إلى الارتفاع الكبير لدرجات الحرارة مقارنة مع النقص في تساقط الأمطار، وهذا ما يوضحه مخطط قوسن(العلاقة بين الحرارة والأمطار) لمحطة تامنغست التي تمثل نظام مناخ المناطق الجنوبية، إذ نجد الفارق كبيرا بين الأمطار والحرارة، الأمر الذي يكون هو سبب تمديد فصل الجفاف.

فالحرارة تبدأ في الارتفاع منذ الشهر الثلث لتصل إلى أقصاها في الشهر السابع والثامن متجاوزة30° كمتوسط، ثم تبدأ في التراجع إلى حدود 15°، بينما الأمطار قليلة ما عدا في الفترة الممتدة ما بين ماي إلى سبتمبر حيث يتراوح المتوسط المطري ما بين50-120ملم.

---

[1]) خريطة رقم 2.

ومحطة بسكرة التي تمثل نظام مناخ المناطق الشمالية للصحراء تزداد فيها كمية الأمطار في فصل الشتاء بين شهر أكتوبر وشهر أفريل لتقل في فصل الصيف خاصة في ماي، جوان،وجويلية وأوت، في المقابل ترتفع درجات الحرارة ما بين مارس وأكتوبر ليتسع فيها الجفاف، في حين تكون فترة الرطوبة ما بين نوفمبر إلى مارس حيث تزداد الأمطار وتقل الحرارة.

وكان لهذا المناخ دور كبير في سير الأحداث التاريخية وفي السياسة الفرنسية التي كانت تختلف عما عرفه الشمال من أحداث تاريخية.

4-الأودية والموارد المائية:

شبكة الأودية:

تنبع الأودية الصحراوية من الأطلس الصحراوي وتصب أحيانا في الشطوط وأحيانا تختفي في وسط الرمال، ليس لها جوانب مضبوطة ولا حدود معينة، فهي عديمة الانتظام وفجائية الفيضان.

وتنقسم الأودية الصحراوية حسب مناطق منابعها إلى أودية السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي، وأودية الهقار. فأما الأولى فتسير على طول السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الصحراوي وتغوص مياهها في الرمال لتظهر مرة أخرى في شكل عيون فيضية أو آبار ارتوازية قامت عليها واحات النخيل في إقليم بني مزاب في الهوامش الشمالية. ومن أهم هذه الأودية: وادي جدى وادي، وادي الطويل، وادي العرب ووادي الأبيض وكلهم يصبون في منخفض ملغيغ وهو شط واسع الأرجاء تحيط به الكثبان الرملية وتظهر على حوافه النباتات الصحراوية المتنوعة، وتغمره المياه في فصل الشتاء، بالإضافة إلى ذلك نجد أودية الجهة الجنوبية الغربية مثل وادي زرقون، وادي سوقر، وادي الناموس ووادي الساورة.أما الأودية المنحدرة من جبال الهقار فتظهر في شكل شبكة منحدرة في عدة اتجاهات أهمها: وادي تافاساست الذي يربط الهقار ودولة النيجر[1].

[1]) عبد القادر حليمي: مرجع سابق، ص88.

تتوفر الصحراء على موارد مائية معتبرة لا سيما في الجزء الأكبر من باطنها، والأكثر أهمية هي الاحتياطات المائية الكامنة في الأحواض الثنائية والثلاثية الشاسعة والممتدة بين الكتل الجبلية[1] .

ومن بينها الحوض الترسيبي للصحراء المنخفضة في الركن الشمالي الشرقي الذي يختزن كميات هائلة من المياه قدرت بحوالي 60000مليار متر مكعب، ويتألف من سمطين مركبين، الأول ارتوازي سطحي متحدد يعرف بالقاري النهائي « continental terminal »والمتمركز في وادي ريغ، ويتغذى من السيول الصحراوية الممتدة على طول الحواف الصخرية المحيطة بالعرق الشرقي.

أما الثاني فهو القاري المتداخل « continental intercalaire » والمتواجد في أعماق سحيقة تتراوح ما بين800-1500متر ويتزود من السيول الحاصلة على الأطلس الصحراوي والهضاب العليا[2].

وقد وظف الاستعمار الاستيطاني وسيلة الماء في كسب صفوف جزائرية، من ذلك ما حدث حين أقدمت السلطة الفرنسية على حفر الآبار في أول ماي1856بأمر من علي بن فرحات قائد توقورت، وبمساعدة الجنرال ديفو وتحت إدارة المهندس (jus)وتم استخراج الماء من عمق 60متر، الأمر الذي ولد فرحة عمت السكان وقيل شعر بهذه المناسبة ترجمه فيرو إلى اللغة الفرنسية بهذه الصيغة:

Je vous annonce des choses merveilleuses

L'eau a jailli du sein des sables

Dieu a donné l'eau au sahara

Par l'intermédiaire de celui qui gouverne actuellement

وقال الفرنسيون إنه باكتشاف الماء تكون البداية القوية لإقامة إدارة فرنسية بالصحراء بدايتها ورقلة ذات الصلة ببسكرة، وستكون ورقلة سوقا تجارية هامة للأوروبيين والعرب والميزابيين والسود. وكان عدد النخيل بالصحراء من بسكرة إلى ورقلة، الذي كان198008نخلة تنتج ما قيمته30244470 كلغ. وكان سعر

---

[1]) خريطة رقم 5.

[2]) Cote Marc : l'espace algérien.o.p.u.1983.p245.

الكلغ بـ0.35 فرنك. وكان محصول الحبوب من شعير وقمح بـ814820 كلغ. وكان عدد الآبار5262 بئر. وكان بتوقورت ووادي ريغ2878 منزل و90000 شجرة مثمرة[1].

بالإضافة إلى ذلك تأتي المياه السطحية بفضل مجاري المياه المنحدرة من الأطلس الصحراوي والنظام النهري لكل من الأودية الآتية: وادي قير، وادي الساورة، وادي الأبيض بنواحي بسكرة ووادي مزي بناحية الأغواط[2].

5-الغطاء النباتي:

لقد كان لظروف المناخ في الصحراء انعكاس مباشر على الحياة النباتية التي تتميز بالضآلة وتحملها للجفاف والحرارة المرتفعة والبرودة الشديدة، في الوقت نفسه يوجد في الصحراء الجزائرية حوالي500 نوع من النباتات التي هي على العموم قصيرة وسميكة.

بالإضافة إلى ثروة حيوانية تتكون من الغزلان وذئاب الرمال ومجموعات من الجرذان والأفاعي والزواحف المتنوعة والطيور[3].

[1]) عميراوي احميده، محاضرات في تاريخ الجزائر، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة 1999، ص184-199.

[2]) المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثور أول نوفمبر 1954: فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، سلسل الملتقيات، ص30.

[3]) Grande encyclopédie.tome XXIX,, Paris.P.66.

المبحث الثاني: الظاهرة الاستعمارية في الجزائر وبداية الاهتمام الأوروبي بالصحراء الجزائرية.

1-الظاهرة الاستعمارية في الجزائر:

في تاريخ الصحراء الجزائرية أحداث كثيرة بكثرة رمالها. ومن أهم مراحل هذا التاريخ مرحلة التوسع الاستعماري الفرنسي. لأن السياسة الفرنسية في الصحراء منذ بدايتها غلى نهايتها كانت تهدف إلى فصل الجنوب الجزائري عن الشمال، وإخضاعه إلى نظام إداري عسكري متميز بهدف التوسع في إفريقيا جنوبا، ومنافسة الدول الأوروبية بتكوين مواطن نفوذ لها.

ونلمس هذه السياسة في ما اتبعته فرنسا من حملات عسكرية وجهتها إلى أنحاء البلاد بما فيها الصحراء الجزائرية. وفي ما قامت به من ملاحقات اعتقال ونفي وسجن في حق من عارض هذه السياسة.

وكان اهتمام الفرنسيين بالصحراء ضمن الاهتمام الأوروبي بها، ويعتبر سقوط واحة الزعاطشة في يد السلطة الفرنسية إثر الحملة العسكرية يوم24سبتمبر عام1849 بداية الدخول الفرنسي القوي إلى الصحراء، بعد احتلال باتنة وبسكرة عام1844[1].

وبجانب هذه الحملات العسكرية كان الاهتمام العلمي الاستكشافي الفرنسي هو الآخر كبيرا بالصحراء. والسؤال الذي يمكن طرحه هو ما هي أبعاد الاستعمار الأوروبي في الجزائر عامة، وفي الجنوب الجزائري خاصة؟

من المتعارف عليه أن للاستعمار أشكالا جرت العادة على تصنيف بعضها بالاستعمار التقليدي الذي قام على استغلال الثروة المعدنية والبشرية من دون الاستيلاء على الأرض. والاستعمار الاستيطاني الذي قام على استغلال الأرض وعلى تحقيق ثلاثة أمور هي:

- تكريس نفوذ الدولة الأم المستعمرة.
- الاحتلال العسكري الواسع في البلاد التي لتي تم احتلالها.
- الهجرة الاستيطانية الأوروبية إلى البلاد التي تم احتلالها.

[1] كانت الحملة بقيادة سان جرمان، و كان عدد القتلى من الفرنسيين 164 منهم 9 ضباط و عدد الجرحى 671 و في الصف الجزائر عدد كبير.

وقد عرف العالم العربي بما فيه الجزائر كل هذه الأشكال الاستعمارية. إذ أنه من الناحية التاريخية كرس الاستعمار مفهوما تمثل في عدم الاعتراف بالدولة القائمة قبل احتلالها. واعتبر نفسه قوة قاهرة حلت محل "قوة" ضعيفة، أي أن الاستعمار يكون بهذا الأسلوب لم يعترف بالقانون الدولي ولا بالمنطق، إنما عمل على تكريس منطق مخالف قام على مصادرة حقوق الشعوب وبخاصة الإفريقية منها. ومثلت منطقة الصحراء منطلقا للتوسع في عمق إفريقيا. والسؤال الذي يمكن طرحه هو من كان يوجه هذا الاستعمار؟

قد يكون الجواب هو أن من وجه الاستعمار هي البلاطات الأوروبية. لكنه بشيء من التعمق يتبين أن هذه البلاطات لم تكن حرة، بل كانت هي الأخرى موجهة من قبل البرجوازية/الليبرالية التي كانت تتحكم في السياسة والمال والمهن الحرة. لأن البلاطات كانت تنتمي إلى أسر دينية وكاثوليكية بالأساس، وكان المنظرون في أوروبا من الليبراليين،فمثلا كان شارل العاشر هو الذي وقع على الحملة الفرنسية على الجزائر لكن الليبراليين هم الذين مولوا الحملة، وهم الذين استثمروها. وعلى هذا الأساس لم يكن الاستعمار كله حكوميا وإنما كان من منظرين وفي مقدمتهم التجار والبنوك.

ومن هذا نستنتج أن الاستعمار فكرة إيديولوجية عنصرية قبل كل شيء. وقد عبر عن جزء من هذه العنصرية أنجلز في حديثه عن "فضائل"الاستعمار و"رذائل" المجتمعات الجزائرية والصحراوية، فقال: وإذا كنا نأسف على أن بدو الصحراء قد فقدوا حريتهم، فإنه يجب أن لا ننسى أن هؤلاء البدو كانوا أمة من اللصوص. ذلك أن وسائل عيشهم كانت في شن غارات إما على بعضهم البعض وإما على القرى الآهلة المجاورة. ومن خلال هذه الغارات يأخذون معهم ما وجدوا، ويقتلون كل الذين قاوموهم، ثم يبيعون الباقين من المساجين في سوق الرقيق.

فهذه الأمم من الهمج الأحرار تبدو من بعيد فخورة، شريفة، ماجدة، ولكنك لن تكتشف حقيقتها إلا عندما تقترب منها. عندئذ ستجدها كأكثر الأمم حضارة، محكومة بالرغبة في الربح، مستعملة لذلك أقسى وأغلظ الوسائل. لذلك فإن البرجوازي(الفرنسي) الحديث مزود بالحضارة والصناعة والنظام وبعض الثقافة، سيكون أفضل لهذا المجتمع الهمجي من السيد(الجزائري) الإقطاعي أو اللص قاطع الطريق"[1].

والمميز تاريخيا أن اتجاهات ثلاثة أساسية ميزت السياسة الاستعمارية الاستيطانية الأوروبية في إفريقيا. وهي سياسة الإخضاع (La Domination) وسياسة الإدماج (Assimilation)

[1]) أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ش.و.ن.ت. الجزائر، 1978، ص79-82.

وسياسة الاستقلال الذاتي(Autonomie) ولكن المؤكد أن فرنسا طبقت لونا سياسيا واحدا في الصحراء الجزائرية وهي سياسة الإخضاع.

بناءا على هذا تكون السياسة الاستعمارية الأوروبية قامت على إحلال قوة أجنبية في الجزائر بتكريس مشروع منظم سيطرت به على بلد ما وعمرته بهجرة مستوطنة[1]. أي باتباع سياسة الإخضاع القائمة على المصادرة المتعددة للشعوب الضعيفة سياسيا.

فالاستعمار الاستيطاني هو استعمار اجتماعي واقتصادي وثقافي قام على أساس يخالف النظرية المعروفة في علم السياسة والقائلة بأن الدولة تتكون من إقليم وشعب ومقومات ونظام حكم ومجال سيادة. بينما تكون أبعاد هذا الاستعمار هي إحداث نظام حكم ومجال سيادة من طرف قوة ما على هذا الإقليم وعلى حساب هذا الشعب لهدف نشر المدنية في أوساط هذه الشعوب"المتخلفة"[2].

ومن ثم يمكن الحكم على هذا الاستعمار بأنه ظاهرة فريدة من نوعها تتجاوز مسألة أنه قرار سياسي أو هجمة عسكرية، أو احتلال أرض، تتجاوز ذلك لتشكل تحولا كبيرا يمس مختلف جوانب الحياة الخاصة بالشعوب التي وقع عليها هذا الاستعمار.

2-بداية الاهتمام الأوروبي بالصحراء الجزائرية:

كان الاهتمام الأوروبي بالصحراء الجزائرية مركزيا وسابقا عن الاحتلال الفرنسي للجزائر العاصمة عام1830، إذ أن الرحالة الأوروبيين قد دونوا معلومات قيمة عن الجنوب الجزائري[3]. وقد استفاد الضباط الفرنسيون مما تركه هؤلاء الرحال في معرفة أحوال الصحراء، وفي توجيه حملاتهم التوسعية بهذه المنطقة، من ذلك نذكر الضابط لابي (Lapie) الذي تمكن من وضع خريطة عامة للجزائر أبرز فيها تضاريس المنطقة

---

[1]) Luchaire (Françis), Droit d'outre-Mer, Th, Paris 1959, P.13.

[2]) لمزيد من المعلومات يراجع ما كتبناه في: من الملتقيات التاريخية الجزائرية، دار البعث، قسنطينة، 2001، ص174 و ما بعدها.

[3]) اهتم الإنجليز بالصحراء، فأسسوا الجمعية الإفريقية (African association)عام 1788 بعد أن جمعوا معلومات عن الصحراء من خلال ما تركه اليونانيون و الرومان و العرب، بعد أن بدأت الرحلات الاستكشافية، و لم تأت سنة 1835 حتى تمكنت أوروبا من التعرف على المنطق الممتدة من الجزائر العاصمة إلى الأغواط إلى الأوراس، و هذا بفضل المغامرين مثل دافيد صون (Davidson) و ديفيريي (duverrier) هذا الأخير وصل إلى غدامس عام 1860، تحت رعاي نابليون الثالث، و قد ترك كتابا قيما بعنوان: Les Touareg du Nord.

للمزيد من المعلومات يراجع: العربي، إسماعيل، الصحراء الكبرى و شواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، خاصة الفصل الرابع.

الجنوبية، وكانت هذه الخريطة أحسن أداة وظفها الفرنسيون فيما بعد في التوسع العسكري والمدني والتحكم الإداري والاجتماعي في الصحراء[1].

إضافة إلى هذا فإنه سبق لقادة الاحتلال أن استخبروا علماء كانوا يعرفون الصحراء جيدا، مثلما حدث مع العلامة الموريتاني أحمد المصطفى ولد طوير الجنة[2]، الذي مر من الجزائر عام1832 أثناء عودته من الحج قاصدا بلده.

ومن جهة أخرى فقد وظف الأوروبيون الجانب العلمي في دراسة الصحراء، إذ اهتم أفازاك (Avezac) بدراسة المنطقة وأنجز عام1836دراسة جغرافية عن الصحراء، ضمنها خريطة هامة وضح عليها المعالم الرئيسة ومنها طرق المواصلات القديمة. مع تقديم تصور حول كيفية استغلالها من طرف فرنسا. وفي سنة1837 أسست لجنة علمية فرنسية انكبت على دراسة إمكانات الجزائر وكيفية استثمارها. وتشكلت من عسكريين ومدنيين، ومنهم كاريط (Carette) الذي قدم مؤلفا هاما بعنوان:

Recherche sur la géographie et le commerce de l'afrique méridionale.

وألف الضابط دوما (daumas) بتشجيع من المارشال بيجو سنة1845 كتابا بعنوان: "الصحراء الجزائرية"(sahara algérien) و هو دراسة إحصائية و جغرافية و تاريخية عن الجنوب القسنطيني[3].

من العناصر الفرنسية التي كان لها السبق في التوسع بالصحراء وبوسائل متعددة الجنرال ديفو(Desvaux) الذي أبهر بما أقام لهم من مشاريع،ومن بينها حفر الآبار وشق الطرقات وفرض الأمن. وكان ديفو على قناعة كبيرة بضرورة احتلال الصحراء بهدف حماية الوجود الفرنسي في قسنطينة والحصول على موارد رزق من الصحراء التي كانت مصدر ثراء[4]. وترجمت السلطة الفرنسية اهتماماتها عمليا بأن سمحت لقافلتين تجاريتين فرنسيتين بالانطلاق من بسكرة إلى جنوبها يوم13 جويلية عام 1844، أي بعد احتلال هذه المدينة في مارس1844، انطلقت تلك القافلتان لهدف معرفة أسواق

---

[1]) Augustin (B),, et, histoire de la pentration saharienne, Alger,, 1900, P.3.

[2]) توفي هذا العالم سنة 1849، و ترك آثارا قيمة أهمها: رحلة المنى و المنة، و هو مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، ص168.

[3]) لمزيد من المعلومات يراجع ما كتبناه: من تاريخ الجزائر الحديث، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2000.

[4]) Augustin (B.) ,op,cit, p.12.

المدن الداخلية. فاتجهت واحدة إلى توقرت. والثانية إلى عين صالح. تعرفتا على طومبوكتو الذي كان أهم مركز تجاري بالصحراء، و فتحتا الباب لقوافل أخرى. منها قافلة التاجر غارسان (Garcin) الذي زار بسكرة عام 1848[1]. و في نفس العام قام أحد الفرنسيين برحلة من تونس، مرورا بوادي سوف، ثم توقرت وصولا إلى بسكرة، حيث دون ملاحظاته في كتاب قيم صدر بعنوان:

Commerce de l'Afrique avec la Mecque et le Soudan, (?) Paris 1849.

و قد وظفت السلطة الفرنسية هذه المعلومات أثناء توسعها بالصحراء، مثلا في عين ماضي 1844/4/22. و في الأغواط يوم 1844/4/25[2].و في حملاتها العسكرية الكثيرة إلى مناطق من الأوراس، و إلى تقرت و واد سوف[3].

و وجدت فرنسا مساعدات من بعض الشيوخ أثناء توسعها مثلما وجدته في بوعزيز بن قانة الذي عينته فرنسا شيخ العرب على الزيبان ابتداء من جانفي 1839.

و بذلك دخلت فرنسا مرحلة جديدة من العلاقات. ظل يتقاسم النفوذ فيها كل من الأمير عبد القادر عن طريق خلفائه. و الحاج أحمد باي و الفرنسيين.

و تمكن الفرنسيون بفضل مساعد سي حمزة من التوسع بالصحراء و الدخول إلى ورقلة بصفة قوية عام 1853. ففاز سي حمزة بثقة الفرنسيين و عين خليفة على مناطق واسعة من الصحراء امتدت من البيض إلى ورقلة[4].

وكان لديفو دورا كبيرا في هذا التوسع خاصة حين اتصل بشيوخ المنطقة، إذ أنه بعث برسائل إلى شيوخ لهم مكانة علمية و اجتماعية منهم محمد السعيد بن علي الشريف الذي مدح قادة فرنسيين. و لم

---

[1]) Augustin المرجع نفسه، ص.13.

[2]) St-Arnaud, les premières années de l'Algérie française, Leffont, R. tours 1978.

[3]) قام الجنرال يوسف بحملة في 1852/9/10 إلى بوغار ثم المسيلة التي وصلت الأغواط. ينظر:

A. M. G. H217, H226.

توجد في ملف H226 معلومات قيمة عن عين ماضي مدونة في 37 صفحة.

[4]) للمزيد من المعلومات، يراجع: يحي بوعزيز، "وثيقتان جديدتان عن كفاح الشريف محمد بن عبد الله"، الثقافة، العدد 33، وزارة الإعلام و الثقافة، الجزائر، الجزائر، 1997، ص11-28.

يفوت ديفو هذا الموقف و استغله إعلاميا. و طلب منه أن ينظم أشعارا يمدح فيها شخصيات فرنسية و جزائرية، قصد التغني بها في الصحراء[1].

و بهذه السياسة تمكنت السلطة الفرنسية من التوسع في أغلب أنحاء الصحراء[2].

المبحث الثالث: التعمير الاستيطاني في الصحراء الجزائرية.

1- سياسة التوغل الاستعمار:

1-1- منافذ التوغل و السيطرة:

في الوقت الذي كان فيه الفرنسيون حادين في الغزو والتوسع إلى الجنوب الجزائري والصحراء، كان اهتمامهم كبيرا بموضوع المواصلات وطرق القوافل القديمة باعتبارهما العنصر الأساس والفعال وذلك بهدف:

-تسهيل عمليات نقل قواتهم العسكرية الغازية، وتوفير ظروف الاستقرار في المراكز العسكرية التي أنشأوها.

-ربط مستعمراتهم المختلفة ببعضها البعض في الشمال والغرب والوسط.

-خدمة التجارة الفرنسية وفتح الأبواب والسبل لها في كل أسواق إفريقيا[3].

وعلى ضوء ما تعرفوا عليه من طرق القوافل الصحراوية القديمة، وما توصلت إليه البعثات الاستكشافية التي كانوا يرسلونها إلى الجنوب[4]، توغلوا إلى الصحراء الجزائرية عبر منافذ وطرق رئيسية[5] لإحكام السيطرة عليها، وتشكيل شبكة استراتيجية من المراكز العسكرية، وأهم هذه المنافذ نجد ما يلي:

- طريق آغادير-داكار عابرا من تندوف، فور قيرو fort gairaud أكجوجت ليتوجه نحو نواقشوط ليصل إلى سان لويس بالسينغال على مسافة طولها3000 كلم.

---

[1]) لمزيد من المعلومات، يراجع نص هذه الرسالة في كتاب من الملتقيات التاريخية، قسم الملاحق.

[2]) ينظر خريطة رقم 11.

[3]) يحي بوعزيز: ثورة الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1980، ص270.

[4]) لمزيد من المعلومات عن حركة التوغل في الصحراء و البعثات الاستكشافية يراجع: عميراوي احميدة، من الملتقيات التاريخية، دار البعث- قسنطينة، 2001، ص151-173.

[5]) خريطة رقم 6.

- طريق وهران-النيجر الذي يخترق في مساره البالغ أكثر من2800كلم نحو الجنوب الجزائري كل من بشار كولمب، العبادلة،إجلي، بني عباس، أدرار، رقان وبيدو وغاو، لينتهي في دولة النيجر. وقد كان هذا التوغل سببا في إنجاز مشاريع اقتصادية هامة منها منطقة صناعية بكولمب ، وخط مزدوج للسكة الحديدية طوله100كلم يربط بين العبادلة وكولمب بشار.
- طريق مدينة الجزائر-تمبوكتو الذي يتجاوز طوله3500كلم ويمر على البليدة، بوغار، الأغواط، غرداية، القليعة وعين صالح ليصل إلى تامنغست ثم آفار لينتهي بمنطقة زندار التي تقع بين دولة النيجر ودولة التشاد.
- طريق بومرزوق بليبيا والذي يعبر قسنطينة بالهضاب العليا ثم قطع الواحات الصحراوية توقرت، الوادي، ورقلة وجنات ليتحول نحو فزان بليبيا.
- الطريق العرضي شرق-غرب.

بعد اكتشاف البترول في آبار ادجلي وحاسي مسعود قدم هذا الطريق خدمات كبيرة للتوغل والتوسع الاستعماري في الصحراء واحتلاله لأهم المناطق الإستراتيجية. لأن هذا الطريق يقطع من الشرق إلى الغرب، ومن الهقار إلى الأطلسي، ومن جنات إلى تندوف عبر ورقلة وفور فلاتر، القليعة ، تيميمون و أدرار[1] .

2-مشاريع خطوط السكك الحديدية:

لقد كانت خلاصة الدراسات والاقتراحات لمشاريع عديدة أن تم مد السكة الحديدية نحو الصحراء خلال النصف الأول من القرن العشرين، ووضع نواة لثلاثة خطوط حديدية نحو أعماق الصحراء تفرعت أساسا من الخط العرضي الرئيس الذي يخترق الشمال الإفريقي من تونس شرقا إلى الدار البيضاء غربا، وقد كان وراء هذه المشاريع من مواصلات حديدية رجال التيار السان سيموني الذين كانوا على مبدأ ربط القارات ببعضها ليحدث التواصل بين الشعوب بغض النظر عن اختلاف تقافاتما[2].(سنعود للحديث عن خطوط السكك الحديدية في الفصل الثالث) وكانت الخطوط كالآتي[3]:

-الخط الأول يمتد من مدينة قسنطينة إلى ورقلة عبر بسكرة وتوقرت.

---

[1]) Max Marchand : Hisoire Abrégée de l'Algérie. Paris SAHARA. Mars 1957. P12-13.

[2]) يراجع: عميراوي احميدة، من تاريخ الجزائر الحديث، مطبوعات جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2000.

[3]) ينظر خريطة رقم 7.

-الخط الثاني يمتد من مدينة البليدة إلى الجلفة عبر المدية.

-الخط الثالث يمتد من المحمدية إلى بني عباس عبر سعيد وبشار.

وقد كان من المفروض أن تمتد هذه الخطوط الثلاثة إلى باقي بلدان الصحراء الأخرى في غرب إفريقيا ووسطها لتصل بشبكة النيجر عبر تمبوكتو، وشبكة السينغال وموريطانيا، ولكن ارتفاع التكاليف المالية ووعورة الطبيعة الصحراوية وقساوة مناخها، واتساع المقاومة الجزائرية وتطور حركة الطيران جعلت الفرنسيين يتراجعون عنها[1].

3- شبكة المدن والواحات الصحراوية:

رغم اتساع وعزلة الصحراء الجزائرية، إلا أنها مهيكلة بشبكة معتبرة من المدن والمراكز والواحات ذات الأهمية الإستراتيجية القصوى بالنسبة للاستعمار الفرنسي لتوغله وإحكام السيطرة التامة عليه.

وتتركب هذه الشبكة من مدن وواحات[2] تعتبر عواصم لأقاليم طبيعية كالزيبان وبني مزاب ووادي سوف والساورة والهقار، وهي مدن آهلة بالسكان تتفاوت ما بين15000-40000 نسمة. وأهم هذه المدن:

- مدينة بسكرة، وهي بوابة الجنوب القسنطيني نحو الصحراء المنخفضة وعاصمة الزيبان تعد من أهم المدن الصحراوية المكتظة بالسكان وهي مدينة النخيل والجمال السحري البديع مركز النهضة ومحور تجار التمور ومحط رحال السياح.
- مدينة الواد أهم مدن وأشهر مدن وادي سوف وهي تبعد فقط بـ100كلم عن الحدود الجزائرية التونسية وتشتهر باسم مدين ألف قبة « LA VILLE AUX MILLE COUPOLES »قدر عدد سكانها في حدود 20000نسمة.
- مدن الجلفة والأغواط وهي عبارة عن أبواب أساسية للجزائر الوسطى نحو الصحراء، ومراكز استعمارية صحراوية هامة في التوغل نحو الجنوب الجزائري، ويقدر عدد سكانها ما بين 17000-25000نسمة.
- مدينة غرداية عاصمة المزاب تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 600كلم وهي حاضرة هامة آهلة بالسكان بلغ عددهم حوالي 15000-20000نسمة.
- مدينة توقرت عاصمة طبيعية لمنطقة وادي قير وهي الأكثر سكانا في الصحراء بحوالي 40000نسمة.

---

[1]) Max Marchand : o.p.cit. p272.

[2]) ينظر خريطة رقم 8.

- مدينة كولومب بشار: لقد سميت مدينة كولمب بشار من طرق العالم jonnart سنة 1903 عندما أسمى المركز العسكري تاقدا tagda القريب من جبل بشار بكولمب تذكرا للجنرال colomb وزاد من أهميتها اكتشاف مناجم معدنية ذات احتياطات عالمية من الحديد والنحاس والفوسفات والرصاص.
- مدينة تامنغست عاصمة ومقر نشاط الأب فوكو ومكان قتله سنة 1916[1].

- **أكبر الواحات الصحراوية:**

بالإضافة إلى المدن الصحراوية نجد مجموعة هامة من الواحات أقل سكانا وأهمية من الناحية الاستراتيجية أهمها:

- واحة بوسعادة وهي أولى الواحات في ناحية الشمال، تقع ما بين شط الحضنة وجبال أولاد نايل.
- واحة تيميمون الواحة الحمراء وعاصمة قورارة تقع ما بين أدرار والقليعة.
- واحة ورقلة: واحة الصحراء المنخفضة الممتدة بين العرق الشرقي الكبير وشط ملغيغ وهي آخر واحات الجزائرية الجنوبية قبل الهقار وسكانها حوالي 7000 نسمة.
- واحات الزيبان الغنية أمثالها سيدي عقبة، طولقة وأولاد جلال.
- واحة عين صالح عاصمة منخفضى تيتكلت tidiklet جنوب حمادة تادميت.
- واحات بلاد الشبكة ومن أهمها غرداية وبني يزقن والقرارة وبريان ومتليلي وهي تتميز بكثرة العمران وقلة المياه.
- واحة خبات الواقعة بين الهقار وهضبة تاسيلي أجيير ajjers بالقرب من فزان الليبية..
- واحة القليعة واحة السكان ومكان تواجد ضريح الأب فوكو.
- واحة أدرار عاصمة التوات وتبعد عن وهران بـ1300 كلم.
- واح بني عباس..
- واحة عين صالح.
- واحة حاسي مسعود.
- واحة رقان.

4-الإمكانات الاقتصادية للصحراء:

[1]) Max Marchand : o.p.cit. p9.10.11.

الصحراء جغرافية شاسعة وفسيحة، ومناخ قاسي وعزلة محكمة إلا أنها تزخر بإمكانات وقدرات طبيعية واقتصادية هائلة ومتنوعة منها المعادن، البترول والغاز الطبيعي والفلاحة[1].

4-1-المعادن:

لقد تم اكتشاف خزانات معدنية هائلة ومتنوعة في مناطق مختلفة من الصحراء وهي على النحو الآتي:

- منطقة بشار كولمب تتوفر هذه المنطقة المحصورة في أقصى الركن الشمالي الغربي للصحراء مع الحدود المغربية على ثروة معدنية ضخمة وذات بعد عالمي منها:

-مناجم الفحم الحجري في القنادسة وكيس كسو.

-مناجم الحديد بالعبادلة.

-مناجم المنغنيز والنحاس بجبل بوعرفة.

-مناجم الرصاص بالقرب من مفيسmfis.

- منطقة تندوف التي تضم مكامن ضخمة من الحديد والفحم الحجري والرصاص قدرت احتياطاتها آنذاك بحوالي 3 ملايير طن[2].

4 -2- البترول:

لقد بدأ الفرنسيون يعطون أهمية كبرى للصحراء بعد اكتشاف المعادن وخاصة البترول والغاز الطبيعي. واعتبر الفرنسيون في الخمسينات من القرن 20 أن المعجزة ستكون من الصحراء

ومن أهم آبار البترول حاسي مسعود جنوب ورقلة. ثم آبار ايدجلي éedjel وثيقنتورين وفورفلاتر forflatters نحو الحدود الليبية.

- آبار الغاز الطبيعي بالقرب من غرداية بمنطقة بريان وهو حاسي الرمل وبني تلرام.
- آبار واحات الوسط خاصة آبار عين صالح أحنات وبوقا. كل هذه الطاقة كانت تحول نحو ميناء الجزائر العاصمة[1].

---

[1]) ينظر خريطة رقم 9.

[2]) عبد القادر حليمي: نفس المرجع، ص16.

4-3- الفلاحة الصحراوية:

تزخر الصحراء الجزائرية بمحيطات زراعية هامة تشتهر بواحات النخيل[2]، كواحات الزاب الشرقي والغربي وودي سوف، كما هوالحال في طولقة وبن نوي. بالإضافة إلى بعض السهول الخصبة ذات الزراعات المتنوعة مثل سهل العبادلة ببشار، سهل أدرار وسهل تمنراست.

[1]) ANDRE LABARTHE : Document sur le pétrole du sahara, 1957, p.98.

[2]) ينظر خريطة رقم 10.

الفصل الثاني

التوسع العسكري الفرنسي

في الصحراء الجزائرية (1844-1914)

الفصل الثاني

التوسع العسكري الفرنسي

في الصحراء الجزائرية (1844-1914).

المبحث الأول: التوغل في القسم الشرقي واهم المعارك فيه.

المبحث الثاني: التوغل في القسم الأوسط وأهم المعارك فيه.

المبحث الثالث: التوغل في القسم الغربي الجنوبي وأهم معاركه.

المبحث الأول: التوغل في القسم الشرقي وأهم المعارك فيه

منذ الاحتلال لمدين قسنطينة ومدينة باتنة تطلعت القنوات الفرنسية إلى مد نفوذها نحو الجنوب، وكانت البداية بتدفق التجار- الجواسيس- الفرنسيين على سوق تقرت والقيام بعدة بعثات أهمها التي قام بها" هنري و" ديفيري" في سنة 1859 من أنصار السانسيمونية- بعثة استطلاعية أدرك من خلالها القليعة ووصل حتى منطقة الطوارق حيث دخل في حمايتهم الكثيرون وطلب منهم السماح للفرنسيين بزيارة سوق غدامس[1].

وقبل أن تورطد نفوذها في المنطقة جابهتها العديد من المقاومات كان أبرزها

-معركة تبسة في شهر أكتوبر1853. معركة قادها أحد الأشراف يدعى عمار عمر، بن قديدة وجمع أنصاره من أهل الناحية، البكارية، الحراكتة، أولاد سيدي عبيد... وهاجم بهم مراكز العدو الفرنسي الذي تصدى لهم بقيادة الضابط" جابي" وبعض المرتزقة، وترتب عنها استشهاد قائدها وعد هائل من الجزائريين، وغنم العدو الفرنسي أسلحتهم وخيمهم وأعلامهم وراياتهم ومن جهة أخرى ساهمت في تحفيز السكان وحثهم على الجهاد[2].

وما يمكن قوله حول التوغل في هذا القسم انه يختلف عن القسم الغربي لكونه غني بالسبخات والتي أعاقت في الكثير من الأحيان تقدم القوات الفرنسية' ولذلك فهذا القسم شهد معارك حاسمة بين الجزائريين والفرنسيين، ولتحقيق مزيدا من المكاسب قامت فرنسا بفرض الحماية على تونس في سنة 1881م وارتبط هذا الاحتلال بمشروع الصحراء الإفريقية الكبرى، وأملا في إنجاز ذلك أرسلت فرنسا العديد من البعثات منها بعثة الكولونيل" فلاترز" إلى التوارق والتي قتل فيها.

[1]) المعهد التربوي الوطني الجزائري، الأطلس العالمي،.

[2]) سعد الله، أبو القاسم، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص382.

2- المقاومة التارقية للتوسع الفرنسي وأهم معاركها:

ذكرت سابقا أن التوصل إلى هذه المنطقة كان بفضل تلك البعثات البشرية ،فبعد "هنري ديفيري"،ومقتل الرجال التسعة فيل بعثة" فلاترز "الثانية عام 1881 من طرف التوارق كثف الفرنسيون جهودهم لاحتلال المنطقة وضاعفوا من إرسال البعثات والحملات والتي من أهمها.

-حملة" إيميل جانتيل" في سنوات 1895،1897، 1899، 1900

للتعرف على الصحراء الإفريقية الكبرى، ولقد انطلقت فيها حتى من منطقة حوض الكونغو.

-حملة" فورو لامي" بين عام 1898-1900، والتي ضمت حوالي 196 عسكريا و1000 جملاً ومجموعة من الأدلاء وكمية كبيرة من المؤونة والأغذية، غادرت منطقة صدراته- قرب ورقلة- التي وصلتها يوم 1999/11/12 وفقدت في طريقها معظم الجمال. وشرعت في أواخر ديسمبر في العودة وخاض الطوارق ضدها معركة حاسمة- معركة آزجير- في شهر جانفي 1900م[1] وتركت وراءها العديد من القتلى والأسرى وما بقي منها واصل سيرة نحو تشاد بدلا من العودة إلى مقرها الأول.

-إبرام معاهدة غدامس في 1862/11/26 مع الشيخ التوارق إيخنوخن (توفير الحماية للفرنسيين) لم تكن كافية لتوفير هذا الأمن المزيف الذي كثيراً ما شارك التوارق في تحقيقه.

ولقد حاولت فرنسا جاهدة كسب التوارق إلى جانبها، ولعل أبرز ما قام به الراهب ميشال دي فوكو[2] خير دليل على ذلك. كما حولت ربط التوارق بنظام سياسي فرنسي فيس إطار ما عرف بالسياسة الفونكوترتية[3] وهو مجالب لا يسعنا الحديث عنه.

إن النوايا الحقيقية للفرنسيين اكتشفت بمجيء المقدم" فلاترس" سنة 1880 إلى الهقار وهو ما دفع بتوارق أزقار والهقار وكال قرسي وكال أوات وتوارق تامبكوتو في مدينة غات وقرروا مقاومة أي محاولة أوربية للتغلغل في الصحراء وهنا تبرز لنا شخصية محمد بيسكا بن الحاج البكري (1877- 1907) أمينكال توارق الهقار الذي بدأ ينظم ويوحد صفوفهم، وهو ما دفع بالفرنسيين إلى محاولة التفاوض معه، إلا أنها تفلح في

[1]) يحي، بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر، 1999، ص71.

[2]) ميشال دو فوكو (1858-1916) ضابط فرنسي اعتزل العالم و تنسك في تامنراست و فيها قتل.

[3]) Servan des plans, »la politique franco-touareg «, In nouvelle Revue A 1843, p3.

ذلك. وأهم ما قام به الثوار هو نصب كمين بئر الغرامة الذي شارك فيه عدد من فرسان الهقار. وانتهى بقتل فلاترس و36 من رفاقه وقتل الملازم الأول" ديانوس"قائد الفرق العسكرية وكان عدد القتلى الإجمالي 51 قتيلا من بين 78 عسكري ووقع الباقي في الأسر وإن الملاحظ أن هذه المعركة كانت قبل ظهور شخصية أهتيفال السابقة الذكر، والتي وقعت في سنة 1881، ومن أهم المعارك الأخرى أذكر

-معركة جانت التي وقعت عقب دخول عين صالح واحتلال المناطق المحيطة بها مع مطلع القرن20م.

-معركة تيت يوم1902/05/07م[1] ضد قوات الضابط" كوتنيس" "COTTENES " ومنذ ذلك الحين ازداد عدد الحملات العسكرية نحو المنطق بتدعيم وبتخطيط من" لابيرين و دوفوكو" وقتل فيها حوالي 70 شهيداً جزائرياً.

-معركة تامنراست سنة 1904.

-معركة إيليزي سنة 1908، وفي السنة الموالية اقتحمت جانب من طرف التوارق وظلت خاضعة لهم إلى سنة 1911 بسبب انشغال الفرنسيين بالحرب الدائرة في ليبيا بين التونسيين والإيطاليين.

تجدد المعركة بين طرفيين وكان النصر حليف الجزائريين الذين ظلوا يسيطرون عليها إلى غاية 1916. رغم المحاولات الفرنسية العديدة لاقتحامها، وهكذا ظل العمل العسكري مستمر بين الطرفيين، تكبد خلاله العدو خسائر فادحة ولعل من أهم المعارك التي يمكن ذكرها في تاريخ التوارق هي ثورة الشيخ آمود[2]. إلذي اتبع أسلوب الكر والفر وتجنب الدخول في مواجهاث مباشرة مع العدو، وبقي قادة جدد على المناطق الخاضعة له. فعلى عمر إدريس عين كل مت القائدين الشيخ العايب من قبيلة إيفوغاس بمساعدة أخيه حبه تول ومن أهم المعرك التي شارك فيها معركة تازرفت مع مطلع سنة 1917 وتابنكورت وواد آوال. وأما على منطقة إيليزي وضواحيها فقد عين القائد إبراهيم أقابدة بمعية الشيخ التومي، وكانت أولى معاركهم معركة واد ايميهرو، زيادة على معركة تين هضان التي استشهد فيها عدد هائل من الثوار. ومعركة عين الحجاج حيث

---

[1]) يحي، بوعزيز، مع تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص72.

[2]) الشيخ آمود (1859-1928) ينتسب إلى قبيلة إيمنات، ربطته صلات قوية بالسلطة العثمانية التي اعترفت بنفوذه على منطقة جانت و ضواحيها، حفظ القرآن الكريم، طلب العلم في عدة زوايا، عين صالح، تامنراست، كان ورعا و زاهدا.

انهزمت فيها القوات الفرنسية وقتل فيها الضابط "LE MARCHEL DES lOYIS" و18 قناصاً وعشرات الأسرى ولم ينج منها إلا ثلاثة جنود[1].

أما المنطقة الواقعة بين جانب وسلسلة جبال الهقار فقد عين عليها القائد أبة غابلي. واشهر معركة بها كانت بواد تهواق وإيلامات وتي هاوهاو وبقيادة متينة شبكي واضطر على إثرها الضابط "REkUITOT " إلى الانسحاب من المعركة والالتجاء إلى برج فلاترس بعد أن ترك وراءه أكثر من 20 قتيلاً.

وأمام هذه الانتصارات الجزائرية قرر التوارق (الشيخ آمود) استرجاع جانب وهذه المرة باستخدام سلاح المدفعية وحوالي 400 مجاهداً، وتمكنوا خلال ثلاثة أيام من اقتحامها وطرد الحامية الفرنسية وتشريدها وأسر قائدها " MARECHAL DES LOGIS LA PIERRE" وهو ما دفع بفرنسا إلى اتباع الخطوات الآتية:

-تزويد الجيش بالعتاد والأسلحة وفرق الصباحية والقناصة.

-ربط الحاميات والمراكز الفرنسية بوسائل اتصال برقية.

-زيادة التموين.

-تشجيع الأهالي على الانخراط في الجيش الفرنسي، ويلاحظ في هذا القسم أن الحركة السنوسية قدمت دعما كبيرا للجزائريين، ومن أجل بسط السيطرة على الصحراء أرسلت فرنسا بعض الشخصيات ذات النفوذ المعنوي والروحي من ورقلة وعين صالح والمنيعة وتقرت إلى مناطق الهقار والطاسيلي قصد التفاوض مع زعمائها لإلقاء السلاح والاعتراف بالوجود الفرنسي مقابل كثير من الامتيازات رفض الشيخ آمود هذه الإراءات وفضل المنفى إلى غاية أن توفى بمنطقة الغريفة الليبية سنة 1928[2].

وإلى غاية سنة1914 تكون فرنسا قد مدت نفوذها على هذه المنطقة وذلك بعد جهود مظنية قام بها كثير من رجالاتها وعلى رأسهم"فيلات" N.VILLATE و"إدوارد آرنو" و"موريس كورتي" و"دينو"

---

[1]) الرؤية، عدد 1، السنة الأولى، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، جانفي/فيفري 1996، الجزائر، ص111-112.

[2]) الغالي، غربي، المرجع نفسه، ص114-115.

"DINAUK"و "كليرجي" " CLERGET"وفلامند " FLAMAND "و"بان"و PEIN.وغيرهم[1].

[1]) يحي، بوعزيز، مع تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص75.

المبحث الثاني: التوغل في القسم الأوسط وأهم المعارك فيه.

1-القسم الأوسط وأهم المعارك:

يمتد هذا القسم من واحة الزعاطشة شمالا إلى كل من تقرت، والوادي، وتماسين، والأغواط وغرداية وورقلة إلى أقصى الجنوب الجزائري.

وقد وقعت معارك كثيرة في الجنوب الجزائري ومن أهمها نذكر:

1-1/معركة واحة الزعاطشة:

بداية من سنة 1844 تكون السلطة الفرنسية استولت رسميا على أهم مناطق الزيبان بعد أن تقلص منها نفوذ الأمير عبد القادر وتوقف بعدها الحاج أحمد باي عن مواصلة الكفاح إذ وصل الفرنسيون إلى مدينة بسكرة بعد تمكنهم من احتلال باتنة عام 1844 وتعيين الضابط " سان جرمان" على رأس القيادة في المنطقة ومنذ ذلك الحين بدأت فرنسا تتطلع غلى وضع يدها على الجنوب الجزائري. ونلمس ذلك في الخطاب الذي أرسله " المارشال سولت" تحت إشراف وزير الحربية إلى الملك الفرنسي ومن أهم ما جاء فيه:

يجب أن تؤلف الصحراء الجزائرية أو بعبارة أخرى المناطق الواقعة بعد التلال صنفا ثالثا من الجهات الإدارية، ففي هذه الجهات لا أثر للمعمريين وأن الجيوش لم تتواجد بها إلا عرضا لقمع الفوضى أو لإعداد ظروف ملائمة لإقامة العلاقات التجارية أو توسيعها، وهي مناطق تفتح لنا المجال لطرق هامة في الحركة التجارية المؤمنة، ومن علامات تغلبنا أن جلالتكم تقضي بتعيين قواد من الأهالي في هذه المناطق[1].

ومن خلال هذا النص تتضح لنا الغاية الاستراتيجية والتجارية والأمنية من توسيع الاحتلال نحو الجنوب. وإذا كان لابد من تجسيد هذه الطموحات فإن واحة الزعاطشة كانت إحدى أهم ضحايا هذا التوسع الاستعماري، فأين تقع هذه الواحة؟ وما هي أسباب اندلاع هذه الثورة بها؟ وما هي أهم تطوراتها نتائجها؟

الموقع الجغرافي: تقع بمنطقة الزاب الظهراوي على بعد 35كم جنوب غرب بسكرة والتي سبق وأن سقطت في يد الاحتلال بقيادة" دومال" سنة 1844.

---

[1]) أندري، نوشي، و آخرون، الجزائر بين الماضي و الحاضر، ترجمة اسطنبولي رابح و آخرون، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1984، ص385.

أهداف الجزائريين من القيام بهذه المعركة:

-تحرير بلاد الجزائر من الاستعمار الفرنسي(دافع وُطني وديني).

-طرد الحامية الفرنسية المتمركزة في بسكرة.

-إلغاء الضريبة المفروضة على النخيل التي ارتفعت من 15 سنتيما إلى 45 سنتيما أي بزيادة مئوية قدرها 300%على الرغم من تدهور محصول التمور بين الحين والآخر[1].

وقد اختار الجزائريون وقت هذه المعركة في ظرف كانت فيه فرنسا مشغولة بحروب خلال عدة ثورات مثل: ثورة أولاد بانوس في الظهرة، وأولاد دراج في الحضنة، وبني سليم في التيطري، وبني سليمان وبني يعلي وقشتولة في جرجرة، وثورة زواوة بقيادة سي الجودي وثورة أحمد بن يمينة في الواد الكبير بسكيكدة، و ثورة زواغة و فرجيوة وغيرها[2].

ولا شك أن هذا الوضع قد ساهم في تقليص عدد الجنود الفرنسيين المتمركزين في كل من بسكرة وباتنة والتي لم يكن يزيد عددها عن 800 جندي. وفي ظل هذه الأوضاع دعا الشيخ بوزيان أنصاره إلى جمع الأسلحة و إعلان الاستعداد للجهاد، وهذه الحركة دفعت نائب المكتب العربي ببسكرة" سيروك" إلى محاولة إلقاء القبض على بوزيان في إحدى جولاته بواحة الزعاطشة. إلا أن هذه المحاولة باءت بالفشل وترتب عنها قتل بعض حراس "سيروك" وترك وراءه حصانين وبرنوسين وبندقية. وعلى إثر هذا الموقف المتأزم قام "ديبوسكي" بالتوجه إلى الواحة في تازم الوضع. وفي الواحة على رأس 50 فارسا وطلب من سكان تسليم الشيخ بوزيان، وهو ما زاد في تازم الوضع . وفي الوقت نفسه قام سكان واحات طولقة و فرفار و ليشانة و بوشقرون بإعلان الجهاد دفاعا عن بوزيان وأنصاره، هذا الوضع حمل" ديبوسكي" على الانسحاب نحو بسكرة والتخطيط من هناك لمواجهة الثوار.

---

[1]) جعنيط، عيسى، "مقاومة الواحات للاحتلال الفرنسي في القرن 19، ثورة الزعاطشة، أسبابهاو تطوراتها، الدراسات التاريخية، عدد 9، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1415هـ/ 1995م، ص148.

[2]) جعنيط، عيسى، المرجع نفسه، ص148.

ولاحتواء ذا الوضع قامت السلطات الفرنسية من باتنة بتوجيه قوة عسكرية نحو الجنوب تقدر بحوالي 2000 جندي على رأسها القائد " كاربوسيا" لكنه سرعان ما انهزم أمام الثوار وخلف وراءه 31 قتيلا و117 جريحا[1].

حدث ذلك في شهر جويلية 1849. و لكن هذا الفشل لم يثن من عزيمة الفرنسيين الذين لجأوا إلى تطويق الثورة و تقليص نفوذها فكلفوا شيخ العرب ابن قانة بفرض رقابة على سكان الزاب الظهراوي و قطع أي اتصال خارجي يقيمه الثوار، إلا أن هذه المحاولة فشلت هي الأخرى، و تنتشر الثورة خارج الزيبان ففي 27 جوان 1849 كان قد هاجم أولاد سحنون زمالة سي مقران، و عمت الثورة أيضا كل منطقة الزمالة في جبال الأوراس، و انظم إليها الكثير من المساندين من أولاد جلال و أولاد سيدي قائد و المسيلة و بوسعادة و أولاد نايل و جبال الأوراس، و لتصوير خطورة الوضع في المنطقة أشير إلى ما كتبه "ديفو" في إحدى رسائله إلى الحاكم العام يوم 10 أوت 1849 "...لقد أجت الحالة الخطيرة التي تفجرت في منطقة الزاب إلى إسقاط هيبتنا و سلطتنا في أعين أهالي المنطقة..."[2]. و خلال سبتمبر كانت هناك محاولة أخرى لتطويق الثوار، و انطلقت من مدينة بسكرة بقيادة "سان جرمان" نفسه، إلا أن محاولته باءت بالفشل رغم استشهاد قائد الثورة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي، ولكن قتل "سان جرمان" في هذه المحاولة رفعت من معنويات المجاهدين رغم فقدانهم 200 شهيد، و في ظل هذه الهزائم المتتالية استنجد الفرنسيون بالحامية الفرنسية المتواجدة في الشمال من قسنطينة، باتنة، بوسعادة، سكيكدة، و عنابة و لقد أشرف على هذا الدعم "هيربيون" حاكم مقاطعة قسنطينة و التي انطلق منها يوم 1849/09/28 باتجاه باتنة، و من هناك انضم إليه جيش من القياد و الشيوخ و كان على رأسهم بن قانة شيخ العرب، و في يوم 1849/10/04 وصل مدينة بسكرة و بعد يومين استأنف مسيره و بصحبته فيلق من اللفيف الأجنبي بقيادة العقيد "كربوسيا" و تمركز بكدية المائدة المقابلة للواحة يوم 07 أكتوبر على الساعة 8 صباحا بمجموع قواته إلى 1000 محاربا[3].

و على إثر ذلك قام العدو الفرنسي بمحاصرة الواحة و الاقتراب منها شيئا فشيئا بعد أن حرق و اقتلع ما وجده أمامه، و في هذه الأثناء كانت الاشتباكات متواصلة مع الثوار المدافعين عن الواحة و رغم استخدام

1) سعد الله، أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص353.

2) جعنبيط، عيسى، المرجع نفسه، ص143.

3) إسماعيل، العربي، "الترتيبات التكتيكية لحصار قرية الزعاطشة، أكتوبر، نوفمبر، 1849"، الدراسات التاريخية، عدد 9، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1415هـ/ 1995، ص156.

سلاح المدفعية في هدم السور الخارجي للواحة فإن هذه الهجومات كلفت الطرف الفرنسي حوالي 30 قتيلاو 57 جريح و لتوضيح صعوبة الموقف أشير إلى ما كتبه القائد الأعلى لقوات قسنطينة."... و الواقع أن هذا الاشتباك الأول يثبت لدينا أن العرب مصممون على منازعتنا كل شبر من الأرض التي تفصل بيننا و بين الزعاطشة... و نحن نعرف أنها محاطة بخندق واسع و عميق مليء بالمياه... مما يجعل الاستيلاء عليها أمرا مستحيلا..."[1].

و لقد استخدم الثوار كل ما لديهم من قوة في الدفاع عن أنفسهم أمام وحشية الاستعمار الفرنسي الذي سرعان ما وصله دعم رفع من عدد جيوشه إلى حوالي 1512 جنديا و ضابطا و معهم مختلف أنواع الأسلحة خاصة بطاريات المدافع، و ازدادت مع هذه الإمدادات خسائر الطرف الفرنسي و هو ما جعل قائد الحملة يصرح بما يلي:

"... شعرنا بهذه الأحداث البائسة شعورا عميقا، و أدركنا أهمية التستر من نيران القرية المحاصرة في أسرع وقت ممكن، فإن هؤلاء الثوار قد أعطونا دليلا قاسيا على مهارتهم في القتال..."[2]، و هكذا استمر حصار الواحة إلى غاية الهجوم الكبير الذي شنه العدو الفرنسي يوم 28 نوفمبر 1849 هجوم انتهى باقتحام الواحة، و من النتائج التي ترتبت عن ذلك يمكن ذكر الخسائر الآتية:

الطرف الفرنسي: قتل 10 ضباط و منهم 60 منهم جرحى، و قتل 156 جنديا و جرح 740 آخرين.

الطرف الجزائري: تدمير الواحة عن آخرها و طمس معالمها.

- استشهاد الشيخ بوزيان و ابنه الحاج موسى الدرقاوي (بوعمار) و حوالي 300 شهيد، و هذا عن الذين دفنوا تحت الأنقاض و غمروا بالمياه، أكثر من 1000 شهيد.
- ازداد شك السلطات الفرنسية في ولاء عائلتي بوعكاز بقيادة ابن شنوف على أولاد صولة و عائلة ابن قانة بقيادة شيخ العرب محمد الصغير بن قانة ابن أخ بوعزيز بن قانة، و عملت على اضعافها بتقسيم فرنسا لمناطق نفوذهما، فأما العائلة الأولى فأعطيت لها قيادات صغيرة في الحضنة و نواحي

[1]) المرجع نفسه، ص159.

[2]) المرجع نفسه، ص160.

سطيف، و بقي الزاب الشرقي تحت قيادة ابن شنوف، و أما العائلة الثانية فأضافوا بني سليمان بالأوراس إلى بني شنوف و قسموا الزاب الغربي إلى العرب الشراقة و العرب الغرابة قصد مراقبة ابن قانة و السكان أيضا، و أنشأوا في شمال بسكرة قيادة جديدة هي قيادة السحاري بقيادة بولخراص بن قانة[1].

- احتلال مدينة بوسعادة مع مطلع سنة 1850 بعد معركة حامية الوطيس –معركة بوسعادة- و ذلك على إثر الإمدادات التي قدمها القائد محمد بن شبيرة لسكان واحة الزعاطشة و لقيامه أيضا بإرباك العدو الفرنسي بين الحين و الآخر إثر إنتفاضته التي تزامنت و وقت حصار الواحة.
- تدمير واحة نارة بعد معركة حاسمة مع العدو الفرنسي، و التي لاقت نفس مصير واحة الزعاطشة، فقطعت أشجارها و غابات نخيلها، على يد القائد "كاروبير" الذي إدعى أن سكانها رفضوا دفع الضرائب المفروضةعليهم، فتقدم إليهم و أحرق عنهم واحتهم بثلاثة فيالق عسكرية، كان ذلك يوم 05 جانفي 1850 و قد خسر الفرنسيون حسب احصاءاتهم 8 قتلى من بينهم الضابط بوكوتو و حوالي 30 جريحا[2].

1-2- معارك تقرت و ورقلة و الأغواط و عين صالح:

مع مطلع النصف الثاني للقرن 19م، شهدت الصحراء الجزائرية العديد من الثورات و التي امتدت من أولاد سيدي الشيخ غربا إلى منطقة وادي سوف شرقا، و كان الوضع يساعد على ذلك[3]. و إنه ليصعب مراعاة التسلسل التاريخي لهذه المعارك لكونها متداخلة و متزامنة مع بعضها في كثير من الأحيان، و قبل تحديد ذلك أود الإشارة إلى أن الوضع السياسي الذي كانت عليه المناطق الصحراوية الواقعة جنوب بسكرة. (الأغواط، تقرت، ورقلة).

ففي سنة 1850 توفي الحاج أحمد بن بابية سلطان ورقلة، و كانت السلطة في يد للا زهرة و ولد عبد الله بن خالد، فعرضت السيدة السلطة في ورقلة على الشريف إبراهيم فقبلها و سمى نفسه سلطان ورقلة، و كان ابن الحاج بابيه يطمح إلى أن يكون هو السلطان، أما في تقرت فإن بني جلاب كانوا منقسمين على

[1]) سعد الله، أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص357.
[2]) سعد الله، أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص358.
[3]) آندري نوشي، و آخرون، المرجع السابق، ص386.

أنفسهم إذ كان السلطان عبد الرحمن ينافسه سلمان الذي تعاون مع الشريف، كما كان زعيم الأرباع ابن ناصر بن شهرة ناقما على تعاون الخليفة أحمد بن سالم بالأغواط مع الفرنسيين، و أما ميزاب فقد كانت السلطة فيها للعزابة، و كانت تفضل الحياد و لكنها في كثير من الأحيان كانت تمقت أخبار التوسع الفرنسي نحوها[1].

في ظل هذه الظروف أعلن شريف ورقلة عن ثورته و بدأ في مهاجمة المتعاونين مع العدو، و كانت غايته الإستيلاء على تقرت و الأغواط، ففي صيف 1851 وصل نشاطه إلى تقرت و استولى على نفوسة و تماسين و كثر جيشه من واد ريغ و الشعابنة و سعيد عتبة، و لكن سلطان تقرت –عبد الرحمن- تصدى للشريف و هو ما جعله يعود إلى ورقلة. و كان موقف ناصر بن شهرة أن انضم إليه و عزز موقفه، و راسل الشريف ابن الأحرش في الجلفة طالبا منه الوقوف إلى جانبه كما انظم إليه أولاد يعقوب بجبل عمور، نواحي ميزاب، و لم يستطع ابن الأحرش –الذي رد هجومه الشريف أن يواصل عملياته فرجع دون نصر، كما هرب أحمد بن سالم من الأغواط إلى المدية محتميا بالسلطة الفرنسية التي عينته قائدا، و لكن بانظمام زعيم أولاد سيدي الشيخ الآغا حمزة اكتسب الشريف قوة هائلة، في الوقت الذي قضى فيه سلمان الجلابي على ابن عمه عبد الرحمن و تولى سلطنة تقرت بدله الذي يعني انتصارا للشريف أيضا[2].

و في اثناء غياب الشريف عن ورقلة حل بها أبو حفص بن بابيه، و ادعى أنه خليفة الفرنسيين عليها، إلا أنه لم يستطع الثبات أمام الثورة فهرب إلى تيارت تاركا ورقلة للشريف، هذا الأخير الذي تمكن من بناء قصبة لإدارة حكمه و ترتيب جيوشه، و منها بعث رسائل إلى زعيم أولاد سيدي الشيخ حمزة آغا، و أثناء هجومه على تقرت واجهه عبد الرحمن الجلابي، و لكنه تمكن من دخول تماسين التي وجد بها محمد العيد التيجاني واقفا على الحياد من هذه الأحداث المؤلمة.

ساعدت هذه الظروف الشريف على افتكاك مدينة الأغواط و قطع الطريق أمام التوسع الفرنسي باتجاهها، و ذلك من خلال تمكنه من رد هجمات ضباط المكاتب العربية المتتالية نحوها، و هما هجوم كل من "بان" و "دينو" و في شهر أكتوبر 1852 اشتبك مع طلائع الجيش الفرنسي على مشارف المدينة بقيادة "بيليسيه" و "يوسف" المملوك و تمكن من السيطرة على المدينة بكاملها خلال شهر نوفمبر و بمساعدة ابن

---

[1]) سعد الله، أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص375.

[2]) المرجع نفسه، ص375.

شهرة، و هو ما دفع بالفرنسيين إلى تعزيز قدراتهم العسكرية و بالدخول في معركة حاسمة –معركة الأغواط– ضد الثوار يوم 1852/12/04م، معركة اضطر خلالها الشريف إلى الانسحاب و خلف وراءه مصرع عدد كبيرمن الفرنسيين و عملائهم و ضابطين فرنسيين أحدهما برتبة جنرال و هو "بوسكارين" و "موران" و على أثرها تمكنت القوات الفرنسية من احتلال الأغواط[1]. و لا شك أن الفضل في هذا الانتصار يعود إلى تلك الإمدادات التي وصلت من الجزائر و وهران و المقدرة بـ: 8 فيالق عسكرية مزودة بالمدفعية، و هو السلاح الذي يفتقده الثوار.

إن احتلال الأغواط قد سمح للماريشال "راندون" « Randon » أن يجعل منها نقطة ارتكاز استراتيجية باعتبارها بوابة الصحراء كلها، و أملا في استمالة سكان الصحراء عمد الفرنسيون إلى أسلوب الاتفاقيات مع شيوخ المنطقة، و من بين ذلك الاتفاق الذي وقع بينهم و بين أهل ميزاب في 1853/04/29م، و الذي رضوا بموجبه بدفع ضريبة للفرنسيين قدرها 4500 فرنكا و الاعتراف بحمايتهم، مقابل عدم التدخل في شؤونهم الداخلية و استمرارهم في تجارتهم بالمغرب و تونس و أن يتعهد المزابيون بعدم فتح أبوابهم لأعداء فرنسا[2].

و للأسف الشديد أن هذه الاتفاقية ساهمت في توغل القوات الفرنسية حتى مشارف مدينة تقرت، و تحت غطاءات عدة، و لم تكد تمضي سنة واحدة عليها حتى هاجموا تقرت و نواحيها بحجة مطاردة الثائر الشريف الذي ظهر عند صديقه سلمان الجلابي السابق الذكر، و خلال خريف 1854 جهزت السلطات الفرنسية حملة عسكرية كبيرة بقيادة كل من "مارميه" و "ديفو" و "بان" و اشتبكت مع ثوار المنطقة في معركة جرت في المقرين –معركة المقرين– يوم 28 نوفمبر 1854م، و كانت قوات الشريف تقدر بحوالي 800 فارسا و 2000 من الفنطازية، و تدعي فرنسا أنه خسر في المعركة 500 قتيلا، و كل الرايات و 1000 بندقية و عدد هائل من السيوف[3].

---

[1] سعد الله، أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص376.

[2] يحي، جلال، تاريخ المغرب الكبير العصور الحديثة و هجوم الاستعمار، ج3، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص190، و الملاحظ أن هذه الاتفاقية بقي العمل بها إلى غاية سنة 1882.

[3] سعد الله، أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص377.

و على إثر ذلك انسحب الشريف و صديقه سلمان من تقرت التي تمكنت القوات الفرنسية من دخولها يوم 1854/12/05م، و عينوا عليها فرحات بن سعيد –عائلة بوعكاز- حاكما على تقرت و سوف و نواحيها بلقب علي باي، و خلال هذه الفترة إلتجأ الشريف غلى تونس للتداوي جراء الجروح التي أصيب بها، و لم يثنه ذلك من عودته إلى المنطقة و القيام بتحريض سكانها الذين لم يصلهم العدو الفرنسي، و خاصة الشعابنة و المخادمة و سعيد عتبة و الأرباع... إلخ، و بواسطتهم ظل يكرر هجومه بين الحين و الآخر على الأغواطو تقرت إلى أن استقر نهائيا في خريف 1861 بورقلة، و أخذ في تحصينها من جديد إلا أن العدو لم يمهله و جهز له جيش قوي من المرتزقة و من بين الذين قادوا الجيش ضده الباشاغا حمزة بن بوبكر من أولاد سيدي الشيخ –الذي جاء من البيض، و في يوم 8 أكتوبر 1861 خرج الشريف إلى نقوسة حيث اشتبك مع العدو الفرنسي –معركة نقوسة-[1].

و بعد قتال عنيف و خسائر فادحة للطرفين اعتقل الشريف و أخذوا إلى قارة الحاج –رمال بوبروال- ثم نقل إلى وهران و منها إلى كورسيكا، و في سنة 1863 أعيد إلى عنابة شبه ميت، حيث توفي في نفس العام.

و إذا كان الباشاغا حمزة بن بوبكر قد لعب دورا كبيرا في وضع حد للثائر الشريف بن محمج بن عبد الله في معركة نقوسة، قامت السلطات الفرنسية بتعيينه خليفة عنهم على إقليم الصحراء الممتد بين البيض و ورقلة و ذلك بمساعدة الكابتن كولومب –ضابط في مكاتب الشؤون العربية- و استغلته في إدارة هذا الإقليم إلى أن استتب لها الأمن فقامت بعزله من منصبه[2].

لقد تضاربت الروايات التاريخية حول مصير حمزة بن بوبكر، و حسب السلطات الفرنسية أنه أغتيل على أحد نسائه لخيانته، و بوفاته تولى قيادة القبيلة من بعد ابنه سي سليمان و لكن هذا الأخير كان عكس والده إذ سرعان ما أعلن الثورة ضد الفرنسيين في سنة 1864م[3].

و شملت هذه الثورة أنحاء واسعة من الصحراء و كبدت العدو خسائر فادحة و خاصة في الإقليم الممتد من فقيق إلى تافيلالت، و أملا في المزيد من التوسع أنشأت السلطة الفرنسية عدة مراكز عسكرية بين ورقلة و

[1]) سعد الله، أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص378.
[2]) يحي، جلال، تاريخ المغرب الكبير، المرجع نفسه، ص191.
[3]) يحي، جلال، تاريخ المغرب الكبير، المرجع نفسه، ص197.

المنيعة و ظلت إتفاقيتها مع بني ميزاب تعيق تحركاتها العسكرية المشبوة، و عندما أدركت عدم جدواها معهم قامت بالزحف على بني ميزاب سنة 1882 و هو ما فتح الباب لمواجهات دامية بين المزابيين و الفرنسيين، و لكن الغلبة كانت للعدو الفرنسي، الذي تمكن في سنة 1891م من اقتحام المنيعة و تأسيس مركز عسكري دائم بها، و من المنيعة قررت احتلال عين صالح و واحات توات، و لتحقيق ذلك شرعت في تشييد العديد من المراكز العسكرية و الحصون المنيعة في قلب الصحراء، و التي من أهمها:"حصن ماريبال" في حاسي شبابة على بعد 135 كلم جنوب المنيعة –على طريق عين صالح عبر تادمايت- و حصن "ماكماهون" في حاسي العمار على بعد 165 كلم جنوب غرب المنيعة في واد مقيدات على طريق قورارة[1].

و إذا كانت القوات الفرنسية قد تمكنت في سنة 1895 من احتلال الأبيض سيدي الشيخ و جنان بورزق في الجنوب الوهراني فإنها قامت في سنة 1897 بنقل مركز دائرة أقصى الجنوب من غرداية إلى المنيعة و من هناك بدأت ترسل في بعثاتها نحو الجنوب، فعلى سبيل المثال أرسلت يوم 1899/11/28 بعثة من ورقلة إلى عين صالح و التي وصلت يوم 1899/12/09 إلى حاسي إينفل، و في يوم 15 ديسمبر وصلت حاسي السوقي، و غادرته يوم 18 لتلتحق بحاسي المقر و منه إلى رق أجماد و واد مسين، و في يوم 12/26 وصلت فوقارات الزوا، و من الغد حطت رحالها بواحة إيقوستين[2].

و حين علم سكان الناحية بنوايا هذه البعثة، شنوا عليها هجوما مفاجئا يوم 1899/12/28 في الصباح الباكر بقوة تقدر بحوالي 1200 مجاهد. بقيادة الحاج المهدي باجودا رئيس قبيلة أولاد باجودا، و استمر القتال حتى العاشرة صباحا حيث استشهد هو و جمع هائل من أنصاره و سيطر النقيب "بان" على الموقف خاصة بعد أن تدعم موقفه بفرقة من الصباحية بقيادة النقيب "جرمان"، و بهذا الانتصار تكون البعثة قد واصلت سيرها و دخلت القصر الكبير لتستقر بقصبته خلودا للراحة، و منه واصلت سيرها نحو عين صالح، و بالقرب من قصر دقاشمة- فاحتمى الفرنسيون بحصونه و حدائقه، و بدأ الاشتباك حوالي الساعة 9 صباحا[3]. و نتيجة لعدم توازن في القوى فقد الثوار العديد من الجرحى و القتلى.

[1]) إبراهيم، مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، (1881-1912) منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص107.

[2]) المرجع نفسه، ص109.

[3]) يحي، جلال، تاريخ المغرب الكبير، مرجع سابق، ص208.

و أمام هذا الوضع الصعب قرر الوالي العام "لافريار" تدعيم البعثة بقوات إضافية فأمد القائد بومقارتن —القائد الأعلى لدائرة القليعة- بالتحرك نحو عين صالح على رأس الفرقة العسكرية الصحراوية و التي ضمت 150 جنديا قوميا، و في يوم 1900/01/18 وصلت إلى القصر الكبير، و بعد مواجهات واهية مع الثوار تمكنت من الدخول إلى بني صالح[1]. و إذا كانت فرنسا قد حققت إنجازا عظيما و بهذا الفوز، فإنها واصلت زحفها نحو الجنوب، و في هذا الشأن أصدر الوالي العام تعليماته إلى الرائد بومقارتن باحتلال عين غار، و كلف هذا الرائد الملازم "كلوستر" بالسير إليها على رأس 100 فارسا للتعرف على الواحة.

غادر هذا الأخير عين صالح يوم 1900/01/21 و دخل عين غار دون مقاومة و هو ما دفع بـ"بومقارتن" إلى الالتحاق به على رأس كوكبة من الصباحية الصحراوية و 100 جندي، 120 قومي لاحتلال كامل هذه الواحات، و ترك وراءه الملازم "جون" في عين صالح و برفقته 30 جنديا و 30 قومي، و في يوم 1900/01/24 تمكن من الوصول إلى عين غار و طلب من السكان الخضوع له، إلا أنه واجه مقاومة شرسة من لدنهم.

هذه المقاومة دفعت بوزير الحربية أن يصدر أوامره بالعودة إلى عين صالح فوصلها يوم 27 جانفي، و من هناك ظل يخطط لعمليات قادمة. و هكذا و في ظرف زمني قصير تم احتلال إيغلي بواسطة طابور "برترون" « Bertrand » و في يوم 25 مارس 1900 وصل دوفيريبه و انحدر مع واد زوزفانة و دخل إيغلي دون حوادث و تمكن من احتلالها نهائيا يوم 05 أفريل 1900 و بقوة عسكرية قدرت بـ 75 ضابط و 1775 رجلا. في الوقت الذي كان فيه الثوار لا يبلغون هذا العدد، و من هناك اتجه طابور العقيد "أو" « Eu »إلى عين غار بعد أن اجتمع في عين صالح و ضم قوة هائلة تقدر بأكثر من 1000 رجل و مدفعين و حاصرواقصورها و استعدت للمقاومة تحت قيادة الباشا أوريس الذي أرسله العرش المغربي لتنظيم المقاومة بالمنطقة، و بعد أن نظمت القوات الفرنسية نفسها كانت قد أعلنت عن هجومها يوم 19 مارس بقصف مدفعي كبير و هو ما دفع بالثوار إلى التراجع و الإحتماء بقصبة أولاد حاديقة و بالمسجد و بقصبة حديقة أولاد أحمد بلول، هذا الاحتماء دفع بالعدو إلى تحطيم جدران القصبة و قتل العشرات من السكان و المواشي، و هو ما أرغم السكان على الاستسلام و اقتحمت عين غار من جديد و للمرة الأخيرة و أسر الباشا[2]. و

[1]) إبراهيم، مياسي، المرجع السابق، ص109.

[2]) إبراهيم، مياسي، المرجع نفسه، ص112.

من هناك توجهت القوات الفرنسية إلى احتلال تيت يوم الخميس دون مقاومة تذكر و يوم 25 مارس احتلت أقابلي –تضم 05 قرى صغيرة– و في يوم 28 منه احتلت واحة من أجمل الواحات، و هي تقع إلى جنوب شرق مدينة رقان[1] .

[1]) المعهد التربوي الوطني الجزائري، الأطلس العالمي، ص19.

المبحث الثالث: التوغل في القسم الغربي الجنوبي و أهم معاركه:

ليس من السهولة بمكان حصر معارك هذا القسم لكثرتها و لذلك سنشير إلى أهم المعارك فقط، و لمعرفة ذلك يجب الرجوع إلى سنة 1844 و 1845 و 1847 و هي سنوات تمثل الأولى، معركة واد إيسيلي بالمغرب الأقصى، و الثانية معاهدة لالة مغنية و الثالثة توقف الأمير عبد القادر عن الحرب، فمعاهدة مغنية على الحدود كانت غامضة حول حدود وهمية التي وضعتها بين الجزائر و المغرب، و هي تمتد من البحر المتوسط إلى ثنية الساسي حيث يتوقف خط الحدود، و تبقى المنطقة مفتوحة أمام كل الاحتمالات و بناء عليها مدت فرنسا يديها إلى التوسع نحو الجنوب، ففي سنة 1845 استولى "بيري" على قصور حميات و تيستيطين و رسول، و برازفيه، و في سنة 1847 أشرف على مناطق أولاد سيدي الشيخ إلى واد ناموس.

مع مطلع النصف الثاني من القرن 19 ظهر في منطقة التخوم الجزائرية المغربية الثائر محمد بن عبد الله[1]، و انطلق في جهاده من سهل طريفة و كتب رسائله إلى أعيان المنطقة يدعوهم فيها إلى الجهاد، و من بين هؤلاء الحاج ميمون بن البشير على رأس بني سناسن، و الماهية و الأنجاد و الأنقاد. و الشيخ محمد بن المكي، كان ذلك كله في سنة 1859. انطلقت الثورة في شكل معارك متفرقة كان أبرزها معركة سيدي زاهر (30 أوت 1859) و تكبد خلالها العدو خسائر فادحة و بعد فترة قصيرة و تجديدا للعزائم اندلعت مرة أخرى يوم 11 أوت 1859.

معركة أخرى قرب زاوية سيدي العنبري، ولوضع حد لهذه الثورة قام الجنرال"مارتينبري" martimpery بمعاقبة السكان إلا أنه ينهزم أمام صمودهم وانسحب تاركا وراءه 3500قتيلا- بسبب مرض الكوليرا أصاب جنوده[2].

ولا شك أن أهم المعارك التي عرفتها المنطقة هي التي كانت أثناء ثورة الشيخ بوعمامة (1881-1908) ويمكن تتبع ذلك في ما يلي:

-معركة مولاق1881/05/19 تعود شرارتها إلى مقتل ضابط فرنسي برتبة ملازم وأربعة من حراسه عند ما حاولوا اعتقال الطيب الجرماني أحد أقارب بوعمامة يوم 81/04/22 فتحركت قبائل ترافي، عمور،

---

[1]) أحد الأشراف قدم من السوس و أخذ يعلم في زاوية كرزازة و يقال أنه صوفي على الطريقة الطيبية.

[2]) سعد الله، أبو القاسم، الحركة الوطنية، المرجع الشابق، ص383.

قام الشيخ بوعمامة بمسيرتين نحو الشمال، الأولى في جوان1881 حيث اقترب من بلدة سعيدة ومعسكر وهاجمت قواته بعض القبائل الموالية للفرنسيين وحطمت منشآت الشركة الفرنسية الجزائرية لاستغلال الحلفا ببلدة خلف الله، وقطع الخط الهاتفي الرابط بين فرندة والبيض وبعد 23يوما رجع المجاهدون إلى بلدة بوسمعون جنوبا يوم21جوان1881[1]، وفي شهر جويلية قام بالمسيرة الثانية نحو الشمال أحاطت فيها قواته بالشط الشرقي وعادت إلى بلدة التواجر بعد أن خاضت معارك شرسة أهمها.

معركة الخيذرو ولهاصي:

نتيجة لتدنيس قبة سيدي الشيخ وتهديمها تحركت قبائل العمور وخاضت معارك دفاعية في جبل بني سمير ومير الجبال جنوب غربي عين الصفراء، خلال شهري أكتوبر ونوفمبر وفي شهر ديسمبر وصلت القوات الفرنسية إلى قصر مغرار الفوقاني ثم التحتاني، وفي هذه الأثناء دمرت مساكن بوعمامة. وفي بني ونيف دافع أنصاره عن أنفسهم، وفي يوم 82/02/02 خاض المجاهدون معركة فندي تراجع بوعمامة بقواته وهو ما دفع بالفرنسيين إلى التراجع نحو عين الصفراء وفي يوم82/02/26 جرت معركة تيقرت وهاجم الثوار من خلالها قوات الضابط دو كاستري في تيقري وترتب عن ذلك خسائر هائلة في صفوف الفرنسيين وهو ما جعلهم يثأرون من هزيمتهم بالهجوم على قبائل بني غيل المغربية في واد الشارف بالمغرب في شهر ماي 1882م. ومن هناك ظل الشيخ بوعمامة ينتقل في المنطقة حتى رحاله بمنطقة دلدول حيث احتفظه قبائل أولاد عبو التابعة لدائرة آوغروت، إدرار، وظل يراسل في شيوخ زوايا المغرب والطرق الصوفية وخاصة الدرقاوية بتافيلات[2]. وفي هذا التاريخ تشهد الصحراء ثورات عدة كلها متضامنة من الشرق إلى الغرب.

معركة مغرار:

قام بها جماعة من أنصار بوعمامة ومن أولاد مولات من توات في سنة 1886 ضد الموالين لفرنسا وفي السنة الموالية قامت جماعة من الشعابنة والطوارق بعمليات استشهادية في تلك المناطق، ومن ذلك أيضاً هجوم

---

[1]) المرجع نفسه، ص27.

[2]) أحمد، العماري، مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب و الجزائر و استغلالها في المخطط الفرنسي للسيطرة على المغرب من حوالي 1830-1902، رسالة ماجيستير في التاريخ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1981، ج3.

الشرفة، أولاد سيدي أحمد المجدوب، حميات جعابنة، وسكان القصور الجنوبية، بنو جيل، وأولاد جرير، وشارك أولاد سيدي الشيخ الغرابة بإمدادات عسكرية هائلة. وتكون الطرف الفرنسي من:

-03 فيالق مشاة(زواف، لفيف أجنبي، رماة) بقيادة الكولونيل سوينةsuiney.

04سرايا من قناصلة جيش إفريقيا الرابع بقيادة الكولونيلinnocenti .

-01فرقة مدفعية.

فرق متنوعة مساعدة.

-03فرق من القوم (قوم سعيدة، فرندة ،تيارت بقيادة الآ ا قدور ولد عدة.

-2500 جملا محملة بالمؤونة يحرسها 600أهلي. ويخضع هذا التنظيم لقيادة الجنرال"كولينيون دانسي"« collienon dancy » إلا أنه سرعانت ما تخلى عن قيادتها-مرض- في البيض لصالح الكولونيل إينوستي[1].

ومن جانب بوعمامة كان تحت قيادته 2300 رجلا(فارس +مشاة) تتوزعهم القبائل كما يلي:

-قبائل ترافي 700، أولاد زياد180، الحرار150، أولاد سيدي الشيخ الغرابة 250، مغرار100، أولاد عمور170،أولاد سيدي التاج 50وسكان القصور الجنوبية 500 و190من قبائل أخرى، هذه الحشود أدت إلى الاصطدام يوم 19ماي81 في مولاق، ورغم قوة مدفعية العدو انتصر الثوار ومن نتائج هذه المعركة.

-الطرف الفرنسي: 37 قتيلا، 16جريحا منهم ضابط، 4 مفقودين(في حين عدد ضحايا الطرف الجزائري 400شهيد ولقد تضاربت الروايات بين مقلل ومكثر في الخسائر البشرية[2]. ومن نتائجها أيضا هو إرغام ايندستي على الاتجاه نحو خيضر في الشمال بدلا من العودة إلى البيض"جرنيل" وبمجرد أن وقعت هذه المعركة اختفى إينوستي وحل محله الجنرال"ديتريه"« detrie » وهو ما فسح المجال لـــ:بوعمامة أن يتجه نحو مدينة الأبيوض سيدي الشيخ. لإعداد مسيرته القادمة.

---

[1]) عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة (1881-1908) جانبها العسكري (1881-1883)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص13.

[2]) عبد الحميد زوزو، المرجع نفسه، ص17.

أنصاره على الفرنسيين في حاسي بوخنفوس في خريف 1891[1]. ومن جهة فرنسا فإنها دعت إلى التعجيل باحتلال الصحراء ومن بين الذين دعوا إلى ذلك الضابط" رض" الذي دعا إلى السكة الحديدية بعيداً نحو الجنوب وكتب يقول" ستكون أكثر قوة من البدو الذين يسيطرون على هذه المنطقة" وتطبيقا لهذا الأمل تم الاستيلاء على المنيعة، وتسهيل الاتصال بقورارة وتوات وتاديكالت.

معركة قورارة وتوات واحتلالهما:

إن الانطلاق في احتلال هذه المناطق سيكون من الصحراء الوسطى، (القسم الأوسط) ففي يوم 1900/04/27 قامت فرنسا بإرسال طابور العقيد مينسترال" MENESTELلإخضاع قصور قورارة انطلاقا من المنيعة قدرها 850 جندي ومدفعين إلا أنه وجد مقاومة شرشة من السكان جعله يطلب المساعدة من الحامية الفرنسية بالبيض بفرقة قدرها 400 جندي وبهذه القوة تمكن من اقتحام تيميمون يوم 1890/05/12، وواصل سيره يوم 31 ماي نحو قصور زوا ودلدول.

وفي يوم 1901/01/08 تشكل طابور قوي رحل من تيميمون يوم 16 وعندها قام الجنرال سرفيار(SEA VIERE) بأخذ جميع احتياطاته ولنجاح هذه المهمة رصدت لها فرنسا طابورين آخرين الأول بقيادة سرفيار (800 جندي و4 مدافع والثاني تشكل من حوالي 300 جندي، ولصالحها، وكانت الانطلاقة من تيديكالت لتلتقي مع طابور الجنرال الذي انطلق يوم30 جانفي من تيميمون في بلدة تيمي، وبعدها تدخل القوات الفرنسية إقليم توات وتخضعه لصالحها، ووقعت أدرار عاصمة الإقليم في قبضة العدو يوم 1901[2]/02/10.

ومع مطلع سنة 1901 حاولت إخضاع منطقة الساورة وتنصيب حاميات عسكرية بها ومن بين هذه الحاميات اذكر تاوريت وتاغيت تحت القيادة العليا للعقيد" بيبه" BILLET وفي يوم 1901/03/01 احتلت بني عباس ونقل مركز مكتب الشؤون الأهلية من إيفلي إلى بني عباس، وأشرف على هذا الاحتلال الجنرال" رسبورغ" RISBOURG قائد الناحية العسكرية بوهران الذي استقر ببني عباس وأرسل هذا

---

[1]) خليفي، عبد القادر، "فرقة الشيخ بوعمامة في الجنوب الكبير"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، عدد 10، دار البعث، قسنطينة، رجب، 1422هـ/20 سبتمبر 2001م، ص191.

[2]) إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص115.

الأخير على الجنرال" سرفيار" لالتقاء قواتهما وتلاحمهما، وقد حدث هذا في قصابي يوم 01/04/13، وبعد هذا التنظيم العسكري عينت السلطات على رأس هذا المركز السيد" لابيرين" قائد أعلى للقوات الصحراوية[1].

قام" لابيرين" بتنظيم فرق الصحراء لضمان التوسع، ولذلك أنشأ الإقليم الصحراوي الذي سوف ينفصل في الشمال ابتداء من 02/12/31 وحينها تم إسناد النقاط الهامة في الصحراء توقرت، غرداية، عين الصفراء، الواحات الغربية إلى ضباط الشؤون الأهلية تحت سلطة القائد الأعلى المتصل مباشرة بالوالي العام للجزائر، ونظمت ثلاثة سرايا صحراوية جديدة خلال جويلية 1902 لتعويض الوحدات التقليدية، ورغم ذلك تندلع معارك أخرى أهمها

معركة بئر قصر الفروج يوم 1903/30/29 قام بها أولاد جرير ضد فيلق عسكري أثمرت قتل08 فرنسيين منهم العريف" فوريبيه لوفي"" "FORIER LoVY" وستة جراحى وغنم العديد من الأسلحة والدخيرة، وفي يوم 06 ماي قام أيضا أولاد جرير وبني غيل (1500 زجل منهم 600 فارس بالهجوم على قافلة نحو عين عباس- أسفرت عن قتل العديد من الفرنسيين وعرقلة تقدمهم نحو الجنوب.

إخضاع منطقة الساورة وأهم معاركها:

خلال هذه الفترة شهدت معارك عسكرية حاسمة منها:

-معركة الموقار يوم 1903/09/02 وقبلها كان هجوم تاغيت، وفي هذه الأثناء عينت فرنسا العقيد"ليوتي"LYAUTEY "على قيادة عين الصفراء لمراقبة ضواحي أولاد جرير وذوي منيع في حوض زوزفانة، وتمكين القوات الفرنسية من احتلال منطقة توات عن آخرها وهكذا احتازت القوات الفرنسية جبل بشار في 11 مارس واحتلت كولومب بشار ونصبت فيه مركز عسكري لتصبح عاصمة المنطقة.

يوم 03 ماي 1904 اندلعت معركة نقلة براد ذوي منيع والبربرية وعلى إثرها تدخلت القوات الفرنسية إلى جانب ذوي منيع تحت قيادة " بيرون" "PIERRON" وبمشاركة فرقة بشار بقيادة الملازم" كانافي" "CANAVY" وفرقة بني عباس بقيادة" إيفري""IVRY" التي اجتمعت بالغلي للانطلاق في ملاحقة

[1]) إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص117.

الثوار في عقلة برداو استطاعت أن تشتتم وتفك منهم35 جملاً، وإثر ذلك استمرت التنظيمات للمناطق المحتلة فأنشأت السلطة لحقت إيلغي بمنطقة بني عباس وعوضت النقيب" رينو" "RENAULT" قائد بني عباس منذ احتلاله بالنقيب" دوري" "DAURY" أول قائد للكتيبة الصحراوية بالساورة، ولكنه عوض قبل نهاية1904 بالنقيب "مرتان" "MARTIN" لإنجاز المشاريع التوسيعية[1].

في أواخر 1904 اجتمعت قوة من شعابنة بوعمامة والبربرية وذات تسليح جيد وفي يوم 04/12/11 أعلنت عن هجوم قوي ضد دورية من الكتيبة الصحراوية للقورارة- معركة القورارة- تم اسر وقتل ابلعديد من الفرنسيين، وفي يوم 14/ديسمبر لهاجمت قافلة البيض ونهبت منها حوالي 40 شخصاً وحوالي 1000 جملاً. وهو ما أدى إلى استنفار القوات الفرنسية في بني ونيف وبشار وتاغيت وتيميمون لملاحقة الثوار ومطاردتهم. ولذلك اجتمع قوة كبيرة ضمت كتيبة قورارة تحت قيادة الملازم " بلنية" "BELENE" والكتيبة الصحراوية بالساورة تحت قيادة الملازم "روسو" "ROUSSEAU" وراكبي الجمل من تيديطالت تحت قيادة الملازم "فوانو" "VOINOT" والكل تحت قيادة النقيب مرتان، وتم الاشتباك يوم 12/30 /بغارات دويفة شمال مريجة[2].

ومع مطلع سنة 1906 قامت القوات الفرنسية بهجوم مفاجئ ضد شعابنة الشيخ بوعمامة كما قام النقيب " مرتان" بجولة من 2/17 إلى 01 مارس1906 للتعرف على طابلبلا ووادي داورا بالعرق الرواي جنوب غرب بني عباس لاحتلالها فيما بعد كما قام بجولة أخرى استثنائية من 12 جوان إلى 22 جويلية إلى صويتي شمال غرب بني عباس على حواف مرتفع كمكام، وفي شهر مارس 1908 اندلعت معركة قرب داورا لمحو البعثة الاستطلاعية المتجهة نحو الغرب، فقامت بمحاصرة القوات الفرنسية المخيمة بالحمادة ليلاً وانقضوا عليها بشكل قوي وقتل فيها الملازم " رونيه""REGNIER" وجرحوا العديد من أفرادها مقابل شهيدين و15 جريحا وسميت هذه الواقعة بمعركة الحميدة[3].

وفي أواخر شهر سبتمبر 1908 تكونت قوة هائلة تحت قيادة بوجمعة بن جمعا من أولاد جرير وانحدرت مع واد قيل وزوزفانة لطرد العدو واعترضت سبيلها قوات مركز بشار وإيغلي وبني عباس في معركة هائلة فقد

[1]) المرجع نفسه، ص119.
[2]) المرجع نفسه، ص120.
[3]) المرجع نفسه، ص122.

العدو خلالها عدة جنود وضباط على إثر ذلك قام الملازم"ريوتو" "RIOTTOT" في جويلية 1909 بجولة تفقدية بالعبادلة وتعرف النقيب "كونسال""CONCEL" على عرق ايقيدي اواخر سنة 1909 ومطلع سنة 1910.

في سنة 1910 تم احتلال تابلبالا- واحة –كما قام النقيب "بيريو""BERRIAU" خلال شهر أفريل سنة 1911 بزيارة قير الأسفل بمنطقة براد بوعلاس ورجع فيشهر ماي عن طريق تابلبالا .

في ديسمبر 1911 انطلقت قوة من راكبي الجمال والقوم تحت قيادة النقيب ماس – لاتري MAS- LATRIE قائد كتيبة توات لتستقر بمنطقة عقيلات محمد ولتراقب الثوار عن كثب.

وفي يوم 1911 اندلعت معركة القطارة بين الفرنسيين والجزائريين.

وحوالي 150 مجاهداً ولقد شارك فيها عدد هائل من المغاربة، اولاد جرير.

وخلال 30/19 نوفمبر 1912 اندلعت معركة بئر زمالة ومعركة فريزم على تخوم علرق الشاش كآخر مرحلة لاحتلال هذه المناطق[1].

[1]) المرجع نفسه، ص124-125.

الفصل الثالث

التنظيم الاستعماري في الجنوب الجزائري

في هذا الفصل سنتطرق إلى السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجنوب الجزائري، وعنونا الفصل ب: التنظيم الاستعماري في الجنوب الجزائري، محاولين تسليط الضوء فيه على جوانب مختلفة من التنظيمات الاستعمارية الفرنسية المطبقة في أراضي الجنوب الجزائري .

وقسمنا دراستنا إلى عدة عناصر رئيسية منها التنظيم الاستعماري في الجانب العسكري والتطورات التي عرفها وردود الفعل حول هذا التنظيم، ثم التنظيم الإداري الفرنسي في الصحراء الجزائرية واهم عناصره وخصائصه سواء من جانب التقسيم الإداري أو من جانب التسيير الإداري لأراضي الجنوب .

كما عالجنا السياسة الفرنسية المتبعة في الجانب المالي، معتمدين على تطورها من خلال مجموعة من الإحصائيات والأرقام في سنوات مختلفة، كما حللنا السياسة الاستعمارية في الصحراء فيما يخص الجانب الاجتماعي (تطور السكان، والتعليم، والصحة، والقضاء ..)، مستشهدين بإحصائيات ذات دلالة .

فلقد واجهت فرنسا عقبات كثيرة في تطبيق سياستها على أراضي الجنوب ، فقد اصطدمت بمقاومات عنيفة من طرف الجزائريين وأيضا تخوفات المستوطنين من السياسة المنتهجة في الصحراء خاصة في الشق المتعلق بفرض النظام أو الحكم العسكري على الجنوب مقارنة بشمال البلاد ، مما دفع بالسلطات الاستعمارية العليا إلى طمأنة المعمرين بان الحكم العسكري لن يقيد مشاريعهم ولن يقف حائلا أمام تحقيق أهدافهم المختلفة ، وعلى هذا الأساس لجات فرنسا إلى تنظيم أراضي الجنوب في مجالات عديدة لخدمة الحركة الاستيطانية بالدرجة الأولى ، في حين كان على الأهالي تحمل الحكم العسكري الاستثنائي عليهم ، إذ سيستفيد العنصر الأوروبي من هذا التنظيم مقابل إجحاف وتعسف كبيرين بحق الجزائريين .

المبحث الأول: التنظيم العسكري.

أولا: وضعية الصحراء الجزائرية تحت السلطة العسكرية (أراضي الجنوب):

ظل الجنوب الجزائري موضوع حكم عسكري طوال فترة خضوعه للاستعمار الفرنسي،واتضح ذلك جليا بموجب قرار 24 ديسمبر 1902،ويمثل هذا القرار عزل المناطق الجنوبية عن الجزائر قهرا. والتي كانت حتى سنة 1900 ضمن المجال الجزائري الواسع وصارت ترزخ تحت حكم شبيه بما كان في الشمال قبل 1870، حيث صار العسكريون مهتمون بالشؤون الأهلية،وزالت بذلك مهام المصالح العربية الإدارية،هذه الأخيرة لم يعد لها دور حتى في مواجهة الاستعمار العقاري الذي ليس أن يغزو الرمال. فإذا كان الضباط العسكريون سنة 1919 يطالبون اللجان المالية بالتوسع إلى غاية ورقلة وتحديد القطاع المدني، فإن المعمرين يعارضون ذلك المطلب ولن يتم إلا سنة 1947 حيث بدأ النظام المدني يحل شيئا فشيئا محل النظام العسكري[1].

طرح السؤال نفسه في هذه الفكرة بشأن السبب الذي حذا بفرنسا لأن تضع هذا الحكم في المناطق الجنوبية فقط، وإننا سنجد الإجابة في قول أوقيستان برنار A. Bernard، في ختام دراسته عام 1906، تحت عنوان: "التغلغل في الصحراء": "من المؤكد أن الصحراء لا تستحق التضحية بالكثير من الرجال ولا بالكثير من الأموال. فهي ذات أهمية ضئيلة إن لم تكن منعدمة، سواء باعتبار قيمتها الذاتية نفسها أو على اعتبار كونها منفذا نحو السودان. يجب الاحتراز والحرص على عدم تطوير بعض التنظيمات الأولية التي زودناها بها، ولقد بينت التجربة أن جهدا محدودا يكفي للقيام بالعمل العسكري وهذا هو الأساس"[2].

وما يلفت الانتباه في هذا النص، أن الاتجاه العام، الذي حدده برنار، والذي يعتبر موجها في نفس الوقت بالنسبة لدوائر القرار في الجزائر وفي فرنسا، في كل ما يخص السياسة الاستعمارية في منطقة المغرب بالنسبة لمستقبل الأقاليم الجنوبية، هو الخط الذي سارت عليه إدارة الاحتلال في تسييرها لأراضي الجنوب[3].

ومثلما ورد في تقرير رسمي لسولت سنة 1845، أن تنظيم أراضي الجنوب دعت إليه نقطتان:

أ– تخفيض المصاريف العسكرية، التي يتطلبها الاحتلال، إلى أقصى حد ممكن وبالخصوص في الواحات الصحراوية وعلى الحدود المغربية.

---

[1] نوشي أندري وآخرون ، المصدر السابق،ص.397.

[2] M. Duclos, les territoires du Sud de l'Algérie, gouvernement général de l'Algérie, Alger 1929, p.2

[3] قنان جمال، المرجع السابق،ص ص.149-150.

ب– تخفيض الموارد الحاصلة من مختلف الضرائب والعوائد في تنمية صلاح هذه الأراضي[1].

ويمكن القول أن قانون 1902/12/24، الخاص بتنظيم مناطق الجنوب، أُعد بطريقة بسيطة وسريعة في شكل اتفاق بين الوزراء الثلاث: وزير الخارجية ووزير الحرب ووزير المالية[2]، كما طرحت فكرة تنظيم هذه المناطق في البرلمان الفرنسي، عند مناقشة الاعتمادات المالية المخصصة لتغطية نفقات الحملات العسكرية في الجنوب. وقد لاحظ أعضاء البرلمان أنه لابد من وضع حد للإسراف والمبالغة في تبذير مثل تلك المبالغ الضخمة، التي صُرفت باسم نفقات الحملات على الجنوب. لقد كان واضحا للعيان أنه لابد من وضع ترتيب للمصاريف العسكرية في بنود يسهل ضبطها ومراقبتها[3].

بعدئذ تقدمت الحكومة بطلب إلى البرلمان لإعداد مشروع قانون لإدارة المناطق الجنوبية في ظرف قصير جدا. وكان أن عُرض المشروع على البرلمان، لمناقشته في دورة الربيع 1902، حيث تمت المصادقة عليه بعد تعديلات طفيفة. غير أن المشروع سيلاقي معارضة من عدد من أعضاء مجلس الشيوخ، حين يتم عرضه على الغرفة الثانية. بل وسيطالبون بعرضه على الهيئات المنتخبة في إدارة الاحتلال بالجزائر (المجلس الأعلى للحكومة و المندوبيات المالية والمجالس العامة للعمالات). وفي جلسة خريف 1902، صادق مجلس الشيوخ على مشروع القانون، الذي أقره البرلمان في شهر مارس بدون تعديل كبير، ليصبح ساري المفعول منذ 24 ديسمبر 1902، تحت اسم "تنظيم أراضي الجنوب الجزائري"، ويُحدث بذلك ميزانية مستقلة خاصة بهذه المناطق، والتي ستدخل حيز التنفيذ في جانفي 1903[4].

---

[1] نوشي أندري وآخرون، المرجع السابق، ص396.

[2] M. Duclos, op.cit, p 203.

[3] قنان جمال، المرجع السابق،ص147.

[4] نفسه، ص 149.

ثانيا: ردود الفعل حول هذا التنظيم:

- **ردود فعل المستوطنين على السياسة الفرنسية في أراضي الجنوب:**

لقد واجهت فرنسا عقبات كثيرة في تطبيق سياستها على أراضي الجنوب. فقد اصطدمت بمقاومات عنيفة من طرف الجزائريين، الذين رفضوا التدخل الفرنسي في الصحراء، كما أنها لم تسلم حتى من المستوطنين الذين تخوفوا من هذه السياسة، التي ستكون نتائجها وخيمة عليهم. وكان تحفُّظ المستوطنين يكمن في عدة جوانب أهمها:

1- أنهم كانوا يعتقدون أن هذا التنظيم الجديد لأراضي الجنوب، ومحاولة وضعها تحت حكم واحد وهو الحكم العسكري، سوف يكون خطرا يهدد الإدارة المدنية في المناطق الشمالية الذي سيؤدي إلى تصفيتها.[1]

2- خشية المستوطنين من أن يتسبب هذا التنظيم في غلق أبواب الجنوب أما حركة الاستيطان الأوروبي[2]

3- وضع ميزانية خاصة بأراضي الجنوب سيحرم الخزينة العامة لمناطق الشمال من المداخيل المعتبرة، التي كانت تحصل عليها ميزانية الجنوب من جباية الضرائب المباشرة العربية والضرائب غير مباشرة التي كانت من الهضاب العليا

4- كانوا متخوفين من تحمل خزينة المستعمرة نفقات القوات العسكرية في الجنوب خاصة بعد استقلالها المالي في 1900.[3]

- **رد فعل فرنسا تجاه تخوفات المستوطنين:**

---

[1] نوشي أندري وآخرون، المصدر السابق،ص 397.

[2] قنان جمال ، المرجع السابق،ص 148.

[3] نفسه، ص 148.

نتيجة لتخوفات المستوطنين من السياسة المنتهجة في أقاليم الجنوب، فإن السلطات الفرنسية سعت جاهدة لإرضائهم وإقناعهم بكل الطرق والوسائل بأن كل ذلك يخدم مصالحها، التي هي مصالحهم أيضا.

* فقد أوضحت بأن أراضي الجنوب لن تكون تحت حكم عسكري واحد، بل قسمتها إلى أربعة مقاطعات، تخضع كل واحدة منها لقائد عسكري، يكون تحت إشراف ومراقبة الحاكم العام في كل الشؤون المدنية وعن طريق قائد الجيش التاسع المتمركز في الجزائر.[1]

* أما بالنسبة لتخوفهم من إغلاق أبواب الجنوب أمام حركة الاستيطان الأوروبي، فإن فرنسا طمأنتهم بأن الحدود الشمالية للأقاليم الجنوبية ستكون أيضا الحدود الجنوبية لمناطق الحكم العسكري في الشمال، كما التزمت الإدارة الاستعمارية بدفع الحدود الشمالية لهذه الأقاليم نحو الجنوب، إذا ما استدعت ضرورات الاستيطان ذلك.[2]

* وبشأن تحمل خزينة المستعمر لنفقات القوات العسكرية، فقد تعهدت فرنسا بأن توفر ميزانية مستقلة عن ميزانية شمال الجزائر، تعتمد على الاكتفاء الذاتي أي على موارد هذه الأقاليم وحدها، كما أنها ستحصل على الدعم من وزارة الحربية لتغطية نفقات الحاميات العسكرية المتمركزة بها.[3]

---

[1] قنان جمال، المرجع السابق،ص.148.

[2] قنان جمال، المرجع السابق ،ص.149.

[3] نفسه ،ص.149.

المبحث الثاني:التنظيم الإداري:

1- التقسيم الإداري:

أ- المقاطعات:

بموجب مرسوم 1902/12/24، قسمت الحكومة الفرنسية بتقسيم الصحراء (التي تتشكل من منطقتين غير متساويتين هما: ا/ الأطلس الصحراوي، الذي تصل فيه بعض القمم إلى 2000 متر ومساحته 1200 كم^2، ب/ الصحراء، ومساحتها 2 مليون كلم^2.[1]) إلى أربع مقاطعات مستقلة[2]، هي (وفق مرسوم 14 أوت 1905):

- غرداية.
- عين الصفراء.
- تقرت.
- الواحات.

وأصبحت لهذه المقاطعات شخصية قانونية معترف بها، ولها ميزانية خاصة[3]، وكانت كل مقاطعة تتضمن مجموعة من الدوائر والملحقات، وكذلك المراكز. وقد عبّر بروناان A. Prenant عن ذلك في قوله "الذي فيما معناه "عما يجب أن يكون في الجنوب: "مقاطعات، بلدية مختلطة، بلديات أهلية، والتي تتضمن الملحقات، المراكز والتي تسير من طرف ضباط رئيسيين وضباط آخرين تحت تصرف الضباط الرئيسيين الذين يملكون السلطة الإدارية والقضائية والعسكرية"[4].

---

[1] Charles de Galland : Alger et l'Algérie, imprimerie algérienne, Alger, 1924, p.155

[2] Unknown author, Progress in the Algerian Sahara., Bulletin of the American geographical society, vol.40, n°1., 1908., p.19

[3] Claude Collot, op.cit, p.45

[4] Yves Lacoste, André Nouschi et André Prenant : L'Algérie, passé et présent., éd. société, Paris, 1960, p.419

ب- الدوائر والملحقات:

بموجب مرسوم 10 أفريل 1907، كان تنظيم المقاطعات كالتالي:

❖ **مقاطعة عين الصفراء**، وتضم:

- دائرة جيريفيل Geryville.
- دائرة مشرية.
- ملحقة عين الصفراء.
- ملحقة بني ونيف.
- دائرة كولومب بشار، التي تربط بني عباس والتوات ومركز قورارة.

❖ **مقاطعة الواحات**: بحيث تمثل عين صالح مركزا لها:

- ملحقة تيديلكت.
- ملحقة ورقلة.
- مركز القليعة El-Goléa[1].

❖ **مقاطعة غرداية**: ومقرها الأغواط تتضمن:

- دائرة الجلفة.
- ملحقة الأغواط.
- دائرة غرداية2.

❖ **مقاطعة تقرت** (ومقرها تقرت) تتضمن:

- ملحقة بسكرة.
- ملحقة تقرت.
- ملحقة الوادي.
- مركز أولاد جلال3.

---

1 Benakezouh Chabane, op.cit, p.50
2 Idem,
3 Valet René, op.cit. p.40

وقد كان التنظيم الإداري في هذه الأقاليم مزدوج بحيث يوجد:

- تنظيم عسكري، تمثل في مراكز الحكم من دوائر وملحقات.
- تنظيم إداري مركب من بلديات مختلطة وأخرى أهلية[1]. **ج – البلديات:**

الجدول التالي يوضح عدد البلديات المختلطة والأهلية في كل إقليم في 1 جانفي 1904[2].

البلديات / الإقليم	البلديات المختلطة	البلديات الأهلية
إقليم عين الصفراء	– عين الصفراء – مشرية – جيريفيل	كولومب بشار
إقليم غرداية	الأغواط، الجلفة	غرداية، الأغواط، الجلفة
إقليم توقرت		بسكرة، توقرت
إقليم الواحات		الواحات الصحراوية

[1] Benakezouh Chabane, op.cit, p.51
[2] M. Duclos, op.cit, p.618

ولم يبق هذا لتقسيم على حاله بل كان هناك تطور أقر في 31 ديسمبر 1928، والجدول الموالي يوضح تقسيم البلديات وتصنيفها ابتداء من 1 جانفي 1929[1].

الإقليم / البلديات	البلديات المختلطة	البلديات الأهلية
إقليم عين الصفراء	- عين الصفراء، كولومب، بشار، - مشرية، جريفيل	الساورة، توات، قورارة
إقليم غرداية	الأغواط، الجلفة	غرداية
إقليم توقرت	توقرت	بسكرة ، الوادي
إقليم الواحات		ورقلة، تيديكلت، هقار

[1]. idem

وكتنظيم نهائي، صار عدد البلديات المختلطة 10 بلديات في حين صار عدد البلديات الأهلية 9 بلديات في سنة 1932 وكان التقسيم والتصنيف كالتالي[1]:

البلديات / الإقليم	البلديات المختلطة	البلديات الأهلية
إقليم عين الصفراء	- عين الصفراء، كولومب، بشار - مشرية، جريفيل	الساورة، توات، قورارة ومركز بني عباس ومركز أدار، ومركز تيميمون، تندوف
إقليم غرداية	مركز الأغواط، الجلفة	غرداية
إقليم توقرت	مركز توقرت، بسكرة، الوادي، أولاد جلال	
إقليم الواحات		ورقلة، تيديكلت مركزها عين صالح، آجّر Ajjer، مركزها جانت، الهقار، ومركزها تمنراست

1 Benakezouh Chabane, op.cit P 15.

2- تسيير أراضي الجنوب:

أ- على مستوى المقاطعات:

أما عن تسيير هذه الأقاليم، فإن المرسوم الذي صدر في 14 أوت 1905، فكان يهدف إلى تنظيم أراضي الجنوب إداريا وعسكريا، كما وضع إدارة الجزائر العليا في يد الحاكم العام بواسطة صلاحيات تشبه من حيث الشكل تلك التي منحه إياها مرسوم 23 أوت 1898. وقد أكدت المادة الأولى من مرسوم 14 أوت أن للحاكم العام وحده فقط حق الاتصال بالوزراء، ومن جهته احتفظ قائد الجيش 19 بصلاحية الاتصال بوزير الحرب، فيما يتعلق بالنظام العسكري الذي يهدف إلى حماية أراضي الجنوب والعمل على استتباب الأمن فيها، تماما مثلما نص على ذلك المرسوم 1901/06/27[1].

ونصت المادة الثانية على أن الموظفين، المكلفين بمصلحة شؤون الأهالي في أراضي الجنوب، هم أنفسهم موظفو الجزائر، وكما نعلم فكل هؤلاء الموظفين، ضباطٌ عسكريون وضعتهم وزارة الحرب تحت إمرة الحاكم العام لإدارة المناطق العسكرية.

أما المادة الثالثة، فقد منحت مجلس حكومة الجزائر صلاحيات متعلقة بأراضي الجنوب هي ذاتها الصلاحيات التي تكرسها الإدارة الجزائرية، إضافة إلى الحق في إبداء الرأي حول ميزانية هذه المناطق، كما عين مستشار مقررا خصيصا لأراضي الجنوب ومكلف بالتفتيش المستمر لشتى المصالح الإدارية فيها[2].

أصدر الحاكم العام M. Violet فيولت، قرارا بإنشاء الندوات الاستشارية لأراضي الجنوب محاولا تجسيد المشروع، الذي عُرض عام 1903، والذي لم ير النور، وتكون هذه الندوات برئاسة الحاكم العام طبعا أو مندوب عنه، وتتشكل من الضباط العسكريين وكبار الموظفين بمراقبة إدارة الجنوب. والذين يقيمون في مدينة الجزائر.

نظم فيوليت مؤتمرا استشاريا في كل إقليم من أراضي الجنوب، يرأسه قائد المنطقة العسكرية. وقرر أن تنعقد جلساته قبل الندوة العامة، التي تتشكل من الضباط قادة الدوائر والملحقات العسكرية ومدراء البلديات وممثلا عن الأوروبيين المقيمين في كل واحدة من اللجان لبلدية إلى جانب عدد من الزعماء الأهالي مختارين عن مناطقهم[3].

---

[1] M. Duclos, op.cit, p.22
[2] Idem
[3] Ibid, p.24

وتعالج تلك الندوات شتى المسائل الإدارية وتلك المتعلقة بالمصلحة العامة والمحلية. كما كان بوسعها أيضا أن تتقدم برغباتها واقتراحاتها دون أن تكون لها سلطة قرارات.، وبإمكانها أن تعرض وجهة نظرها بشأن ميزانية أراضي الجنوب. وبالرغم من ذلك، فهي توفر فرصا لأعضائها لكي يتبادلون فيما بينهم وجهات نظرهم حول تسيير الشؤون العمومية في مناطقهم ويتعرفوا على بعضهم البعض[1].

ب- على مستوى البلديات:

- **البلديات المختلطة:**

أنشئت بموجب مرسوم 20 ماي 1868 (المادة الثانية من المرسوم)، بعد تعداد المستوطنين الأوروبيين والسكان الأهالي، وكذلك عدد المصادر المتوفر لتدعيم ميزانية البلدية. تكون رئاسة البلدية المختلطة للقائد الأعلى للوحدة العسكرية في ا لدائرة، فله رئاسة المجلس البلدي، وهو الذي يسير البلدية بكل حرية. يقوم على شؤون المصالح العامة، يعد الميزانية الخاصة بالبلدية، يسجل كل النفقات، يراقب كل الحسابات ويعين الموظفين الإداريين في البلدية يتابع ويسجل المنجزات[2].

كما أن له الحق في إنشاء أي مشروع ،يقر أعمال طارئة، كما يستدعي المسؤولين الكبار ليعطي وجهه نظرة حول م يراه مناسب للبلدية، وهذه الصلاحيات المدنية تبقى في يد القائد الأعلى للوحدة العسكرية ويستطيع الضابط الأول أن ينوب عنه.

أما عن هذا الأخير وهو الضابط الأول أعطيت له صلاحيات أخرى مثل الحالة المدنية للأهالي العمل على تحسين أحوال المراكز، تعيين حراس للمقابر الأوروبية، حراسة المنجزات البلدية، نظافة الأحياء في المراكز خاصة المقر، أعمال الصيانة، الصحة[3].

---

[1] M. Duclos, op.cit, P.24.

[2] E. Sautayra: Législation de l'Algérie, Maisonneuve et G., libraires-éditeurs, Paris., 1883 P.183

[3] René Valet., op.cit., p.84-85

- **المجلس البلدي:**

تسير البلديات المختلطة بمجالس البلدية المتكونة من القائد الأعلى للدائرة أو رئيس الملحقة، قائد للبلدية المعنية، قاضي الصلح، ضابط المقر، وأعضاء البلدية (أعضاء مختارون من بين سكان القرى)، حسب الشروط، التي وضعت بموجب مرسوم 27 ديسمبر 1866. كما يتكون المجلس البلدي أيضا من أعضاء فرنسيين منتخبين، أعضاء أهالي معينون لمدة أربعة سنوات.

وكوكيل عن الأهالي، يعين الحاكم العام، القايد سواء في البلدية المختلطة أو البلدية الأهلية، وفي حالة غياب القائد الأعلى عن رئاسة المجلس، فإن رئيس مكتب مصلحة الأهالي هو الذي ينوب عنه[1].

وقد تم توزيع مهام التسيير في البلديات المختلطة كالتالي:

- رئيس الملحقة كنائب عن القائد الأعلى والضابط الأول كمساعد له، في كل البلديات، إضافة إلى:

❖ البلدية المختلطة لعين الصفراء: ضابطين مساعدين وستة أعضاء فرنسيين وإحدى عشرة عضوا من الأهالي .

❖ البلدية جيريفيل المختلطة: ضابط مساعد وسبعة أعضاء فرنسيين وإحدى وعشرين عضوا من الأهالي[2].

❖ البلدية المختلطة مشرية: ضابط مساعد وثلاثة أعضاء فرنسيين و أربعة عشرة أهالي .

❖ البلدة المختلطة كولومب: رئيس ملحقة بني عباس، رئيس مركز عبادلة d'abadla وضابط مساعد إلى جانب عضوين فرنسيين وأربعة أعضاء أهالي .

❖ بلدية الجلفة المختلطة: ضابط مساعد و ثمانية أعضاء فرنسيين وإحدى وعشرين عضوا من الأهالي.

❖ بلدية الأغواط المختلطة: ضابط مساعد وسبعة أعضاء فرنسيين وستة عشرة عضوا أهليا.

❖ بلدية تقرت المختلطة: ضابط مساعد و ثلاثة أعضاء فرنسيين و عشرة أعضاء أهالٍ.

ومنه نجد أن المجلس البلدي، في أراضي الجنوب، يكون بنفس التشكيلة التي كانت في الشمال ويتضح ذلك من خلال المواد 10-11-12، من مرسوم 20 ماي 1868[1].

---

[1] . René Valet., op.cit., p.84-85
[2] ibid., p.85-86

- **دورات المجلس البلدي:**

يجتمع أعضاء مجلس البلدية أربع مرات في السنة، وتدوم كل دورة (حسب ما أقرته المادة 29 من مرسوم 1868) عشرة أيام، وقد يحدث وأن يتم استدعاء الأعضاء لعقد جلسات طارئة، بأمر من رئيس الملحقة، بغرض دراسة المواضيع التالية:

1- التسيير الإداري وأوضاع الإدارة في هذه البلدية.

2- الميزانية الخاصة والعامة لكل المداخيل والنفقات، سواء العادية منها أو الاستثنائية.

3- التصرف في أملاك البلدية وأعمال المقايضة بها.

4- الشروط الأحسن لاستغلال المعطيات بصورة أمثل وأخذ عقارات للإيجار أو الكراء،.

5- مناقشة القرارات الخاصة بالأشغال التي هي في طور الإنجاز.

6- شق الطرق القروية.

7- مناقشة الشؤون القضائية والصلح بين أعضاء المجلس البلدي.

و في النهاية يسجل كل ما كان في الجلسة في بيان وما أُقر كمرسوم.[2]

- **البلديات الأهلية:**

إلى جانب البلديات المختلطة كانت بلديات أهلية والتي تمثل النموذج السائد في هذه الأقاليم وذلك لقلة المستوطنين إن لم نقل انعدامهم وتمثل هذه البلديات الصورة الحقيقية للقهر الذي تمارسه الحكومة الفرنسية من قمع عسكري تجسده السرايا الصحراوية وأحكام الأقاليم والدوائر والملاحق وحتى ضباط المراكز وأعوان الإدارة الاستعمارية من الأهالي[3] خاصة أنهم محرومون من حق التمثيل النيابي.

تضم هذه البلديات مجموعة من القبائل، لكل قبيلة أرضها الخاصة بها، شخصيتها المميزة لها، يديرها مجلس جماعة يعين من طرف الحاكم العام[4].

المبحث الثالث: التنظيم المالي:

1. ميزانية أراضي الجنوب:

---

1 Ibid., p.88
2 René Valet., op.cit., p.93-95.
3 M. Duclos, op.cit, p.24.
4 Benakzouh Chabane, op.cit, p.50.

إن الاستقلال المالي لأراضي الجنوب يتضح جليا من خلال المادة الخامسة من قانون 24 ديسمبر 1902، وبداية تطبيقه فعليا كان ابتداء من 01 جانفي 1904، ومن خلال ما كان على أرض الميدان اتضحت نوايا الحكومة الفرنسية من هذا التنظيم، حيث تريد استغلال المصادر المتوفرة في هذه الأراض لإشباع حاجاتها الاقتصادية والإستراتيجية، لكن فرنسا وجدت أنه يجب عليها توفير هياكل لاستغلال هذه الثروات، كالطرق، السكك الحديدية، محطات إنتاج الطاقة الكهربائية، شبكة التليغراف وهياكل التعليم، التي كانت هذه المنطقة بأكملها محرومة منها، قامت الحكومة الفرنسية بوضع ميزانية لكل هذه المنشآت، والتي مصادرها كانت أغلبها محلية، وقعت على كاهل الأهالي في حين عادت عليهم هذه المنشآت بفوائد جد زهيدة تكاد تكون منعدمة إلا في بعض المجالات كالتعليم والصحة.[1]

وفي مرسوم 30 ديسمبر 1903 و 14 أوت 1905، واصلت الحكومة الفرنسية دراسة وتحضير الميزانية الخاصة بأراضي الجنوب، وقد أعدت الميزانية من طرف الحاكم العام، ثم درست من قبل مجلس الحكومة، وضبطت بمرسوم بحيث كان لها شقين رئيسيين: ميزانية مدنية وميزانية عسكرية.

- **ميزانية مدنية:** حيث تشمل المداخيل المحلية والنفقات محلية.[2] .

وابتداء من سنة 1904 بدأت الحكومة بتطبيق نظام الميزانية الجديد، وبقيت حريصة دائما على القيام بتقديرات لقيمة النفقات و المداخيل التي تخدمها في هذه الأراضي، وهذه العملية المتسمة بالاهتمام البالغ لا يمكن التحصل على نتائجها بشكل ثابت ومستمر، حيث أن ميزانية 1904 كانت مؤقتة وتجريبية، لكن خلال هذه الإنجازات الأولى فإن المصادر المالية والحاجيات بكل أنواعها كانت في تزايد مستمر، في نفس الوقت الذي كانت فيه الميزانية على طاولة الدراسة.

وبعد سنة من هذا التنظيم (1905) أصبح من الممكن تحديد قيمة مصاريف ومدا خيل المشاريع المراد إنجازها، خاصة بعد تزايد المدخول الصافي لكل مقاطعة مستقلة، كما قلصت حجم القروض وصارت تدرج تسديد القروض المتخذة لسنة معينة ضمن ميزانية السنة المقبلة[3]، وتختلف الميزانية من سنة إلى أخرى و تتحكم في ذلك عدة عوامل تتمثل في عناصر الميزانية في حد ذاتها هي:

- مصادرها: المتمثلة في:

---

[1] M. Duclos ,op.cit.p.572
[2] Ibid, p. 572
[3] ibid, p.573.

المداخيل المحلية:

- ❖ الضرائب.
- ❖ مصادر أخرى.
  - النفقات.
  - التجارة .

- ميزانية عسكرية: التي تتكفل بها وزارة المالية الفرنسية، حسب ما جاء في المادة الخامسة من دستور 24 ديسمبر 1902، والتي تعد من طرف وزير المالية ووزير الحرب[1].

[1] René Valet., op.cit., p.14

2. مصادر الميزانية:

أ- المداخيل المحلية:

تختلف من سنة إلى أخرى وهي عامة تسجل ارتفاعا ملحوظا في معظم السنوات رغم الظروف الغير ملائمة (الجفاف، ظهور وانتشار الجراد، موت الحيوانات)، أما عن العوامل المؤثرة في المداخيل فهي تتمثل بالدرجة الأولى في:

❖ الضرائب والرسوم: تعتبر مصدر من مصادر الميزانية فمثلا في سنة 1904 كانت قيمة الضرائب 2.519.140.22 فرنك وارتفعت إلى 13.967648 فرنك في سنة 1927 فقدرت الزيادة بـ1.448.36.26 فرنك فمعظم الإحصائيات الخاصة بقيمة الضرائب بين السنوات الأولى (1904) والسنوات الأخيرة 1927 تدل على استمرار هذه الزيادات ويرجع ذلك إلى:

- الإحصاء الدقيق لوعاء الضريبة خاصة على النخيل أي ما يعرف باللزمة .
- الثراء العام الذي ما كان أمامه إلا أن يتطور بفضل تحريك وتنفيذ الأشغال العامة.
- حصيلة الضرائب الاستهلاكية أغلبها في الإقليمين سواء إقليم الشمال أو الجنوب. نظام الجمارك، رسوم عد التبغ، الكحول، القهوة...)، ارتفعت مقارنة بالثراء العام وتزايد السكان.
- انخفاض قيم الفرنك وحدوث التضخم[1].

ومن هذه الضرائب التي تمثل مصادر للميزانية الضرائب العربية، ضرائب العقارات المبنية، ضريبة المهنة، ضرائب مقابل تسجيل العقود المختلفة، ضرائب أوروبية على الحيوانات والزراعة وهناك ضرائب مختلفة[2]، ونأخذ كنموذج للدراسة:

- الضرائب العربية(منحنى 01) :تمثل أهم مصدر في الميزانية الخاصة بأراضي الجنوب، والتطور الملحوظ في سنة 1919 يوضح تزايد المواد الخاضعة للضريبة[3].

والقواعد الضريبية الموضوعة لم تعرف تغيير حتى سنة 1919، وفي سنة 1920 حصيلة الإنتاج سجلت ارتفاع ملحوظ في الإحصائيات، برفع قيمة الزكاة المدفوعة على الخراف والماعز.

---

1 M. Duclos., op.cit., p.574
2 Ibid., p. 504-507.
3 Ibid., p.581

أما عن قيمة المساهمة في الميزانية فمثلا في سنة 1904 ساهمت بـ1.966.51523 فرنك لتصل إلى 4769.96855 سنة 1927 أي أن مساهمة الضرائب العربية تزايدت بقيمة 2.803.53.32 فرنك[1].

- الرسوم الجمركية الارتفاع المسجل والملازم لتكاثر وتزايد حصيلة الرسوم الجمركية في الجزائر، والتي قسمت بين الميزانية الجزائرية وميزانية أراضي الجنوب وكذلك حصة سكان الإقليمين.
- ضريبة المهنة: هي ضريبة يدفعها العامل مقابل النشاط الذي يمارسه وعرفت ارتفاعا من سنة إلى أخرى حسب تطور الأنشطة خاصة منها التجارية، قدرت الزيادة في مدة 23 سنة ابتداء من سنة 1904 بـ57.425.81 فرنك.
- ضريبة العقارات المبنية: هذه الضريبة يدفعها كل من كان له عقار مبني سواء من الأهالي أو من الأوروبيين، لم تتغير قيمة هذه الضرائب حتى سنة 1926 أما بعد سنة 1927 سجلت ارتفاعا وذلك بمراجعة قيمة الضرائب المدفوعة والزيادة في قيمتها.
- الضرائب الأوروبية على الحيوانات والزراعة والنخيل: بموجب مرسوم 30 ديسمبر 1918 والذي كان تطبيقه ابتداء من سنة 1919 وحددت قيمتها بنفس القيمة التي كانت خاصة بالضرائب العربية[2]وساهمت بـ33.934.71 فرنك في سنة 1919 لتصل قيمتها إلى 210.389.68 في سنة 1927[3].

ب- مداخيل أخرى :

مداخيل الوطن الأم تتمثل في القروض منها المخصصة للجزائر ككل ومنها المخصصة لأراضي الجنوب فقط.

1- القروض الجزائرية: حيث دعمت الجزائر بقرض قدره 50 مليون فرنك سنة 1902 كان نصيب أراضي الجنوب منها 1521000 فرنك واستخدم في الأشغال الآتية:

بناء وتحسين المراكز بـ 411.78600 فرنك ، شق الطرقات بـ779.855.00 فرنك أعمال الهيدروليجية 329.35900 فرنك والفائدة السنوية لهذا القرض كانت 768.444 فرنك يسدد من ميزانية أراضي الجنوب.

---

1 M. Duclos., op.cit., p.581
2 Ibid., p.580
3 Ibid, p.581

2- القروض المخصصة لأراضي الجنوب: بموجب مرسوم 04 أفريل 1904 خصص قرض بقيمة 8.500.000 فرنك لإتمام مشروع السكة الحديدية بسكرة –توقرت والفائدة السنوية لهذا القرض كانت 387.705.52 فرنك، وهذه السكة تم مدها إلى أوماش oumache وطولقة tolga و يسدد هذا القرض من الميزانية الجزائرية[1].

ج-تدعيم الوطن الأم (الميزانية العسكرية):

بحسب ما جاء في المادة الخامسة من قانون 24 ديسمبر 1902، فيما يتعلق بأقاليم الجنوب فإن ميزانية هذه الأقاليم لها ميزانية خاصة بها كل سنة وثابتة، بموجب قانون المالية " في تقرير مجلس النواب إلى لجنة المالية لتوضيح وتحديد ما تتضمنه المادة الخامسة من الدستور":

إن الحكومة بعد دراسة معمقة لهذا الموضوع توافق لجنة المالية على أن المداخيل المحلية تغطي بدورها النفقات المحلية لإحداث وخلق توازن مالي، والمتفق عليه أن النفقات العسكرية تتحملها الميزانية الفرنسية وهذه الوضعية مطبقة على الاستعمار الفرنسي في الجزائر وتونس[2].

والإعانة المالية المقدمة من طرف فرنسا خاصة بالنفقات العسكرية، ومن جهة أخرى هناك تقصير وتخفيض كبير في عدد الجنود العسكريين في الصحراء مقرر آنذاك من خلال قانون التنظيم لسنة 1902.

كذلك النفقات العسكرية لأقصى الجنوب نجدها أيضا مجمعة ومحددة في أرقام مدونة، والمؤكد أن تجاوز هذا الحد يفسد صورة البرلمان ويخلق مشاكل داخله.

هذا الموضوع يدرس أمام غرفة الاستئناف التي تصوت عليه مع الميزانية، وإن تصويتنا راجع إلى معرفة وإدراك الإيجابيات الرئيسية والمهمة لهذا التنظيم الجديد[3].

وفي 14 أوت 1905 اخذ التنظيم الإداري والعسكري شكله النهائي في أقاليم الجنوب وموضوع النفقات العسكرية موضح في المادة العاشرة من هذا القانون، ونوضح ذلك في النقاط التالية :

1-البلد الأم أو المستعمرة، تحفظ وتوفر النفقات العسكرية[4].

---

1 M. Duclos , op.cit., p.587
2 Ibid,p597
3 idem
4 René Valet, op.cit., p. 17

2- القروض التي منحتها اللجان والنفقات تمثل في الميزانية الخاصة بأقاليم الجنوب في فصل خاص بها، وإن هذه الميزانية توضح في بيان إحصائي الكيفية التنظيمية لأراضي الجنوب بكل مداخيلها ونفقاتها.

3-الحكومة العامة تراقب النفقات العسكرية وكذلك النفقات المدنية.

4-تراقب إجراءات إنشاء الميزانية الخاصة بالنفقات العسكرية، وبعد تبادل وجهات النظر يثبت ذلك بوثائق عند وزارة الحرب والحكومة العامة حسب المرسوم الوزاري 31 أوت 1904.

هذه الإجراءات تراقب من طرف قائد الجيش 19 المسؤول عن مراقبتها من خلال مراقبة أحوال كل المصالح الصحة، الهندسة والبناء ، مصلحة الإدارة والمدفعية، ويرسل تقريره للحكومة العامة والمراقبة الأخيرة يرسلها للوزارة مع وجهة نظره[1].

3. النفقات:

تختلف النفقات من سنة لأخرى، لأسباب عدة وتنقسم النفقات إلى قسمين نفقات، عادية وأخرى استثنائية وتتمثل أسباب ذلك الاختلاف في ما يلي:

3-1- الديون: التي عرفت تزايد ملحوظ في بعض السنوات، وذلك لارتفاع قيمة القروض السنوية الجزائرية سنة 1902، الذي حول لتمويل تنظيم أراضي الجنوب، مثلا بين سنة 1911-1922 نلاحظ ارتفاع في نسبة الديون، لأن هناك قرض بقيمة 8.500.000 فرنك لتمويل مشروع السكة الحديدية الرابط بين بسكرة وتوقرت، والذي أدرج ضمن الميزانية العسكرية لأقاليم الجنوب ابتداء من 1920.

3-2- الحكومة العامة والسلطة المركزية: نظرا لأهمية هاتين الهيئتين فإن نفقاتها كانت في تزايد منذ نشأتها، بحكم أنها الحاكم والمسير لهذه الأقاليم، ففي 1919 نلاحظ مقارنة مع سنة 1929 ارتفاع في نسبة النفقات بقيمة 578.462 فرنك، وذلك نتيجة إدراج القروض ضمن الميزانية العادية لتغطية التكاليف الاستهلاكية للموظفين المدنيين في أقاليم الجنوب[2].

و في سنة 1920 كان هناك ارتفاع كذلك في قيمة النفقات، مقارنة بسنة 1918 نتيجة ارتفاع في قيمة القروض التي تستخدم لتوفير الغذاء ورواتب الإداريين، وهذا لم يدرج ضمن الميزانية العادية، أما الارتفاع الملاحظ ابتداء من سنة 1921، يعود إلى ارتفاع رواتب الإداريين والموظفين.

---

1 M. Duclos , op.cit., p.598-599
2 Ibid., p.592

3-3- السلطة العسكرية: لم تكن نفقات هذه الهيئة متغيرة كثيرا منذ تنظيم أقاليم الجنوب، ونلاحظ ارتفاع في نفقات سنة 1904 نظرا لارتفاع الرواتب في هذه السنة وإدراجها ضمن الميزانية، حيث ارتفعت رواتب العسكريين والإداريين في سنة 1904 بقيمة 326.108.80 فرنك مقارنة مع سنة 1927 التي انخفضت فيها الرواتب بـ 115.482، والارتفاع الذي نلاحظه ابتداء من سنة 1921 متعلق بالنفقات على إقامة وتوفير السكن للضباط العسكريين المرتبطين بمصلحة شؤون الأهالي وأعمال التوثيق في مكاتب هذه الأقاليم.

3-4 - الإدارة العامة: القيم الكبيرة من نفقات هذه الهيئة متعلق بالمساعدات العامة، وهي متغيرة بتغير الوضعية الاقتصادية فتقل عندما تكون الوضعية جيدة وتزداد بترديها[1].

أما الزيادات التي نلاحظها ابتداء من سنة 1918، كانت بسبب المنح الكبيرة التي تمنح للأطباء العسكريين من أجل الإسعاف الطبي للسكان الأهليين، وتوفير السكن لهم وقد أدرجت كل هذه ضمن الميزانية المخصصة لهذه الأقاليم.

وابتداء من سنة 1921 كانت النفقات المخصصة للمنح المذكورة في تزايد مستمر وملحوظ، حيث أنه في سنة 1927 نلاحظ تزايد كبير جدا هذه المنح نظرا لتردي الوضعية الاقتصادية في تلك السنة، دون أن نتجاهل النفقات التي تنفق في رعاية الأمومة والطفولة في القرى، والتي أدرجت هي الأخرى ضمن ميزانية الجنوب.

3-5- المصلحة الإدارية: تتضمن نفقات هذه الهيئة نفقات التعليم السكان وتدعيم ومواصلة التنظيم الجديد بشكل جيد، وأقرت هذه الأخيرة التقرب من السكان بعدم تدخلها في العقيدة الدينية وتوفير التعليم والزيادة المسجلة منذ سنة 1921 كانت بسبب ارتفاع رواتب الموظفين.

3- 6 - مصلحة الخدمات المالية:

تختلف نفقات هذه الهيئة من سنة إلى أخرى لغاية 1919، والفرق بين سنة وأخرى متعلق بتحسين خدمات البريد والتلغراف، وسبب هذا التقدم ارتفاع في نسبة الضرائب المفروضة التي يقوم بجمعها قياد الأهالي من السكان تحت اسم الضرائب العربية.

---

1 M. Duclos , op.cit., p.593.

وابتداء من سنة 1920 النفقات تزايدت بشكل ملحوظ، ذلك لمراجعة الرواتب، على عكس أنه في سنة 1925 انخفضت نتيجة تردد وحيرة الهيئة في تمويل البريد أو التلغراف أو الهاتف، وهذه الخدمات خصصت لها ميزانية ألحقت بالميزانية العامة لأقاليم الجنوب فيما بعد.

3-7- الأشغال العامة وسكك الحديد:

النفقات المحددة لتنفيذ الأشغال العامة كانت على حساب الميزانية العادية، وكذلك على المال الاحتياطي، نلاحظ كذلك أن النفقات تختلف من سنة لأخرى، أي حسب التدعيم الذي يمنح من المال الاحتياطي لإنجاز هذه المشاريع وحتى سنة 1914 النفقات لم تختلف بنسبة كبيرة، وفي سنة 1922 أضيفت نفقات أخرى لإنشاء خط سكة الحديد (بسكرة- توقرت)، أما الزيادات المسجلة بعد 1923 تعود لتنفيذ المشاريع الكبرى المبرمج إنجازها في تلك الأراضي.

3-8- أعمال خيرية شتى:

هذه الأعمال لتحسين المستوى المعيشي للأهالي، نفقاتها جد متغيرة وهي مرتبطة بالوضعية الاقتصادية للسكان الأهالي، حيث كانت تساعدهم بمنحهم قروض لسد الضرائب التي كانت تأخذ منهم تحت عنوان الضرائب العربية وهي ضرائب غير عادية (استثنائية).

3-9- النفقات الغير عادية:

كانت هناك أعمال كثيرة جديدة كالمنشآت الخاصة مثل أعمال الطرق والتنقيب، حيث كانت النفقات بذلك جد متغيرة، أما النفقات التي أنفقت على سكة الحديد بين بسكرة – توقرت لم تدرج في بادئ الأمر في النفقات العادية بل كانت في النفقات غير عادية[1]

وخلال هذه السنوات الأخيرة أنجزت منشآت هامة مثل الجسر الرابط بين واد ميزاب والأغواط[2].

[1] M. Duclos , op.cit., p.595
[2] M. Duclos , op.cit., p.595

4. التجارة:

حسب ما جاء في التقارير المطروحة من قبل القائد الأعلى للوحدة العسكرية ورؤساء الملحقات

❖ الواردات: تتمثل في المواد الغذائية والمنتجات الصناعية نظرا لتخلف السكان وعدم قدرتهم على إنتاج أي منتوج بمنطقتهم.

❖ الصادرات: كانت الصادرات تتمثل في المواد الغير مصنعة (المواد الأولية) مثل: التمر، الحلفاء.وغيرها، ...)، منتجاتهم من تربية المواشي (الجلود،الصوف، و فرو الماعز)ومعظم هذه المواد تخصص للتحويل الصناعي.

ولأراضي الجنوب علاقات تجارية مع المغرب وتونس من جهة وشمال الجزائر من جهة أخرى، وهناك طرق لنقل البضائع إلى فرنسا وإلى البلدان الأوروبية الأخرى.

كذلك هناك حركة تجارية هامة تتمثل في القوافل التجارية المتجهة إلى الواحات الصحراوية (التوات، قورارة، تيديكلت)، وإلى وسط إفريقيا المواد المصنعة القادمة من فرنسا وبلدان أخرى ومنه فإن الحركة التجارية من أراضي الجنوب إلى بلدان وأقاليم الإفريقية التي كانت جد نشيطة قبل دخول الاستعمار[1].

وأهم الملاحظات المسجلة هو أن التجارة في السنوات الأولى كانت ثابتة حتى 1914. فلا نلاحظ أي تقدم في هذه السنوات فقيمة التجارة لسنة 1906 قدرت بـ63.000.000 فرنك حيث قدرت الصادرات بـ 31.000.000 فرنك أما الواردات بـ32000.000 وفي سنة 1907 قدرت قيمة التجارة بـ 52.000.000 فرنك وهذا الانخفاض راجع للجفاف وموت الحيوانات وقيمة المواد المصدرة.

وفي سنة 1909 قيمة التجارة قدرت بـ61.000.000 فرنك حيث زادت قيمة كل من الصادرات والواردات وهذا راجع إلى تطور أهمية كل من التمر الحلفاء والصوف كمواد للتصدير.

أما بين سنة (1910-1913) نلاحظ ارتفاع لكل من الصادرات والواردات حيث قدرت قيمة التجارة سنة 1913 بـ69 مليون فرنك وذلك نتيجة لـ[2].

1-تطور العلاقات التجارية مع حدود الجنوب المغربي وتافيلات Tafilalet.

---

[1] ibid., p.385
[2] M. Duclos, op.cit., p. 387

2-تحسن الوضعية الاقتصادية للأهالي وزيادة أسعار المواد المصدرة أما الانخفاض المسجل في سنة 1924 بالنسبة للصادرات أو الواردات حيث قدرت قيمتها بـ54.000.000 فرنك وهذا راجع إلى الإلغاء المؤقت لتصدير لسوء الأمن عبر الطرق التجارية البحرية بين فرنسا والجزائر وكذلك إلغاء الصفقات التجارية في الأشهر الأولى من الحرب وكنتيجة لهذا تقريبا ألغيت تقريبا عملية التصدير وأحيانا فقط كانت تصدر كمية من التمر والأغنام.

أما الأهالي فلم يكن باستطاعتهم البيع بنفس الكمية من القطيع والتمر التي كانت في الأعوام السابقة ومنه نقص المصادر لشراء المواد الغذائية والمواد المصنعة، كما تم إلغاء القروض، ارتفعت الأسعار بسبب الحرب العالمية وهذا ما أدى بالتجار إلى التخلص من سلعهم الجاهزة للتصدير ولم تعد المواد الضرورية للأهالي.

وبدأت الظروف تتحسن بعد سنة 1915 حيث عاد نشاط الحركة التجارية وقدر بـ 164.032.000 فرنك سنة 1918 نتيجة تطور اقتصادي سريع في أراضي الجنوب والقيمة التجارية بقيت في تزايد مستمر حتى سنة 1918،حيث عرفت الصادرات ثباتا في الكمية وبقيت كمية الواردات في تزايد[1].

إذن فالحركة التجارية بعد تقدم وتطور لم يدم طويلا بين (1919-1920) عرفت انخفاضا ملحوظا ف سنة 1921 إلى غاية 1922، بعدها عرفت الحركة التجارية تطورا كبيرا جدا قدرت قيمة الصادرات والواردات 181.267.000 فرنك سنة 1922 لتصل إلى 439.862.000 فرنك في سنة 1926 بسبب ارتفاع أسعار المواد الأولية الضرورية مثل (القمح، الفرينة، الشعير والدقيق)، المستورد من قبل أراضي الجنوب[2].

كما أن تطور الصادرات لم يكن بصورة منتظمة فمثلا في سنة 1920 انخفضت كمية الصادرات بشكل كبير نتيجة الأزمة الاقتصادية التي حلت بالوطن الأم، حيث قدرت قيمة الصادرات في سنة 1919 بـ98.392.000 فرنك لتنخفض 63150000 فرنك سنة 1921 بينما سجلت قيمة الصادرات

---

1 Ibid., p 388.
2 Ibid, p 389.

ارتفاعا لم يكن معهودا من قبل سنة 1926 بـ 182.180.000فرنك والانخفاض المحسوس المسجل في سنة 1927 كان أيضا بسبب أزمة اقتصادية في الوطن الأم[1].

و كنتيجة فإن الحركة التجارية في أراضي الجنوب عرفت اهتماما نظرا لأهميتها في اقتصاد الوطن الأم حيث قدرت قيمتها في سنة 1906 بـ 63 مليون فرنك لتصل إلى 440 مليون فرنك سنة 1926 كما نلاحظ أيضا أن الواردات كانت دائما في ارتفاع باستثناء فترة (1918-1919) التي انخفضت فيها أيضا كمية الصادرات.

وهذه الخاصية توضح جليا المعطيات الخاصة بالدول التي هي في الحقيقة ليست قادرة على تحقيق الاكتفاء الذاتي، ورأت لذلك ضرورة البحث عن مصادر أخرى خارجية، وفعلا وجدت فرنسا مواد ذات أهمية اقتصادية بالغة في ذلك الحين خاصة التمور والخراف والتي ارتفعت أسعارها بين الدول[2].

- **فائض ميزانية أراضي الجنوب:**

في سنة 1906 سجلت الميزانية فائضا قدرب63545. 191فرنك، أما في سنة 1926 فقد سجل فائض بـ 3.775.558 فرنك، ولكن هذا الفائض كانت تستفيد منه فرنسا ولا يخدم ولو بجزء بسيط الجزائريين

- **تصدير الحلفاء (نموذج عن التجارة الخارجية)**

تصدير الحلفاء بين سنتي 1910-1928 تعتبر الحلفاء من أهم المواد المصدرة إلى خارج الجزائر.

نلاحظ أنه ابتداء من سنة 1911 فاقت الكمية المصدرة مليون قنطار سنويا، أما بين سنة 1914-1916 ورغم صعوبة الأوضاع المتمثلة في بداية الحرب العالمة لأولى والقرارات المتخذة في هذه الفترة فإن الكمية بقيت نوعا ما معتبرة ما بين 8000.000 -9000.000 قنطار.

مثلا في سنة 1906 سجلت الميزانية فائضا قدرب63545. 191فرنك، أما في سنة 1926 فقد سجل فائض بـ 3.775.558 فرنك، ولكن هذا الفائض كانت تستفيد منه فرنسا ولا يخدم ولو بجزء بسيط الجزائريين.

---

1 M. Duclos, op.cit., p.390
2 Ibid., p.381

أما في سنة 1918 تقلص حجم الصادرات إلى 118.000 قنطار ووصل إلى 58.000 قنطار سنة 1919، وذلك بسبب احتدام الحرب وحاجة فرنسا إلى تصدير المؤونة بدل المواد التجارية في ذلك الوقت، ومنه فإن وسائل النقل التي كانت تستخدم لتصدير هذا المتوج (الحلفاء) صارت تستعمل لتصدير الغذاء، وتتمثل وسائل النقل في السكك الحديدية ، الميناء، هذا التطور المتواصل لهذه المادة نتج عن الطلب الكثير لهذه المادة وبإدراك فرنسا لأهميتها في صنع عجينة الورق وصارت مصدر ثراء سكان الهضاب العليا والسهوب الصحراوية المحرومين[1].

المبحث الرابع: التنظيم الاجتماعي:

1- السكان

إن تعداد السكان في أقاليم الجنوب كان في نفس الوقت الذي تم فيه تعداد سكان شمال الجزائر.

[1] M. Duclos, op.cit., p.306-307

في الجزء الأول من كتاب أقاليم الجنوب Territoires du Sud ص (206-220) به تقرير خاص بالسيد لاغوند Laraunde بروفيسور مكلف بالرسائل الخاصة بالإصلاح والكثافة السكانية في القطر الجنوبي، لكن معلوماته حول سكان الجنوب مجرد تقارير إدارية فالمعلومات التي جمعت في سنتي (1914-1921) لم تكن مطبقة على بلديات الجنوب، فلم تكن هناك تقارير خاصة بالأهالي.

لهذا قام الحاكم العام أن يكون تعداد السكان ليس عن طريق تقارير فردية بل بكشوف رقمية وأنشأ مراكز مختصة، يقوم بالتعداد رؤساء الأهالي بمراقبة من طرف السلطات المحلية، وهذه المراكز موزعة على الأقاليم ومن أهمها مركز القصور[1].

واحتفظ بالتقارير الإحصائية المتعلقة بالتعداد السكاني، (إقليم الشمال والجنوب),والعدد التقريبي لنتائج تعداد السكان معا الحفاظ على الإحصائيات السابقة لمجموع البلديات والأقاليم الجنوبية،لمعرفة اهم التطورات في عدد و توزيع السكان[2].

فالإحصاء السكاني لمناطق أراضي الجنوب من عين الصفراء و غرداية بسكرة و توقرت وعين صالح سنة 1906 كان 446.000 منهم 2.644 أوروبيين كما أن عدد السكان في هاته المناطق زاد ما بين سنتي 1901 إلى 1906 حوالي 81.000 ألف نسمة[3].

و توضح الإحصائيات الخاصة بالسكان الأهالي في الجنوب أن عددهم كان ثابتا تقريبا ما بين سنتي 1906-1921 ثم سجل ارتفاعا طفيفا سنة 1921-1926[4]

حسب ما سنراه في الجدول التالي:

السنوات	1906	1911	1921	1926

[1] M. Duclos, op.cit, p.635
[2] Idem
[3] Progress in the Algerian Sahara., op.cit, p.19
[4] M. Duclos, op.cit, p.636

تعداد السكان				
الكثافة السكانية للبلديات (دون حساب جزء من الجند والبدو الرحل) المجموع	437.077	486.585	542.670	536.306
الأوروبيين	5.333	5.533	4.828	4.675
الأهالي	431.744	481.052	537.842	531.631
الكثافة التي كانت غير محسوسة من جند والبدو الرحل	5.643	7.721	5.739	4.179
الأوروبيين	3.371	3.441	4.783	2.582
الأهالي	446.091	4.280	3.956	2.597
مجموع السكان	446.091	494.306	548.409	541.285
الأوروبيين	10.976	8.974	6.611	7.257
الأهالي	435.115	485.332	541.798	534.228

- نلاحظ أن الكثافة السكانية للبلديات تجاوزت سنة 1906 حوالي 437.077 نسمة وحوالي 486.585 نسمة سنة 1911 وارتفعت سنة 1921 بـ 542.670 نسمةو 536.306 نسمة سنة 1921 ، كما كان هناك سكان غير محصيين مثل الجند و البدو الرحل والعنصر الأوروبي كان ثابتا سنة

1911 حوالي 5,533 نسمة و أنخفض سنة 1921ب 4.828 نسمة و 4.675نسمة سنة 1926 وكان هذا الانخفاض خاصة في عين الصفراء لأنها كانت مليئة بالتجار والصناع الذين تركوها واتجهوا نحو المغرب واستقروا هناك والذين كان عددهم سنة 1906 حوالي 3.275 نسمة و3.562 نسمة سنة 1911 الذي انخفض سنة 1921 ووصل حوالي 2.661 ن و 2.389 ن سنة 1926[1].

- اما بين سنة 1906 و 1911 سجل تراجع ضئيل وكان التراجع بسبب الأزمة الاقتصادية التي مست فرنسا وكذلك الجزائر فهي كانت السبب الرئيسي في انخفاض وتراجع سكان أراضي الجنوب بسبب نقص المحاصيل وتراجع التجارة، كما واصل كل من التجار والعمال الأجانب رحلتهم اتجاه المغرب2.

2- التعليم في أراضي الجنوب :

مثلما كانت مدارس في شمال الجزائر، كان في أراضي الجنوب أيضا مدارس ابتدائية خاصة بأطفال الأوروبيين ومدارس خاصة بأطفال الأهالي .

أ- التعليم الابتدائي للأوروبيين

بحلول1 جانفي 1903 كانت هناك 06 مدارس ابتدائية خاصة بالأطفال الأوروبيين موزعة كالتالي:

1- مدرسة ذكور في عين الصفراء فيها قسم واحد.

2- أربع مدارس للبنات في عين الصفراء (قسم واحد)، وفي جيريفيل قسم واحد والجلفة قسمين و الأغواط قسمين.

3- مدرسة إرسالية مختلطة في مشرية (قسم واحد).

4- مدرسة خاصة بالبنات في الأغواط تحوي قسما واحدا، وخلال سنة 1903 حدثت تطورات حيث زاد عدد البنات في مدرسة عين الصفراء وأصبحت تحوي قسمين، أما المدرسة المختلطة بمشرية استبدلت بمدرستين خاصتين واحدة للذكور والأخرى للبنات وتحوي كل مدرسة قسما واحدا[3].

في سنة 1904 أنشأت مدرسة للبنات تحوي قسما واحدا في بني ونيف،وفي سنة 1905 أضيف قسمين إلى مدرسة الذكور بعين الصفراء،وفي سنة 1906 فتحت مدرسة مختلطة في كولومب بشار Colomb Bechar،وفي سنة 1907 أضيف قسمين إلى مدرسة البنات في جيريفيل، وفي سنة 1908 أضيف

---

1 M. Duclos, op.cit, p.636
2 . M. Duclos, op.cit. ,p.637
3 Ibid., p.403

قسمين للطفولة في مدرسة البنات بمشرية لكن تم إلغاء القسمين اللذين فتحا منذ 04 سنوات، أما في عام1909 تم فتح مدرسة مختلطة في بوكتوب (جيريفيل)، وفي سنة 1911 ألغيت المدرسة المختلطة التي فتحت في سنة 1906 في كولومب بشار، واستبدلت بمدرسة للذكور وأخرى للبنات كل مدرسة تحوي قسما واحدا[1].

وفي 1914 تم فتح مدرسة للبنات في الأغواط تحوي 03 أقسام، كما أن المدرسة الإرسالية لم تغلق، بل بقيت تمارس نشاطها رغم صدور أمر بإلغاء ها بقانون منظم للمدارس الإرسالية ، وفي سنة 1921 في القرى التي يسكنها الأوربيين بالقنادسة (كولومب) أنشأت مدرسة مختلطة للأطفال الذين سيعملون فيما بعد في المناجم،فكانوا كرؤوس أموال مستقبلية.

وفي سنة 1927 أنشأت حضانة بقسم واحد، وتعتبر أول حضانة في أراضي الجنوب، أما في سنة 1928 أضيفت إلى المدرستين التي أنشأت في كولومب بشار قسم لكل مدرسة[2].

فمنذ كان في 01 جانفي 1903،06 مدارس تتشكل من 08 أقسام أصبح في سنة 1928 حوالي 12 مدرسة فيها 22 قسم،وهو تطور جد ضئيل،مما أثر على قلة تطور عدد الأوروبيين في هذه المناطق.

والملاحظ جليا هو تفوق عدد البنات على عدد الذكور تقريبا بنسبة مضاعفة وحسب إحصائيات السكان فإنها تثبت فعلا تفوق عدد الإناث على عدد الذكور خاصة ما بين سنة 1916-1922.

أما الأهالي فقد ازداد عددهم بنسبة معتبرة في المدارس الأوروبية[3].

ب-التعليم الخاص بالأهالي :

لم يحرم الأهالي من التعليم في عهد الاستعمار، بل كان لهم نصيب حيث أنه في 01 أكتوبر 1928 كانت هناك 47 مدرسة ابتدائية عامة خاصة بالأهالي،ومدرسة إرسالية خاصة في غرداية.

- بالنسبة للمدارس العامة توجد بها 08 أقسام في غرداية و 07 أقسام في Geryville ومن (02 إلى 06)أقسام في الأغواط و توقرت، و05 اقسام في الجلفة ، 02 إلى 04 أقسام في الوادي ومن 02 إلى 03 أقسام في أولاد جلال، مشرية، ومن 02 إلى 07 اقسام في بالريان،جامعة، مسعد ,عين ماضي ورقلة،

---

[1] Ibid, p.404
[2] M. Duclos, op.cit, p.404
[3] Ibid., p.407

تيميمون، سيدي عقبة)،أما المناطق الأخرى لا توجد معطيات عنها، والإجمالي 95 قسم من بينها 05 أقسام للبنات وكان التطور كالتالي:

ابتداء من سنة 1922 : 03 مدارس و05 أقسام أنشأت ووزعت على النحو التالي:

-1925: مشرية فيها مدرسة تحوي 03 أقسام للذكور، كولومب بشار فيها قسم واحد ملحق للذكور، كولومب بشار قسم ملحق للبنات[1].

-1926 الجلفة 05 أقسام ، غرداية 7 أقسام ، جامعة توقرت 02 أقسام Geryville من 05 إلى 06 أقسام القليعة (ورقلة) فيها مدرسة تحوي قسم للذكور Guemar(الوادي)03 أقسام.

-1927: توقرت 06 أقسام .

-1928: ورقلة قسمين.

وكان توزيع المدارس التي تمثل 47 مدرسة ، 95 قسم في تعداد 01 أكتوبر 1928[2] في المقاطعات المستقلة حسب الجدول التالي:

المقاطعات	المدارس	الأقسام

1 M. Duclos, op.cit, p.409

2 Ibid., p.410

	ذكور	إناث	المجموع	ذكور	إناث	المجموع
عين الصفراء	11	//	11	22	01	23
غرداية	19	02	21	33	03	41
توقرت	11	//	11	26	//	26
الواحات	03	01	04	04	01	05
المجموع	44	03	47	90	05	95

كما كان عدد الأوروبيين المتمدرسين أكثر بكثير من عدد الأهالي رغم أن الأهالي هم السكان الأصليين، كما كان لليهود أيضا نصيب يفوق بكثير ما تحصل عليه الأهالي، والجدول الموالي يوضح ذلك جليا وهو يمثل تطور عدد المتمدرسين ما بين سنة 1923 -1928[1].

السنوات	الفرنسيين	الإسرائليين	الأهالي	الأجانب	المجموع

[1] idem

1923- 1924	195	284	183	58	720
1924- 1925	145	310	206	68	729
1925- 1926	197	296	138	35	666
1926- 1927	180	288	158	66	692
1927- 1928	185	316	175	66	742

ومنه فإن أراضي الجنوب تحوي مدرسة خاصة للأوروبيين فقط،ومدرسة إرسالية واحدة أيضا بقسم واحد في الأغواط،وحسب إحصائيات 05 نوفمبر 1928، كان في القسم 14 تلميذ منهم 06 فرنسيين و03 اسرائليين و05 أهالي مسلمين، وابتداءا من سنة1902 أصبح عدد التلاميذ في تطور مستمر،حيث تراوح عدد المسجلين للتمدرس في ذلك العام 1578 تلميذا في المدارس العامة وفي سنة 1927 كان عددهم 3021 تلميذا، ليصل عددهم إلى 3295 تلميذا سنة 1925 وبعد سنة كان عددهم 3396تلميذا،وفي سنة 1927 وصل عددهم 3840 تلميذا، فمعدل الزيادة السنوية طوال 25 سنة كان بمقدار 90 تلميذ .

أما عن مناصب العمل في هذا القطاع، يوم 01 أكتوبر 1928 تضمنت 58 منصبا للفرنسيين والفرنسيات و22 منصب للأهالي،03 مناصب للمستشارين،ومنصبين للتعليم الابتدائي[1] .وزعت المناصب كالتالي: 39 معلم فرنسي و 18 معلمة فرنسية، مستشارة واحدة أوربية، 20 معلم من الأهالي ومستشارين من الأهالي.

وكان بعض المعلمين الذين يدرسون في مدارس أراضي الجنوب الجد أكفاء في الجزائر وكان آخرون من الشباب الذين جاءوا إلى الجزائر الفرنسية، لبناء مستقبلهم والعمل في أي مجال حيث أرسلوا من الشمال إلى

[1] M. Duclos, op.cit, p.404

التعليم في الجنوب المهم أن لديهم إيمان بأن الجزائر فرنسية وأن يحسنوا المعاملة مع التلاميذ،هذا بالنسبة للمعلمين الفرنسيين.

أما بالنسبة للمعلمين الأهالي، بعضهم من سكان النواحي المجاورة مثل سكان التل خاصة منطقة القبائل، والبرامج الدراسية نفسها التي كانت في مدارس الشمال وأهم ما تعلمه التلاميذ في هذه المدارس هي النطق الصحيح للغة الفرنسية،ورغم قصر السنة الدراسية فإن النتائج المتحصل عليها كانت تقريبا نفسها في الشمال[1].

كما حصرت فرنسا تعليم الأهالي على مختلف الحرف والأعمال الفلاحية فقط، من زراعة الكروم والأشجار المثمرة،أما بالنسبة للبنات فاقتصر تعليمهن في مجال الصحة والتنظيف،بصفة عامة فإن التعليم في أراضي الجنوب عرف تطورا وكان له إيجابيات خاصة على الأهالي رغم اقتصاره على مجالات معينة، وتم تعليم 5/1 من عدد التلاميذ في حين انعدام التعليم سابقا في هذه الأراضي[2].

3- الصحة:

لقد حظي القطاع الصحي مثله مثل القطاعات الأخرى بالاهتمام من طرف الحكومة العامة والإداريين المحليين،الذين طرحوا فكرة تطوير هذا القطاع حيث خصصوا له جزءا من ميزانية أراضي الجنوب وكانت النفقات تتم على أعمال الإسعافات الطبية والأطباء العسكريين وبناء المستشفيات والعيادات، فقد أعطيت للأطباء كل الصلاحيات حيث تعدوها إلى التبشير خاصة بعد كسبهم لثقة الأهالي.

---

1 Ibid, p.412-413.
2 Ibid, p.413-416.

كما أن هؤلاء الأطباء ساهموا في القضاء على عدة أمراض معدية كانت منتشرة في هذه المناطق، فكانت مهمتهم صعبة، ولكنهم أثبتوا جدارتهم وتفانيهم في وظيفتهم[1].

ومن خلال الجدول التالي سنلاحظ مدى الاهتمام بهذا القطاع وتطويره:

عدد الخدمات الصحي بالسنوات / أسماء النواحي	1925	1926	1927	1928
إقليم عين الصفراء	103.926	122.362	131.497	123.396
إقليم غرداية	32.087	55.037	53.629	60.071
إقليم توقرت	62.508	67.019	85.506	89.971
إقليم الواحات	25.304	21.750	24.817	56.517

من خلال الجدول نلاحظ أنه ما بين سنة 1925 -1928 كانت الخدمات الصحية في تزايد وتطور مستمر، ولكن يختلف هذا التزايد من مقاطعة إلى أخرى ، فمثلا في مقاطعة عين الصفراء الخدمات الصحية تتزايد بنسبة أكبر من المقاطعات الأخرى، ففي سنة 1925 كان عدد الخدمات الصحية المقدمة في مقاطعة عين الصفراء 103.926، ليرتفع سنة 1928 إلى 123.396، أما مقاطعة الواحات فكان عدد الخدمات الصحية المقدمة سنة 1925 يقدر ب 25.304 ليصل إلى 56.517 سنة 1928[2].

أما بالنسبة لعدد المرضى في المستشفيات فهو أيضا في تزايد مستمر، وما يلاحظ أن عدد الرجال أكثر من النساء والأطفال في المستشفيات، كما أن عدد الأماكن المخصصة للعلاج(العيادات) يختلف من مقاطعة إلى أخرى.

وسبب كثرة عدد المرضى في المستشفيات راجع لظهور الأمراض المعدية،وعدم وصول العيادات والرعاية الصحية إلى المناطق النائية، الجدول الموالي يوضح عدد المرضى في المستشفيات (رجال،نساء،اطفال).

1 M. Duclos., op.cit, p.174
2 Ibid.,p.175

عدد المرضى في المستشفيات / النواحي	1925			1926			1927			1928		
	رجال	نساء	أطفال	رجال	نساء	أطفال	رجال	نساء	أطفال	رجال	نساء	أطفال
إقليم عين الصفراء	213	115	33	207	148	20	301	194	28	273	179	77
إقليم غرداية	159	70	32	176	69	28	164	69	29	205	76	23
إقليم توقرت	188	78	31	221	85	34	254	93	74	234	148	100
الواحات	46	69	75	56	57	16	71	45	24	78	49	50

أما الأماكن المخصصة للعلاج فكانت في عين الصفراء حوالي 59 عيادة، وغرداية 28 عيادة،في حين كانت في توقرت 25 عيادة والواحات 22 عيادة.[1]

كما نلاحظ أنه رغم توفير الخدمات الصحية وبناء المستشفيات وأماكن العلاج إلا أن عدد المرضى من كل الفئات رجال،نساء وأطفال في تذبذب، فمثلا في عين الصفراء سنة 1925 كان عدد المرضى الرجال 213 مريض،انخفض بنسبة قليلة سنة 1926 ولكنه سرعان ما ارتفع حتى وصل الى 301 مريض سنة 1927 والحال شبيه في المقاطعات الأخرى[2]، حيث لازالت تعاني من زيادة في عدد المرضى من سنة إلى

[1] A casset (dans le sud oranais souvenir d un médecin militaire) ;(ed 1913) .libraire médicaux. Paris 1911 p 130.

[2] M. Duclos., op.cit, p.175

أخرى وربما يرجع هذا التزايد بسبب الحروب بالنسبة للرجال وظهور أمراض فتاكة بالنسبة للأطفال والنساء أو عدم توفير الرعاية الصحية لهم.

4- التنظيم القضائي:

عندما أحكمت فرنسا قبضتها على أراضي الجنوب، استخدمت كل الوسائل لإخضاع المنطقة منها السياسية والعسكرية و الدينية،ومن بين الوسائل السياسية و الدينية التي استخدمتها القضاء الإسلامي،الذي يعتبر ركيزة أساسية في الشريعة الإسلامية ووضعته ضمن مخططاتها الاستعمارية .

ففرنسا قامت بإلغاء منصب القاضي المسلم وحدت من صلاحياته وجعلت أحكامه غير ملزمة[1]. فالنظام القضائي في الجنوب يختلف عن النظام القضائي في الشمال، والذي سيتوضح جليا لنا إذا أخذنا بعين الاعتبار الوضعية الخاصة التي توجد بها هذه الأراضي.

ففرنسا أنشأت 14 محكمة منها اثنان فقط متعلقة بالقانون المدني موجودة في كل من الجلفة و الأغواط، و12 عبارة من محاكم عسكرية[2].

والقضاة الذين يعينون في أراضي الجنوب لم يكونوا خاضعين لشروط المطلوب توفرها لتعيين القضاة، كما أنهم لم يكونوا يتقاضون أجورهم من الخزينة بل يحصلون على نسبة من حقوق الطابع الضريبي المفروض على كل القضايا المعروضة على المحاكم ، هذا ما يؤدي إلى زيادة تكاليف القضايا المطروحة على أصحابها[3].

كما أن الحق في الاستئناف كان محدودا ومقيدا، فلم تكن هناك محاكم استئناف إسلامية بل كان هناك عبارة عن مجلس مكون من ثلاثة أعضاء بالإضافة إلى القاضي الذي يصدر الحكم الأول، فقضايا الاستئناف كانت تتم عن طريق المجلس، وفي حالة ما إذا قام المجلس بنقض الأمر أو القرار الذي أصدره أو أن القضية التي تجاوزت الصلاحيات المخولة للقاضي للنظر فيها، فالاستئناف يتم بعرض هذه القضية على دائرة من دوائر الشمال للحكم فيها نهائيا، فمثلا بالنسبة لمحكمة معسكر خاصة بإقليم عين الصفراء ومحكمة البليدة بالنسبة لإقليم غرداية، ومحكمة باتنة، لكل من إقليمي توقرت والواحات[4]

فالقضاء الإسلامي المدني أصبح يتم في المحاكم أما القضاء العسكري فكان يتم عن طريق أنظمة خاصة، فالأحكام الاستثنائية يشرف على تنفيذها هيئات قضائية استثنائية هي المجالس الحربية ولجان الطاعة، الصلاحيات الردعية التي تعاقب على مخالفات لا يعاقب عليها في الشمال.[5]

أما بالنسبة للقضايا الجنائية من مخالفات وجرائم فلا يتم الفصل فيها في المحاكم المدنية الإسلامية سواء كان مرتكبها الأهالي المسلمين أو الأوروبيين أو اليهود، بل إن قضاياهم ترجع إلى المحاكم التي في الشمال،و ما هذا إلا دليل على وجود التمييز بين الشمال والجنوب حتى في المحاكم[1].

---

1 Réne Valet., op.cit., p.105
2 ibid., p.107

3 قنان جمال ،المرجع السابق،ص.152.
4 نفس المرجع، ص .152.

5 Henry de la croix castres .questions saharienne et transsahariennes. (ed ; 1902). Libraire africaine colonial . paris .1902. p 70.

1 Réne Valet., op.cit., p.106-107

الفصل الرابع

ردود الفعل الشعبية من التوسع الفرنسي في الصحراء

(المقاومات الشعبية نموذجا)

إن التوسع الفرنسي الاستعماري في الصحراء الجزائرية، وكذلك سياساته القمعية والتعسفية المنتهجة ضد السكان ولدا ردود فعل شعبية قوية وعنيفة في كل منطقة تصلها القوات المحتلة، ولعل ابرز ردود الفعل تلك تمثلت في اندلا ع عدة مقاومات شعبية مسلحة شملت جهات مختلفة من الصحراء، وجاءت في فترات متسلسلة .

وسنوضح في هذا الفصل ثلاثة نماذج من المقاومات الشعبية الصحراوية، وهي كل من مقاومة الزعاطشة (1848- 1849)، ومقاومة واحة العامري (1876)، ومقاومة الشيخ بوعمامة (1881- 1904)، حيث حاولنا إبراز أسباب هذه المقاومات وأهم أحداثها وتطوراتها ونتائجها الرئيسية .

وان المتتبع والباحث في مسار التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية سيكتشف حقيقة بان المقاومات الشعبية الصحراوية كانت السبب الأول في تأخير عملية احتلال الصحراء ، وإبراز الرفض الشعبي القاطع للهيمنة الاستعمارية ، كما أن هذه المقاومات أكدت حقيقة التلاحم والتضامن الذي كان يربط بين قبائل ومكونات المجتمع الصحراوي ، ورغم القوات الكبيرة لجيش الاحتلال والإمكانيات المتواضعة للمقاومة فان الروح الوطنية العالية لها أدهشت الاستعمار الفرنسي وزرعت الريب في صفوفه ، واستمرت شعلة الروح الوطنية ملتهبة منذ عام 1848 م وحتى نهاية القرن 19 م رغم حرب الإبادة والتقتيل والإرهاب الممارس ضد الجزائريين .

المبحث الأول:مقاومة الزعاطشة (1848-1849)

أولا : الموقع الجغرافي لواحة الزعاطشة:

تقع واحة الزعاطشة في الزاب الغربي[1] و توجد على بعد 35 كلم من مدينة بسكرة، كانت هذه القرية الصغيرة عبارة عن واحة يحيط بها النخيل و حولها أسوار من جميع الجهات كما أن أراضيها مقسمة بأسوار مشيدة من مادة الطوب تفصل بين الحدائق المختلفة[2] كما تشق أراضيها سواقي ذات مياه غزيرة وعذبة ونظرا لأهميتها حرص سكان المنطقة على استغلالها بالشكل المناسب فتم تنظيم وتوزيع المياه للري على حسب مساحة الأرض التي يمتلكها الفرد ونوعية المحاصيل الزراعية، كما أن هذا التوزيع يكون وفقا لقنوات السقي وهي موروثة من العهد الروماني لسقي السكان والبساتين، و يتوسط الواحة قرية مبنية من الطوب موجودة فوق ربوة تشبه قلعة مسننة متينة البنيان والمنازل متقاربة من بعضها[3]، مما شكل صعوبة للعدو كلما حاول اختراقها.[4]

توجد بها عينان جاريتان تعرفان بعين معكوف وعين الفوارة ومنتجاتها كثيرة ومتنوعة (التمر، الحبوب، الرمان، المشمش والتين) إضافة إلى بعض المنتجات التجارية مثل(القصب، التبغ والحناء) وهذا ما مكن الواحة من تحقيق اكتفاء ذاتي كما اشتهرت الواحة بتربية الغنم والإبل.

يوجد بجانب الواحة عدة واحات منها :واحة فرفار، ليشانة، بوشقرون وأوماش، يقصدها العديد من الرحل قصد التجارة كما يوجد بها مسجد تعلوه منارة، عدد سكان هذه الواحة حوالي 3000 نسمة أي . ما يقارب 150 عائلة في تلك الفترة.[5]

---

[1] صالح عوض، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر من سنة 1830 إلى سنة1962 ، ج1 ، ط2 ، مطبعة دحلب، الجزائر، ص 157.

[2] جلال يحيى، السياسة الفرنسية في الجزائر من (1830-1960)، ط1 ، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، 1959 ص174 -175.

[3] انظر: الملحق رقم : 09.

[4] جمعية أول نوفمبر، تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية و الإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من(1837-1954)، دار الشهاب، باتنة، 1988 ، ص220 .

[5] شلبي شهرزاد، ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008/2009، ص 42.

ثانيا: عوامل قيام ثورة الزعاطشة:

إن ثورة الزعاطشة أهم وأكبر من أن تنحصر في واحة الزعاطشة فجغرافية الثورة شملت الحضنة والزيبان وأجزاء من الأوراس والصحراء واشتركت فيها، الخنقة، بسكرة، طولقة، أولاد جلال، بوسعادة، سريانة وواحات أخرى كثيرة كفرفار، ليشانة وساهم في إثرائها و قيادتها عدد من رجال الدين البارزين أمثال عبد الحفيظ الخنقي(الخنقة)والصادق بالحاج، محمد بن شبيرة (بوسعادة)و الحاج موسى الدرقاوي، والشيخ محمد بوزيان قائد الثورة و تعتبر ثورة الزعاطشة امتداد لثورة الأمير عبد القادر[1] كما تعتبر بداية الثورات الشعبية غير المنظمة ولقد تعددت أسبابها وعواملها نوجزها بالشكل التالي:

1. الرفض التام للاستعمار الفرنسي ووجوده بالجزائر بحيث كان الدافع الوطني والديني أولى العوامل في تحريك هذه الثورة.[2]

2. تقرير الإدارة الفرنسية بزيادة الضرائب المفروضة على النخيل[3] من 15 سنتيما إلى45 سنتيما أي بزيادة قدرها % 300 على الرغم من تدهور محصول التمور من حين لأخر بسب الجفاف واكتساح الجراد وأيضا إصابة النخيل بمرض اتلف المحصول و جعله خارج عن دائرة البيع ولم تكتفي بهذا فسلطت عليهم نوعان من الضرائب كان السكان يدفعونها إلى عنصر شبه ارستقراطي يدعى عنصر الكراغلة منذ عهد الأتراك وبذلك عم التذمر كل طبقات السكان ولم يترددوا في تأييد الثورة وزعمائها عندما انطلقت الثورة .[4]

3. استحواذ فرنسا على الأحباس ومحاولة السيطرة على رجال الدين .[5]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية (1830-1900)، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992 ، ص 331.

[2] عميراوي أحميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1916)، دار الهدى، الجزائر، 2009 ، ص39 .

[3] سعيد بورنان، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830-1962)، ج1 ، ط1 ، دار الأمل، الجزائر، 2004 ، ص 114.

[4] يحيى بوعزيز، ثورة الزعاطشة1849 ، المجلة الخلدونية، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية لولاية بسكرة، الجزائر، ع3 ، 2004، ص33 .

[5] أحمد خمار، تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل، مطبعة الفجر، بسكرة، 2007 ، ص15.

4. انتشار الروح الوطنية ورغبة الشيخ بوزيان[1] في إحياء المقاومة التي قادها الأمير عبد القادر بالرغم من سياسة الترهيب التي استعملتها فرنسا ضده، فلقد كان الوازع الديني هو المحرك الأساسي لهذه الثورة .[2]

5. ثورات 1848 الفرنسية بحيث لم تكن ثورة 1848 بفرنسا بمعزل عن ثورة الزعاطشة فقد كان هناك عدد كبير من أبناء الواحات الشرقية الذين يطلق عليهم البساكرة يستقرون في الجزائر العاصمة كتجار وعمال ويطلعون على الأخبار بانتظام فنقلوا إلى بلادهم اخبار ثورة 1848وسقوط الحكم الملكي بفرنسا والعسكري بالجزائر وقيام سلطة مدنية) حيث عزل دومال وعين مكانه الجنرال كافانياك[3] (Cavaniganc) وقد أخذ المتنورون منهم يسعون ويفكرون في انتهاز الفرصة للقيام بثورة، وقد ذكر الجنرال ايفيان بأن اليهود في قسنطينة كان لهم دور بارز في نشر هذه الإشاعات .[4]

6. انتشار إشاعات في أوساط الجزائريين مفادها أن ملك المغرب ينوي الهجوم على الجزائر وينوي تخليصها من الاستعمار، وكذا نية الأمير عبد القادر في استعادة مركزه القيادي ومحاربة فرنسامن جديد، كما شرع في الأفق أن بريطانيا نفسها عازمة على احتلال الجزائر و قد اتهم كاربيسيا يهود الجزائر وقسنطينة في نشر هذه الإشاعات .[5]

7. التخلي عن مبدأ إعفاء المواطنين من الضرائب .[6]

8-كان عام 1849 فترة مهمة لتجديد الكفاح لأن فرنسا كانت منشغلة داخليا بالقضاء على الثورات المحلية في جهات مختلفة، أيضا انشغالها بثورتها وأحداثها وما تتبع ذلك من تصفية للنظام الملكي وتدعيم النظام الجمهوري وإقامة المؤسسات الاقتصادية ذات الطابع الاشتراكي.[7]

---

[1] الشيخ بوزيان :أحمد بوزيان بن إسماعيل و لد سنة 1799 ينحدر من أسرة معروفة في بسكرة من عرش الذواودة، درس في زاوية بالجزائر وبعد سقوط العاصمة عاد إلى الزيبان، أين التقى بالأمير عبد القادر وشارك معه في عدة معارك إلى أن عينه شيخ على الزاب الشرقي، أنظر شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص43 .

[2] محمد عيساوي، نبيل شريخي، الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري (1830- 1871)، مؤسسة كنوز الحكمة، الأبيار الجزائر، 2011، ص 127.

[3] كافنياك :هو Louis Eugène و لد في 15 نوفمبر 1802 بباريس تخرج من المدرسة المتعددة الفنون تولى قيادة معركة الزواوة 1837 أصيب مرتين في معركة شرشار و مليانة، عين حاكم عام سنة 1843 شغل منصب نائب في البرلمان، تقاعد سنة 1852 توفي في أكتوبر 1857، أنظر شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص44 .

[4] يحيى بوعزيز، ثورة الزعاطشة1849 ، المرجع السابق، ص 32.

[5] سوسي محمد الصغير، دوافع وأسباب فشل ثورة الزعاطشة، المجلة الخلدونية، الجمعية الخلدونية، الجزائر، ع03، 2004، ص 43-44.

[6] محمد الشريف ولد الحسن، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال (1830 -1962)، ، دار القصبة، الجزائر، 2010، ص 28.

[7] يحيى بوعزيز، ثورة الزعاطشة1849 ، المرجع السابق، ص 33.

9-السياسة التي طبقتها فرنسا بعد احتلالها للمنطقة وخاصة سياسة مصادرة الأراضي التي اتبعتها حيث أنها أصدرت العديد من القرارات أهمها[1]:

أ . مرسوم 1844 القاضي ببطلان شراء الأراضي وتحديد البنود المتعلقة ببيع وشراء الأراضي بين الأوربيين والجزائريين.

ب . قرار 31 أكتوبر 1845 الذي خص مصادرة الأراضي كما صودرت فيه أملاك السكان بحجة الإهمال.

ج . قرار 1846 الذي فرض على كل مواطن سندات ملكية أصلية كما قام بتحديد الملكيات أما الأراضي التي ليست لها سندات تحول إلى ملكية الدولة.[2]

---

[1] مذكرات الأمير عبد القادر، تحقيق الدكتور محمد الصغير بن ناني وآخرون، الطبعة الثانية، الجزائر، دار الآمة، 1998م، ص 100.

[2] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص45-46.

ثالثا : مراحل ثورة الزعاطشة:

نتيجة لكل الأسباب السابقة تهيأت الظروف لإعلان الثورة على الاستعمار فقد أخذ بوزيان ينشط في التحضير للثورة فاستدعى رؤساء القبائل والأعراش وجاءته الوفود من كل جهة[1] لتدارس الأوضاع ولتهيئة الشروط الضرورية للثورة كجمع المال وشراء السلاح وتخزين المؤن وغير ذلك وقام بوزيان بإثارة السكان ضد الاحتلال بعدم دفع الضرائب وأمام ظهور بوادر الثورة أمر الوالي العام الفرنسي ضباط المنطقة بأن يقبضوا على الثائرين فقام الضابط سيروكا بالتحرك نحو بسكرة واصطحب معه شيخ طولقة ابن ميهوب وبعض رجاله من الفرسان وتوجه إلى واحة الزعاطشة أين وجدوا الشيخ بوزيان يتجول وحده في البطحاء التي تتوسط القرية فطلب منه الضابط الفرنسي أن يتوقف و أمره أن يركب بغلة معدة لنقله إلى السجن لسجنه بتهمة التشويش[2]

امتثل الشيخ بوزيان وصعد على ظهر البغلة ثم فجأة قطع خيط سبحته فتناثرت على الأرض حباتها فنزل ليتظاهر بجمعها وذلك لربح الوقت ليستعد أنصاره للمواجهة وسرعان ما انطلق الرصاص من بنادق المجاهدين وهكذا هرب الضابط الفرنسي ومن معه وتركوا بوزيان[3]

وفي بسكرة قدم سيروكا [4] تقريرا مفصلا إلى القيادة العليا أخبرها فيه بأن جميع السكان في واحات الزيبان مستعدون للثورة ويناصرون بوزيان.

وعلى إثر هذا التقرير انتقل الضابط دوبوسكي (Dubousquet)رئيس المكتب العربي ببسكرة إلى الزعاطشة ليطلب من السكان أن يسلموا له" بوزيان " فأجابوه:" إننا نرفض أن نسلمكم الذي .تطلبون وإننا سنقاتل عن آخرنا رجالا ونساء من أجله ".[1]

---

[1] العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن19 ، دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر، 2006 ، ص199 .

[2] سعيد بورنان، المرجع السابق، ص114 .

[3] جعنيط عيسى، مقاومة سكان الواحات للاحتلال الفرنسي في ق– 19 ثورة الزعاطشة - 1849 أسبابها تطوراتها، مجلة الدراسات التاريخية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجزائر، ع2 ، 1995، ص 134.

[4] سيروكا Joseph –Adrien ولد 21 ديسمبر 1818 في باريبغنان Perpignan درس في المدرسة العسكرية وعين نائب في المكتب العربي ببسكرة في أكتوبر 1848 وعين رئيس المكتب العربي ببسكرة في جويلية 1850 .

أنظر.Seroka, op cit,p: 376

وعندما قررت القيادة الفرنسية محاصرة الزعاطشة لاحتلالها أعلن سكان قرى فرفار، فوغالة وبوشقرون أنهم يحملون السلاح لنصرة إخوانهم، عندئذ أدرك دوبوسكي أنه وضع في حرج وتيقن أن الثورة انتشرت في جميع المدن والقرى فقفل راجعا إلى بسكرة كما رأى سيروكا أنه من الضروري العدول عن كل الترتيبات والعودة إلى بسكرة.[2]

وعلى أثر ذلك قام النقيب لاقرونيه (Lagrenée) بإعطاء أوامره لشيخ العرب" بوعزيز بن قانة بأن يعد قبائله الموالية لفرنسا ويحاصر بهم واحات الزعاطشة، فرفار وليشانة واغتنم هؤلاء الفرصة فراحوا ينشرون الدمار والخراب انتقاما من تلك القرى التي أبت أن تتبعهم في بيع شرفهم غير أن هذا العنف لم يزد الثوار إلا إصرارا وعزما وتعززت صفوفهم من أجل محاربة الاستعمار والخونة وتمكنوا من إلحاق خسائر بهم[3].

وساعد هذا الانتشار على انتشار الثورة وكتب بوزيان إلى مختلف القبائل في الأوراس والحضنة وجبال أولاد سلطان يدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله واستجابت القبائل لهذا النداء .[4]

كما استجاب أولاد حمو لندائه وحملوا السلاح معه وهم فرع من أولاد دراج وجندوا حوالي500 فارس و 400خيال وعصوا خليفتهم سي مقران وقائد أولاد سلطان سي عمران بن جناد وهاجموا زمالته وخاضوا معركة كبيرة كما برز الشيخ حكمت بن الجودي شيخ أولاد زيان وتزعم الثورة في المنطقة وكانوا حوالي 400 رجل وامتدت الحركة إلى واد عبدي وهاجم الثوار هناك زمالة قائدهم بن عباس الذي كان متمركزا في وادي الوطاية ودع المرابط الشيخ عبد الحفيظ مقدم إخوان عبد الرحمان في خنقة سيدي ناجي واستمال إليه أولاد داود وأولاد عبدي وبني سليمان.[5]

[1] - .سعيد بورنان، المرجع نفسه، ص115 .
[2] سعيد بورنان، المرجع السابق، ص115 .
[3] يحيي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين (19-20)، 1، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الرويبة، الجزائر، 1994، ص 89-90.
[4] Ahmed Akhache:La risistance de 1845à1945,SEND,Alger,1972,p5-6.
[5] سعيد بورنان، المرجع نفسه، ص 115-116.

وبهذا تدخلت القوات الفرنسية فقتلت العشرات من أولاد سحنون كما أرسلت فرقة من قسنطينة إلى بسكرة واتحدت مع الفرقة القادمة من سطيف والتي بلغت 2000 مقاتل تحت قيادة كربيسيا وقد تمثلت مهمته في القضاء على أولاد سحنون ثم التوجه إلى واحة الزعاطشة، وفي 08 جويلية 1849 عاقب كربيسيا وأولاد سحنون وقتل منهم 140 رجلا واحتجز لهم 12000 رأس ضان و 2000 بعير وشرد مئات النساء والأطفال ليموت العشرات منهم في شط الحضنة وبهذا تمكنت القوات الفرنسية من السيطرة على منطقة الحضنة.[1]

يمكن تقسيم مراحل الثورة إلى ثلاث مراحل:

- مرحلة القوة.
- مرحلة حصار الواحة.
- مرحلة التراجع و المجزرة

1/ مرحلة القوة:

بعد ما تمكن القائد كربيسيا من إخضاع منطقة الحضنة توجه في 16 جويلية 1848 نحو واحة الزعاطشة [2]لإخضاعها[3]، وكان قومها 1350 جندي من المشاة، 220 فارس 2 مدفعان عيار 16 سم و4 مدافع عيار 12 سم وكان يومها الحر شديد زيادة على انتشار موجة من الحر بواحة نخيل فرفار القريبة من الزعاطشة وبعد فترة قصيرة بدأ الهجوم بتبادل إطلاق نار خفيف بالبنادق تحول شيئا فشيئا إلى نحو التكثيف تم دفع الحماس بعض الجنود حد الوصول إلى مشارف المنازل لكن تفرع القوات جعلها عرضه لقنص المتحصنين داخل الواحة مما صعب على الجنود الانسحاب من تلك الوضعية[4] ، مما جعله يتكبد خسائر بحيث قتل له 31جندي وجرح 117 جريحا.[5]

---

[1] محمد العربي حرز الله، منطقة الزاب مائة عام من المقاومة 1830-1930، دار السلسبيل، بن عكنون الجزائر، 2008، ص 258.
[2] أنظر الملحق رقم: 10.
[3] محمد الصالح الصديق، الجزائر بلد الصمود والتحدي، وحدة الرغاية، الجزائر، 2009 ، ص 69.
[4] حرز الله، المرجع نفسه، ص، 258.
[5] محمد الشريف ولد الحسن، المرجع السابق، ص29 .

وبعد ساعات من الاشتباكات لم يجد العقيد كريبسيا غير الانسحاب مع قواته تحت وقع الضربات القاسية التي تلقاها من الجماعات المقاتلة من أولاد نايل، بوسعادة والمسيلة الذين التحقوا بإخوانهم.[1]

ومن جهة أخرى تولى الشيخ عبد الحفيظ الخنقي مقدم الزاوية الرحمانية إعلان الجهاد وإلتف حوله مجموعة من قبائل أولاد داود وأولاد عبدي وبني سليمان وبني وجنة وأهل نسيغة وفي 17 سبتمبر1849 تحرك على رأس 200 فارس بقصد مهاجمة بسكرة وتمركز بالقرب من سريانة على رأس قوة عسكرية تقدر ب 300 فارس واستطاع ضرب حصار على المعسكر ورغم ذلك تكمن الثوار في الساعات الأولى من المعركة أن يهزموا عدد من قوات العدو بحيث تمكنوا من قتل القائد سان جرمان لكن المباغتة وإحكام الحصار أجبرت سيدي عبد الحفيظ الخنقي على الانسحاب.[2]

وهكذا كانت المرحلة الأولى مرحلة انتصار للثوار واستطاعوا أن يحققوا فيه نصر بسيط.

2/ مرحلة الحصار:

عند حلول شهر أكتوبر قررت السلطات الفرنسية توجيه حملة قوية إلى الزيبان ففي 25 سبتمبر 1849تحرك الجنرال هيربيون حاكم مقاطعة قسنطينة على رأس 5000 شخص وصلت القوات أمام الزعاطشة يوم الأحد 7 أكتوبر 1849 على الساعة 8 صباحا وقد عسكرت حال وصولها إلى كدية المايدة التي تشرف على كل من الزعاطشة، ليشانة، بوشقرون وطولقة وفي نفس اليوم أمرت السلطات بن قانة أن يجمع شيوخه ويكلفهم بمحاصرة الواحة من الجنوب بينما كلفت قوات أخرى بقيادة دوميرياك بالتمركز بين طولقة والزعاطشة[3] ، كما كلف المقدم ليرسات (Lirisat) بالتمركز قرب ليشانة، بعد هذه الاستعدادات نصب الفرنسيون المدافع وأخذوا يقذفون زاوية الشيخ بوزيان لإحداث فجوة في جدرانها وإبعاد المدافعين عن أسوارها ليسهل عليهم اقتحامها، وفي يومي7 –8 أكتوبر حصلت معارك كبيرة قتل فيها الثوار خلالها 75 رجلا فرنسيا من بينهم الكابيتان جاكلين الذي احتجزوه رفقة 11 قتيلا وجرحوا 67 رجلا آخر.[4]

---

[1] محمد الشريف ولد الحسن، المرجع السابق، ص 29.

[2] عيسى جعنيط، المرجع السابق، ص144 ، 145.

[3] محمد الشريف ولد الحسن، المرجع السابق، ص 29.

[4] المرجع نفسه، ص 29-30.

يوم 9 أكتوبر 1849 حاول الكولونيل بوتي أن يقترب من بساتين الواحة المحيطة بالزعاطشة ويناوش الثوار، وفي 12 أكتوبر 1849 إلتحق الكولونيل بارال [1] (Barral) بالقوات الفرنسية بالزعاطشة قادها إليها من بوسعادة على رأس 1500 رجل وفي 13 أكتوبر خرج ثوار الزعاطشة ليلا واقتربوا من معسكر العدو لمهاجمة وانضم لهم عدد من سكان طولقة وليشانة وتمكنوا من قتل جنديين وجرح800 آخرين، بهذا النجاح أخذ الأنصار يوفدون على الزعاطشة لتدعيم جبهة الثوار على الحصار الشديد الذي فرض على الواحة وامتدت أصداء الثورة وزادت رقعتها، وفي يومي 22 و 23 أكتوبر اعترض الثوار قافلة الجرحى الفرنسيون المتجهة إلى بسكرة في الوطاية، وهكذا بدأت معارك طاحنة بين الطرفين أهمها معركة سيدي أمرازي يوم 12 نوفمبر تمكن فيها الثوار من قتل عدد من الجنود .[2]

خلال هذه المرحلة لم تحرز القوات الفرنسية أي نصر رغم ضخامة عددها وعدتها بالمقارنة مع قوات الثوار ويرجع هذا الفشل إلى:

قوة الثوار وبسالتهم، تميز الهجمات الفرنسية بالعشوائية وعدم التنظيم، قوة التحصينات الشديدة التي كانت تتشكل منها المدن الصحراوية ومن بينها الزعاطشة إضافة إلى استهزاء القادة الفرنسيين بإمكانيات الأهالي.[3]

3/ مرحلة التراجع والمجزرة:

بعد هذه الانتصارات التي حققها الثوار على الفرنسيين وصلت النجدات للفرنسيين في يوم15 نوفمبر بقوة تتألف من8 آلاف رجل بقيادة الكلونيل لورميل، وقام الفرنسيون بإعادة توزيع قواتهم المحاصرة للواحة على الشكل التالي[4]:

وضعوا الفرقة الأولى تحت قيادة بارال والثانية تحت قيادة كانروبير والثالثة تحت قيادة دومنتي، ووضعوا الفرسان تحت قيادة مبرج والرماة تحت قيادة باريزي وجنود الهندسة تحت قيادة بريت فيلو.

---

[1] بارال(Francois Charles): ولد يوم 28 ماي 1820 بفرساي وهو أحد فرسان الصبايحية عين كملازم أول في1 سبتمبر 1844 ثم قائد في 16 أوت1848 ، وفي 2 جويلية 1863 تقلد رتبة جنرال و عمره 43 سنة، انظر :شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص5 .

[2] يحي بوعزيز، ثورة الزعاطشة1849 ، المرجع السابق، ص 36-37.

[3] عيسى جعنيط، المرجع السابق، ص 146.

[4] مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، ترجمة محمد العربي الزوبيري، الطبعة الثانية ، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م، ص 167.

وفي 16 نوفمبر حصلت عدة معارك شارك فيها جماعة من البدو غير مسلحين وفقدوا نتيجة ذلك 2000 جمل و 15 ألف رأس غنم وفي نفس اليوم اعترض الثوار قافلة تموين فرنسية في القنطرة متجهة من بسكرة إلى باتنة وتعاون معهم أولاد سلطان وأولاد لخضر وأولاد فضالة وأولاد علي ناصر وعدد من سكان الصحاري ولكن انعدام الأسلحة جعل مقاومتهم لا تنجح .[1]

ابتداء من يوم 17 نوفمبر كان الفرنسيون قد استكملوا استعداداتهم من حيث عدد الجنود والعدة والذخيرة وعزموا على القيام بهجوم واسع وتوجيه ضربة قاضية ضد الثوار والواحة المحاصرة وفي 20 نوفمبر بدأ الفرنسيون في قصف جدران القرية[2] بصورة مركزة لإحداث الثغرات التي تساعدهم على اقتحامها واهتموا بالتعرف أساسا على منزل الشيخ بوزيان زعيم الثورة ليجهزوا عليه.[3]

وفي يوم 26 نوفمبر رمى الفرنسيون بكل ثقلهم على الواحة فاقتحموها واستمر القصف من الصباح الباكر إلى منتصف النهار[4]، وبعد أن سقطت كل الدور وسكنت جميع الأرواح بقيت دار بوزيان قائمة ومنها كان يتصاعد الضرب، فوضع العدو في أساسها الألغام ونسفت بمن فيها واختلطت النيران بالدخان والغبار وأنات الجرحى بصوت الحجارة المتهاوية وسط الركام خرج بوزيان شامخ الرأس فانهال عليه العدو ضربا قبل أن ينجلي عليه الغبار والدخان فسقط شهيدا مضرجا بدمائه و بعد أن تأكد العدو انه لم يبقى في الزعاطشة حي من البشر ولا الشجر أقام على باب معسكر هيربيون مقصلة رفع عليها ثلاث رؤوس :رأس الشيخ بوزيان وإبنه ورأس الشيخ موسى الدرقاوي لمدة ثلاث أيام قبل أن تنقل إلى متحف الأنثروبولوجيا بباريس وهي مازلت هناك لحد الساعة .[5]

حقيقة أن ثورة الزعاطشة [6] كانت من الثورات التي لقنت درس للمستعمر وعبرت دون منازع عن الرفض الصارم له، فسكان الزعاطشة وسكان الواحات المجاورة قاوموا ببسالة حتى استشهدوا عن آخرهم فسطروا بذلك صفحة خالدة في تاريخ الجزائر المجاهدة[1]

---

[1] يحي بوعزيز، ثورة الزعاطشة1849 ، المرجع السابق، ص39 -40.
[2] انظر :الملحق رقم 11.
[3] جمعية أول نوفمبر، المرجع السابق، ص22
[4] محفوظ قداش، الجزائر الجزائريين (تاريخ الجزائر 1830-1954)، تر:محمد المعراجي، (د د ن)، الجزائر، 2008 ، ص 130، أنظر الملحق رقم 12.
[5] أبوا القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 336.
[6] أنظر الملحق رقم: 13.

رابعا: نتائج ثورة الزعاطشة:

لقد كانت نتائج ثورة الزعاطشة عظيمة حيث أثبتت مدى صمود وتضامن سكان المنطقة مع بعضهم لمقاومة الاستعمار كما أثبتت دناءة وفظاعة الجيش الفرنسي الذي يدعي الحضارة، كما عرف عنه بأنه جيش متوحش لا يمت للإنسانية بأية صلة ومن نتائج هذه الثورة نذكر[2]:

1. الخسائر الفادحة التي تعرضت لها الواحة على يد الجيش وقادته بحيث انتقم من المواطنين العزل بسفك دماء النساء والأطفال والشيوخ دون مراعاة أدنى حقوق بحيث قطعوا الرؤوس وعلقوها على السيوف والخناجر مثلما فعلوا مع بن بوزيان وإبنه وموسى الدرقاوي[3] ، بحيث أعدموا 794 مجاهد رميا بالرصاص وشنقوا 1500 شخصا أمام الملأ إضافة إلى نفي الأسر إلى مختلف مناطق الوطن، نتيجة للجرائم التي ارتكبها الجيش في حق سكان الواحة نجدDe Reymaud pellissier وهو من معاصري تلك الوقائع: " لن أتردد في الاعتراف بأن عزة المغلوبين حجبت فخار الغالبين ".

2. أعمال التخريب التي تعرضت لها الواحة بحيث يقول أحد الجنرالات في هذا الصدد" أخذت الزعاطشة عنوة يوم 26 نوفمبر على الساعة 8 صباحا بعدها قطعنا 7000 نخلة في الزعاطشة، 3000 في ليشانة ودمرنا الواحة عن آخرها [4] إضافة إلى مصادرة أملاك الأهالي التي تقدر ب 12738 و 903 شجرة مثمرة ".[5]

3. أثبتت ثورة الزعاطشة التضامن الديني والوطني الذي أظهره سكان المنطقة إضافة إلى التصميم العنيد الذي أفشل كل مخططات العدو بحيث بالرغم من فظاعة الحرب وشراسة العدو إلا أن سكان المنطقة لم يستسلموا[6].

---

[1] أنظر الملحق رقم: 14.

[2] بيرم كمال، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الحضنة الغربية" فترة الاحتلال (1840-1954)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2010-2011، ص 160.

[3] منور العربي وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1 ، دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر، 2010 ، ص157 .

[4] عبد الحميد زوزو، الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي: التطورات السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية (1837-1939)، ج1 ، تر:مسعود حاج مسعود، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، 2005 ، ص145 -146.

[5] مديرية المجاهدين لولاية بسكرة، قاموس الشهيد من شهداء ولاية بسكرة (1954-1962)، شركة الزيبان للفنون المطبعية والمكتبية، بسكرة، جويلية2005 ، ص19 ، أنظر أيضا علي تابليت، مصادرة أملاك أهل الزعاطشة وأولاد ضاغن بنواحي قالمة (1852-1853)، مجلة الثقافة، وزارة الاتصال و الثقافة، الجزائر، ع 115، 1997، ص 35-36.

[6] ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ص3 .

4. توسيع دائرة الانتقام من خلال حرق واحة نارة الواقعة بوادي عبدي بالأوراس وهي الواحة التي عرفت نفس مصير واحة الزعاطشة في 5 جانفي 1850 علي يد العقيد كانروبير الذي ذهب إلى القرية في قوة مكونة من ثلاثة فيالق من الجنود من أجل قتل السكان وتدمير وحرق الواحة.[1]

5. احتلال مدينة بوسعادة لأنها قامت بالانتفاضة بقيادة محمد علي بن شبيرة الذي دعم ثورة الزعاطشة وأرسل لها النجدات كما هاجم الحامية المتواجدة في بوسعادة سنة 1849 وانضم إليه أولاد نايل لذلك سارعت القوات الفرنسية من البرج ومجانة لمحاولة فك الحصار على الحامية الفرنسية[2] ، وبعد نجاح العقيد دوماس [3] في مهمته 14 نوفمبر 1849 ودخول المدينة وفك الحصار عنها وفرض علي الأهالي غرامة قدرت 8000فرنك كما فرض عليهم أثمن ماعندهم من زرابي ومنسوجات وتجريدهم من أمتعتهم لتسديد الغرامة مما جعل العديد منهم يفر إلي تونس كما نصب الضابط بان قائد على المكتب العربي ببوسعادة.[4]

6. ومن نتائج الثورة أيضا الشك في ولاء العائلتين المتعاملتين مع العدو (بوعكاز وبن قانة) رغم المساعدات التي قدموها للمحتل أثناء حملته على الزيبان بحيث أن الإدارة الفرنسية قسمت مناطق نفوذ العائلتين، بالنسبة إلى عائلة بوعكاز أضعفها الفرنسيون بإعطائها قيادات صغيرة في الحضنة ونواحي سطيف بعيدا عن أماكن نفوذ أجدادهم كما بقي الزاب الشرقي تحت قيادة ابن شنوف وأما عائلة بن قانة فقد قسمت منطقتها أيضا فأضافوا بني بوسليمان في الأوراس إلى ابن شنوف، وقسموا الزاب الغربي إلى :العرب الشراقة و الغرب الغرابة بقصد مراقبة شيخ العرب بن قانة و مراقبة السكان أيضا، كما أنشأوا في شمال بسكرة قيادة جديدة سموها قيادة السحاري تحت قيادة بولخراص بن قانة.[5]

7. استمرار المقاومة في مختلف أرجاء الوطن خاصة مابين سنتي (1849-1850)، مثل الثورة التي حدثت بزواوة في المنطقة الواقعة مابين تيزي وزو وسور الغزلان بحيث ظهر شخص واستغل فرصة إطلاق سراح بومعزة وادعى أنه بومعزة العائد من السجن ودعا إلى الجهاد فاستجاب له الناس بحماس في كل جرجرة وجرت

---

[1] محمد الشريف ولد الحسن، المرجع السابق، ص 31.

[2] إبراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر المعاصر، 1830-1962، د ط، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 95.

[3] دوماس :ولد في سبتمبر 1803 عين مدير الشؤون العربية عام 1844 ثم مدير لشؤون الجزائر في وزارة الحربية سنة 1850 ثم عضوا في مجلس الشيوخ سنة1858 ، توفي سنة1871 .

[4] Le Baron Henri aucaputaine:Notice sur Boussada, RA,n06 , Alge, 1862.

[5] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 338.

نموذجا

معارك انتهت باستشهاد الشريف 2 أكتوبر 1849 وكان مصيره نفس مصير بوزيان[1] ، كما أعلنت الأغواط في الجنوب الشرقي المقاومة فسارت لها الفرق الفرنسية بمدافعها وقامت بإخضاعها فمات أكثر سكانها تحت حد السيف وبين ألسنة اللهيب وخرب أكثر عمرانها.[2]

8. الخسائر الفادحة التي تعرض لها الجيش الفرنسي مثل قتل القائد الأول الكولونيل كربيسيا وقتل الرائد سان جرمان و قتل حوالي 330 عسكري من بينهم 30 برتبة ضابط وضباط صف، إضافة إلى جرح حوالي 860عسكري من بينهم 60 برتبة ضابط و ضباط صف، خسارة أكثر من 1000 رجل من القومية في ظرف أسبوع بشهادة هيربيون نفسه.[3]

وبهذا استطاعت ثورة الزعاطشة [4] تحقيق عدة انتصارات وأثبتت مدى تضامن سكان منطقة الزيبان بحيث خلدت في التراث الشعبي والشعر مثل :قصيدة الشاعر الشعبي محمد الليشاني:

فرد الحمام أسعاني يحميك يا أبي الدونان   وصل الباي الصحراء سلم عليه بوزيان

بسم الله نبدأ القصة صارت في آخر الزمان   هذا الروم جار علينا أيدور يرفد بوزيان

بوزيان راه واعر ماهوشي مهمول للخزيان   عنه ضرب في ليشانة وأهله كاملة شجعان.[5]

---

[1] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص59 .

[2] أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، (د س)، ص151.

[3] مديرية المجاهدين لولاية بسكرة، قاموس الشهيد، المرجع السابق، ص19 .

[4] أنظر الملحق رقم: 15 و16.

[5] بلغيث محمد الأمين، ثورة الزعاطشة في المصادر الفرنسية، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ع2 ، 1999، ص177 ، أنظر أيضا :محمد الأمين بلغيث، تاريخ الجزائر المعاصر، دار مدني، الجزائر، 2009 .

المبحث الثاني: ثورة العامري 1876.

أولا :أصل البوازيد :

1/ نسبهم :

البوازيد هم الأشراف الذين ينتسبون إلى الولي الصالح سيدي بوزيد بن علي الذي ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب [1] ويعود أصل البوازيد إلى جدهم الأكبر سيدي بوزيد بن علي بن مهدي بن صفوان بن مروان بن ياسر بن موسى بن سليمان بن عيسى بن عبد الله بن إدريس الثاني بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولد سيدي بوزيد بمكة المكرمة أول القرن الخامس عشر للهجرة مكث في مكة المكرمة ما يقارب 40 سنة عاش ما يقارب 160 سنة تلقى تعليمه على يد شيخه سيدي الإمام بن العربي الفقيه بمكة ثم انتقل إلى زيارة بني عمومه بفاس المغربية أين يوجد ضريح الشيخ إدريس الأكبر تم ترشيحه لرئاسة مدينة فاس لكن أبناء عمومته وقفوا له بالمرصاد فآثر خلع نفسه للحفاظ على صلة الرحم وانتقل بأهله إلى جبل أعمور وقضى بها ما يقارب 40 سنة وكانت وفاته بتربتها فقد خَلف سيدي بوزيد بن علي أربعة أولاد وهم :علي، عبد الله، محمد وأحمد .

أولاد محمد بن بوزيد بمراكش وهم أولاد جعفر [2] أما عبد الله فأولاده جزء كبير منهم من سكان القرية حيث ضريح سيدي بوزيد والجزء الآخر توزعوا بين الهامل وتاقين قرب معسكر :أولاد سيدي العيد في فرندة وأولاد عبد المالك في ثنية الحد، أما علي وذريته فهم :أولاد جلول، أولاد دريس، أولاد أيوب، أولاد جعفر (جبابرة) المدعوون البوازيد الشراقة وأولاد عيسى بالقبائل وهم ينتمون إلى الزاوية الرحمانية، أولاد سعود في البيض، أولاد صافي في سيدي بلعباس، بني سعد في تلمسان وأولاد بوزيد بن عبد الله في غليزان.[3]

---

[1] عمر بن محمد جغنون، نسب البوازيد الأشراف، مطبعة الرافدين، (د د ن)(، (د س)، ص28.
[2] دميخة عبد الحميد، الفريد في ذكر البوازيد (ملخص تاريخ الأشراف البوازيد)، ط1 ، مكتبة الشروق اليومي، الجزائر، 2012 ، ص 12.
[3] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص82.

أحمد وذريته أولاد أحمد وهم موجودون كلهم في أقصى الشرق الجزائري حتى تونس حيث تحمل ولاية تونسية اسم سيدي بوزيد.

وبوازيد[1] منطقة الزاب ينتمون إلى الابن الرابع سيدي بوزيد علي بن سيدي بوزيد وبسبب الاضطهاد الذي تعرض له هؤلاء البوازيد في الغرب من قبل أمراء تلمسان انسحبوا تباعا إلى جبل أعمور (عين الريش) ثم إلى أولاد جلال وأخيرا استقروا في واحة العامري وبعد استقرارهم في الواحة، شرع البوازيد في تشييد المنازل وبعض المرافق المهمة كالمسجد القديم، كما أنهم كانوا يمتلكون ثروة هائلة والمتمثلة في قطعان الماشية والتي كانت سببا في انتقالهم إلى التل في مواسم الحر كما كانوا يقصدون سوق السبت الموجودة في طولقة لفرز التمور.

أما عن تاريخهم في المنطقة قبل الاحتلال الفرنسي فقد كانت منطقة لغروس في العهد التركي تحت قيادة البوزيدي (شيخ لغروس) وذلك بعد أن منحه صالح باي الزميلي (البرنس الأزرق) وهذا دليل على تعيينه في منصب شيخ العرب بالزاب الشرقي و في أواخر القرن 17 وبداية القرن 18 قادت أم هاني التركية حركتها في منطقة الزاب، فكان من أهم نتائجها انقسام قبائل الجنوب إلى قسمين حيث ضم:

1. القسم الأول :أهل بن علي وهم الشرفة، غمرة الذين امتنعوا عن تقديم الطاعة لشيخ العرب إلا بقوة السلاح.

2. القسم الثاني :البوازيد أولاد زكري الذين قدموا لشيخ العرب الطاعة العمياء وضل هكذا الحال إلى غاية الاحتلال الفرنسي للزيبان.[2]

[1] البوازيد :بالنسبة لتسمية البوازيد نجده في المراجع أحيانا البوازيد وأحيانا أخرى البازيد

[2] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص84.

2/ لمحة عامة عن واحة العامري:

تقع واحة العامري في الجنوب الغربي لمدينة بسكرة على بعد 50 كلم تقريبا على مجرى مائي ينحدر من جبال أكسول [1] ويصب في واد جدي وقد قامت هذه القرية على أنقاض قرية قديمة تدعى بيقو تقع على بعد 500م شرق القرية وقد زالت أثار هذه القرية ولم يبقى من آثارها إلا القليل.[2]

أما القرية الحديثة العامري فهي قرية بسيطة البناء مبنية من الأخشاب والجريد لا يتجاوز عدد دورها 300 دار يحيط بها سور حصين مزود بمنافذ وأبراج لمراقبة محيطها وللدفاع عنها يوجد بالقرية مدخلان (شرقي وغربي) وهما عبارة عن بابين يوصدان بعد صلاة العشاء ويفتحان مع طلوع الشمس كما يوجد بها قصر العامري المكون من منازل متجاورة.[3]

وقد كانت الحياة الاقتصادية جد مزدهرة وذلك بسبب وجود الكثير من المتاجر ودور الحرفيين و تشتهر المنطقة بصناعة الزرابي والبرانس الجزائرية كما كانت تقام بها سوق أسبوعية كل يوم جمعة يعتمد أهل المنطقة في معيشتهم على غرس النخيل وزراعة الحبوب والخضر وعلى رعي المواشي والإبل وتربية الخيول خاصة عند البوازيد الرحل المنتشرين في ضواحي القرية.

أما الجانب الثقافي للواحة فهو ثري بحيث كثرت دور العلم خاصة المساجد وقد لعبت دورا فعالا في المنطقة بالجانب الثقافي فأصبحت مقصدا لكثير من العلماء في بلاد الجريد كما اشتهر بها عدد من العلماء والأطباء .[4]

---

[1] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص 266، أنظر الملحق رقم: 17.

[2] دميخة عبد الحميد، المرجع السابق، ص14 ، انظر :الملحق رقم 22.

[3] مبخوت بوداوية، مقاومة أولاد سيدي الشيخ، بالجنوب الغربي الجزائري، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 1998م، ص: 94

[4] دميخة عبد الحميد، المرجع السابق، ص 14.

3/ نبذة عن حياة الشيخ أمحمد يحي:

هو الشيخ أمحمد يحيى بن محمد الصغير بن عبد الله و لد سنة 1841 وهو زعيم قبيلة أولاد إدريس [1] وهو فرع من أولاد بوزيد ولا يعرف شيئا عن حياته قبل تزعم الثورة سوى أنه كان من عائلة ميسورة الحال ولديه القدر الكافي من العلم وبسب ذكائه أصبح أمين وصاحب سر القائد كما شغل منصب كاتب القايد بولخراص ابن قانة لعدة سنوات وهذا ما جعله يتزعم عرش أولاد إدريس وقد تزعم الثورة وهو في سن الخامسة والثلاثين كما انه عرف بالبطولة وحسن الخلق والذكاء وقد ساعده منصبه كثيرا على تقصي الأمور عن كثب وإدراك النوايا الحقيقية للعدو الفرنسي مما جعله يعارضها ويتصدى لها، فطلب منه بولخراص الاستقالة من منصبه بتهمة كتابة شكاوى باسم الأهالي وإرسالها إلى قائد المنطقة ورغم تأكيد خبراء الخطوط على براءة أمحمد يحيى إلا أن بن قانة أصر على عزله وهو ما سيؤدي فيما بعد إلى إعلان ثورته .[2]

ثانيا: أسباب قيام ثورة واحة العامري:

لقد تعددت أسباب ثورة واحة العامري إلا أنها لا تختلف كثيرا عن المقاومات الأخرى التي قامت منذ أن وطأت فرنسا أقدامها بالجزائر بحيث كلها قامت من أجل هدف واحد وهو رفض الوجود الفرنسي وسياسته والعمل على إخراجه وندرجها كالآتي:

1- .الكره الشديد للاستعمار الفرنسي وبغضهم إياه نتيجة قمعه للشعب الجزائري.[3]

2-يعتبر السبب الديني أهم سبب لإندلاع الثورة حيث أن سكان الصحراء كانوا ينظرون للفرنسيين على أنهم كفار ومن الواجب محاربتهم وهذا ما وَلد كرها شديدا في أنفسهم حيث أنهم كانوا يستغلون أي فرصة لمهاجمة القوات العسكرية الفرنسية .[4]

---

[1] يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص 267.

[2] دميخة عبد الحميد، المرجع السابق، ص 21.

[3] زياد نادية وآخرون، بسكرة السحر المثمر، د ط، دار الحكمة، الرويبة، الجزائر، 2010، ص 15.

[4] دميخة عبد الحميد، المرجع السابق، ص 32.

3-سعي أحمد بن عياش[1] الداعية الديني إلى تحريض السكان للجهاد ضد الإدارة الأهلية وخاصة تصرفات القياد وفي هذا الموضوع تقول جريدة المبشر :"أنه كثيرا ما يتضح بعد التحقيق أن احتجاجات بن عيش(بن عياش) كاذبة وهي بالتالي من إيحاءات محمد بن يحيى... " وتضيف أيضا :"أن بن عيش تمكن من أن يؤلب الناس على الإدارة الأهلية المتمثلة في الأعوان من الوقافون و النواب".[2]

4-تمكن القوات الفرنسية من القضاء على حركة بوشوشة بعد أن ثار سنة 1871 وتسبب في مذبحة تقرت سيطر بوشوشة على الجنوب سنة 1872 مضاعفا حركاته فيه إلى غاية إلقاء القبض عليه يوم 31 مارس 1874 فحكم عليه بالإعدام و نفذ فيه.[3]

وأعيد تنظيم منطقة الجنوب من جديد من طرف الحاكم شانزي (Chanzy) [4] في شهر جويلية 1847في محاولة منه لتحقيق التوازن بين الصفين المتنافسين (بن قانة و بوعكاز) وتضع حد لأذاهم وذلك بإسناد القيادة إلى ابن إدريس(الذي ألقى القبض على بوشوشة)، كما ترك نوع من حرية التصرف للزعماء الأهالي الكبار في منطقة الجنوب لاجتناب التدخل المباشر في شؤون المنطقة .[5]

5-تعود أسباب الثورة حسب إدعاءات ابن قانة من خلال المقال الذي نشروه في باريس بحيث عنون المقال "دفاع آل ابن قانة عن أنفسهم بأنفسهم " اتهموا فيه بصراحة علي باي زعيم عائلة بوعكاز في التسبب بإثارة مشاكل من خلال دفعه وصرفه مبالغ ضخمة لدفع " البوازيد" للثورة بطرق غير مباشرة .[6]

---

[1] أحمد بن عياش :رجل دين من عرش البوازيد وهو داعية أمحمد يحيى ساهم بشكل كبير في الثورة، أنظر:دميخة عبد الحميد، المرجع السابق، ص 28.

[2] مصطفى حداد، انتفاضة البازيد من سكان من واحة العامري و المناطق المجاورة سنة1876 ، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، ع 81، 1984، ص 213.

[3] Louis Rinn: Histoire de l insurrection de 1871 en Algérie, Libraurie Adolphe Jourdan ,Alger,1891,p 662.

[4] شانزي (Eugène Alfred Nouart): و لد في مارس 1823 بأنتوان كما شغل منصب ضابط و في جويلية1848 تقلد رتبة ملازم ثم كولونيل وفي6 ماي 1846 عين حاكم قسمة بلعباس 20 أكتوبر1870 ، و في 11 أفريل 1837 عين حاكم للجزائر، توفي سنة 1882 .أنظر شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص87 .

[5] شارل روبير اجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج1 ، ، تر:حاج مسعود أ بكلي، دار الرائد، الجزائر، 2007 ، ص112.

[6] يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر، ص 267.

6-هناك من يرجع أسباب الثورة مباشرة إلى التوتر القائم بين عائلتي ابن قانة وبوعكاز بحيث اعتبر التنافس القائم بينهما من أهم أسباب قيام الثورة خاصة الصحافة الفرنسية .[1]

7-يعتبر الجانب الاقتصادي أيضا سبب من أسباب الثورة وذلك من خلال رفع الإدارة الفرنسية للضرائب بحيث أوكلت مهمة جمعها إلى القائد بولخراص الذي كان متسلطا على السكان ويعاملهم بخشونة مما دفع بهم إلى الالتفاف حول أمحمد يحي وثورته.[2]

8- أما الحاكم شانزي فيرجع أسباب ثورة العامري من خلال تصريح له بأنها حركة معزولة وأن أسبابها ضاربة في جذورها إلى عمق الواقع اليومي لقسم كبير من السكان نتيجة الحيرة الصامتة التي تعيشها العديد من القبائل مجسدة في سذاجة الالتفاف حول المعلومات الكاذبة والإشاعات الرائجة وإلى موقف بعض الطرق الدينية من كل ذلك .[3]

9-الكره والعداء الذي يكنه الشيخ أمحمد يحي منذ 1875 للسلطات الاستعمارية ولأعوانها وذلك بعد مقتل أخيه الأكبر مسعود الذي كان قاضيا بمدينة بسكرة و قد شاع بين الناس أن القائد بولخراص بن قانة هو من أمر بدس السم له كما تأكد المراجع على أنه قتل مسموما وحسب شهادة مبروك بن عطية :أن القاضي مسعود خطب أخت بولخراص فاعتبر هذا الأخير أنها اهانة له باعتبار أن عائلة بن قانة أسياد، فطلب من الوكيل بلقاسم بن خمار أن يدس له السم فاستضافه هذا الأخير ودس له السم في الشاي، فتألم أمحمد يحي كثيرا لمقتل أخيه وقرر أن يأخذ بثأره منهم، ومما يرجح مقتل القاضي مسموما هو قيام السلطات الفرنسية بعزل الضابط كروزي(Crouzet) وتعين مكانه (Gellez) الذي أصدر قرار في 29 نوفمبر187 باعتقال أمحمد يحي استجابة لرغبة بولخراص وسمح للقرار أن يطبق .[4]

---

[1] Le cete Maragon : _ Insurrection dans la province de Constantine de 1870 à 1880 _ Bercer Levrault , et c te ,Editeurs, paris,1883,p120-12.

[2] دميخة عبد الحميد، المرجع السابق، ص 32.

[3] شارل روبير اجرون، المرجع السابق، ص 114.

[4] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص9

10- الرسالة التي بعثها سكان بسكرة إلى الحاكم العام بالجزائر خلال شهر جوان1875 اشتكوا فيها من ظلم عائلة ابن قانة وخاصة بولخراص ومن ظلم الضابط الفرنسي كروزي فإتهم بولخراص ابن قانة كاتبه أمحمد يحيى بأنه هو الذي كتب هذه الرسالة لهم وأوقفه و اكتشف أنه لم يكن الكاتب العسكري (Le froid) اقتاده إلى بسكرة حيث حقق معه الضابط لوفروا لتلك الرسالة ومع ذلك بقي بولخراص غاضبا على كاتبه وطلب منه أن يستقيل من منصبه ككاتب وكشيخ على أولاد إدريس لكنه رفض وأصر على مواصلة مهامه وعندما قام بولخراص بدعوة أمحمد يحيى إلى بسكرة مرة أخرى، رفض الامتثال لأمره مرة بدعوى خوفه من أن يقتل كما قتل أخوه القاضي مسعود ومرة بدعوى رفض أولاد بوزيد الموافقة له على ذلك.[1]

---

[1] يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص 269.

ثالثا: مراحل ثورة العامري:

المرحلة الأولى :مرحلة التحضير وبداية المقاومة:

بعد رفض أمحمد يحيى تلبية دعوة بولخراص ابن قانة إلى بسكرة وجه له هذا الأخير دعوة أخرى بعد أن قدم له الضمانات الكافية لسلامته فاتجه إلى بسكرة وتحدثا طويلا مع الضابط جيليز وبولخراص وعند انصرافه من بسكرة اعتقد جيليز بأن الأمور سويت وأن الأمور ستعود إلى

طبيعتها لكن السؤال المطروح لماذا جليز لم يعتقل أمحمد يحيى عندما حضر إلى بسكرة رغم إصداره قرار اعتقاله يوم 29 نوفمبر1875 .[1]

وعند عودة أمحمد يحيى شرع في دعوة البوازيد للاتفاق ونبذ الخلافات فيما بينهم وقد تمكن من التوفيق بين مختلف الأطراف كما وجد أمحمد يحيى في أحمد ابن عياش داعية لثورته فاستطاع هذا الأخير أن يوحد صفوف الأهالي ويجندهم و يبدد خلافاتهم الهامشية وبعد تمكن أمحمد يحيى من توحيد عرش البوازيد بدأ يحثهم على إعلان الثورة.[2]

وبسبب تأزم الموقف على هذا الشكل طلب الجنرال كاريتري تريكور من الحاكم الأعلى جيليز أن يهتم بما يجري في جنوب بسكرة وطلب من بولخراص أن يرسل تقريرا يتضمن تفاصيل ما يحدث في العامري فأجابه وأكد له أن البوازيد مخلصون للسلطة منذ قدوم عائلة ابن قانة للصحراء وإن اجتماعاتهم التي نظموها في تلك الفترة تمت من اجل طلب الغيث والاستسقاء من الله بعد أن اشتد القحط والجفاف لديهم وهي عادة كل المسلمين في مثل هذه الحالة وليس لغرض التمرد والعصيان.[3]

---

[1] يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص 269.

[2] Le Cete Maragon:op cit,p 128-129.

[3] محمد العيد مطمر، مقاومة واحة العامري1876 ، الخلدونية، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية لولاية بسكرة، الجزائر، ع3، 2004، ص91

إلا أن الضابط جيليز لم يقتنع بتقرير بولخراص و ذلك بسبب ما اخبره إياه أحمد باي قائد أولاد زكري عن تمرد أولاد بوزيد وعزمهم على القيام بثورة على الرغم من استجابة أولاد بوزيد لطلب الجنرال كارتيري في المساعدة لاقتحام مدينة تقرت.

وفي8 مارس 1876 توجهت القوات الفرنسية بقيادة كارتيري رفقة البوازيد إلى تقرت وعندما وصلوا إلى مراير (قرب المغير) انفصلوا عنه وذلك يوم 11 مارس، وحاولوا أن يغيروا عليه وعلى قواته في اليوم الموالي، فاضطر أن يعود بسرعة إلى الوراء ويعود أدراجه وفي 22 مارس تلقى جيليز رسالة من لوفروا يخبره فيها بثورة البوازيد فعاد إلى بسكرة كما ح ١١١/ مل لوفروا بولخراص مسؤولية ذلك واتهمه بالعجز عن معرفة ما يحدث في منطقة عمله.

كما أبلغ كارتيري بالمستجدات والاستعدادات التي قام بها لكل أمحمد يحي وداعيته الكبير أحمد بن عياش واتصالهما بشيوخ القبائل المجاورة لهم منهم :شيخ الجبابرة بن داح ومبروك بريكة شيخ أولاد داود والشيخ محمد بلحاج بن سالم وعلي بن ريش شيخ زاوية مليلي بهدف تحطيم نفوذه وسيطرت عائلة بن قانة والفرنسيين معا [1].

المرحلة الثانية : الانطلاقة الفعلية للمقاومة:

بعد استعدادات أمحمد يحي واتصاله بشيوخ الزوايا قرر لوفروا اللجوء إلى الحيلة مرة ثانية للإيقاع بأمحمد يحي فكاتبه وطلب منه القدوم إلى بسكرة للاتصال به والتحدث معه من أجل إيجاد حل للمشاكل ووضع حد لهذا التذمر، لكن أمحمد يحي تفطن لحيله واعتذر بحجة انشغاله وعدم استطاعته تلبية رغبته لأن البوازيد يعارضون ذهابه خوفا على حياته .[2]

وعندما طلب لوفروا من بولخراص أن يذهب إلى واحة العامري للاتصال بكاتبه القديم لنفس الغرض اعتذر وأبدى خوفه من أن يقتله البوازيد وأمام هذه العراقيل قرر لوفروا أن يقوم بهذه المهمة يوم 30مارس 1876من طريق ليشانة وعندما وصل إلى طولقة أستقبل ببرودة فطلب من عثمانبن علي التوسط وبقي لوفروا بزاوية طولقة وبعث رسالة إلى أمحمد يحي يطلب فيها حضور ه .[3]

[1] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص271.

[2] محمد العيد مطمر، مقاومة واحة العامري1876 ، المرجع السابق، ص 92.

[3] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص272.

لكن الرسول عاد ليخبرهم أن أمحمد يحي والبوازيد في حالة ثورة وأنهم أغاروا على المنازل والخيام بضواحي طولقة وأنهم متمركزون في السهل الممتد بين طولقة وفرفار[1] ، وفي هذه الأثناء بدأ الجنرال كارتيري بتجهيز قواته للسير إلى واحة العامري ومن جهة أخرى قام الزعيم أمحمد يحي بجمع السلاح وتعبئة كل الطاقات كما أن داعيته بن عياش قام بحمل علم اخضر) رمز الجهاد (و بدأ يحث الناس على حمل السلاح والصمود لتخليص البلاد من الأعداء فاستجاب البوازيد والمناطق المجاورة للنداء.

وفي 3 أفريل 1876 منح لوفروا البوازيد مدة 5 أيام للعدول عن الثورة كما كلف ابن قانة بتبليغهم الرسالة التالية " سوف أحاول إخبار السكان أنهم آيلون لا محالة إلى طريق مسدود وأنه إذا استسلموا بدون قتال سينجون من 14 قطعة مدفع مصوبة نحوهم و بنادق 2000 جندي تسد بيوتهم".

في يوم 2 أفريل وصلت إلى بسكرة أربع سرايا مشاة بمجموع 440 رجلا لتتوجه في الصباح من بسكرة، ليصبح مجموعها 6 سرايا وكانت تحت قيادة كارتيري القادم من قسنطينة، أما قوات السيد و المكونة من كتيبة للمشاة المقاتلين، فوج لمدفعية الميدان و 3 فرق للفرسان وفوج للمقاتلين(Duduch) الجزائريين، 44من البغال التي تحمل الغذاء، 122 من الحيوانات التي تحمل الإمدادات والأمتعة وفي6 أفريل 1876 وصلت هذه القوات إلى مشارف واحة طولقة.

وبعد انقضاء المدة التي منحت للبوازيد للعدول عن موقفهم تحركت هذه القوات وعسكرة في مليلي وفي يوم 9 أفريل وصلت إلى بوشقرون وفي يوم 10 من نفس الشهر عسكرت بالقرب من الولي سيدي رحال بالقرب من فوغالة.[2]

وفي صباح يوم 11 أفريل 1876 اتجهت هذه القوات نحو العامري الذي خرج فرسانها لرد الهجوم وعلى الساعة السابعة اندلعت المواجهة الحاسمة بين الطرفين بحيث بلغت قوات العدو2200 جندي [3] وحوالي 800من المشاة و 200 خيالة.[4]

---

[1] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص272.

[2] شلبي شهرزاد، المرجع السابق ص69.

[3] عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية1962 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، (د ب)، 1997، ص149 ،

[4] شارل روبير اجرون، المرجع السابق، ص 110.

وفرقة من مدفعية الجبال وعناصر من القومية بقيادة ابن قانة وكانت مكونة من عرب الشراقة وقد كانوا مترددين في مهاجمة إخوانهم لكن في الأخير قرروا الانضمام إلى صفوف البوازيد .[1]

وزحفت هذه العساكر صوب واحة العامري وتمركزت بالقرب من القرية على مرتفعات تمكنهم من مراقبتها وهي كدية ميمون شرقا وطبانة شمالا وذراع بلمسيس غربا ودام الحصار طويلا حيث قرر الثوار نقل المعركة بعيدا عن القرية حفاظا على الأهالي والمساكن والبساتين وقد قدرت قوات الثوار بحوالي 100 فارس و 2000من الراجلين في صفوف منظمة ونشبت معركة كبيرة بينهما، ومن خلال تقارير ضباط الحملة أن البوازيد خسروا خمسين قتيلا (50) أثناء المعركة ومن بينهم أمحمد يحيى قائد الثورة وجرح الداعية أحمد بن عياش وقتل عدد كبير من القوات الفرنسية .[2]

كما أن العدو فرض عليهم حصارا فاعتصموا داخل الواحة مدافعين عنها رافضين الاستسلام، ويعود سبب الفشل في هذه المرحلة إلى:

1-عدم احترام الثوار للخطة الموضوعة.

2-القصف العشوائي لقوات الاحتلال الذي أربك صفوف الثوار.

3-مساعدة الخونة والقياد للقوات الفرنسية وتزويدها بمعلومات هامة عن الواحة وعن أساليب القتال عند البوازيد.

4-نجاح الحصار نظرا للموقع المفتوح للواحة مما أجبر الثوار على الاحتماء بقصر العامري وتمكن قوات العدو من السيطرة على مجريات المعركة، أما أيام12 ، 13أفريل فقد تضمنت نشاطا للدوريات التي قادها العدو ليتمكن من رصد الخسائر التي ألحقت بالثوار بعد الهجوم الأول عليهم .[3]

وفي يوم 14 أفريل 1876 استغل الثوار فرصة هبوب عاصفة رملية شكلت غيمة فوق معسكرات الجيش الفرنسي فاقتحم 1500 مقاتل من البوازيد مخيم الفرنسيين بكل عزيمة وتمكنوا من جرح 3 ضباط فرنسيين و جرح ابن قانة قائد قوم بسكرة .[4]

---

[1] شلبي شهرزاد، المرجع السابق ص69.
[2] مصطفى حداد، المرجع السابق، ص215 .
[3] شلبي شهرزاد، المرجع السابق ص69.
[4] مصطفى حداد، المرجع نفسه، ص216.

وقتل 27 جندي فرنسي و 4 من جند القومية وجرح 4 قومية آخرون[1] وقد عرف هذا الهجوم "بليلة الزدمة أو الخدعة في جنان الرومي " .[2]

وفي 20 أفريل اشتبك الثوار مع القوات الفرنسية والتي فضلت التمركز في المعسكر في انتظار وصول المساعدات حيث استغل الثوار حالة الارتباك التي تخللت صفوف العدو وقاموا بالهجوم عليهم وذلك في فترة تناولهم لوجبة العشاء وقد سهل سي المكي بن عيسى عملية الهجوم الذي كان يفرق بين نغمات الأبواق وهذا بسبب خبرته حيث أنه كان مجندا في الجيش الفرنسي قبل عودته للواحة فما أن عزفت نغمة تناول الطعام حتى أمر الثوار بالهجوم وقد تمكن الثوار من قتل أربع جنود وجرح ثلاثة آخرون.

المرحلة الثالثة:مرحلة التراجع و تخريب الواحة:

قامت القوات الفرنسية بفرض حصار على الواحة في انتظار وصول الإمدادات العسكرية و خلال هذا الحصار رأى زعماء الواحة ضرورة طلب الإعانة من الواحات المجاورة وبدأ بن عياش الزعيم الروحي للثورة في كتابة الرسائل إلى زعماء القبائل المجاورة طالبا منهم العون والمساعدة ووصلت النجدة من أنحاء الزيبان بلغت 500متطوع وهذا ما جعل كارتيري يرسل في طلب التعزيزات من بوسعادة وقسنطينة فأحكم الحصار على الواحة في انتظار وصول النجدة وقد دام هذا الحصار حوالي شهر كثفت فيه فرنسا من القصف العشوائي على الواحة[3]، وفي 22 أفريل 1876 و صلت نجدات من قسنطينة بقيادة الجنرال عبد الله والعقيد ناروي (Narruè) الذي تمركز شرق الواحة، إضافة إلى قوات القومية القادمة من بريكة.[4]

وفي 24 أفريل 1876 التحق الجنرال روكيبرون (Roquebrune) [5] وعسكرت كل واحدة منها في مكان خاص حول الواحة وأحاطت بها قوات كارتيري من الشرق والشمال والغرب بينما تمركزت قوات القومية في جنوبها فأحكموا الحصار عليها.[6]

---

[1] مصطفى حداد، المرجع نفسه، ص216.

[2] أنظر الملحق رقم: 18.

[3] شلبي شهرزاد، المرجع السابق ص99.

[4] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص 274.

[5] عمار بوحوش، المرجع السابق، ص149 ، انظر :الملحق رقم 19.

[6] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص 274

نموذجا

وفي 28 أفريل سلطت نيران المدفعية من الجهات الثلاثة على الواحة فهدمت الكثير من البيوت وألحقت الكثير من الخسائر بالسكان والممتلكات[1] وبعد ثلاثة أيام من القصف المتواصل أجبر المقاومون على الاستسلام وذلك يوم1 ماي1876 .[2]

[1] أنظر الملحق رقم:20.

[2] مصطفى حداد، المرجع نفسه، ص 216-217.

رابعا نتائج ثورة العامري:

بعد الهزيمة تكون وسائل الانتقام للمستعمر واحدة في كل زمان ومكان بحيث يسلط الاستعمار شتى أنواع التعذيب على السكان حتى أن الأرض لم تسلم منه فعند فشل ثورة واحة العامري عملت فرنسا على تسليط أبشع العقوبات على سكان الواحة فقاموا بتخريبها بشكل كامل مثل ما فعله هيربيون في واحة الزعاطشة ولكن هذه المرة تحت شعار مشهور: (Vae-victis) " الويل للمغلوبين " ومن نتائج الثورة :

1. فرض غرامة مالية بمبلغ 150.000 فرنك أي 8 مرات مبلغ الغرامة السنوية ثم غرامة ثانية بمبلغ 45.000فرنكا لعدم تسليم سوى 452 بندقية من بين 1122 المفروضة، فرض غرامة على جيرانهم في الزيبان بمبلغ 44.200 فرنك .[1]

أما قوات القبائل المجاورة التي تساعد الثورة فقد تقرر أن تدفع غرامة قدرها 50.100 فرنك مقابل البنادق التي لم تسلم وعددها 501 بندقية، إضافة إلى دفع دية مقدرة ب 6000 فرنك لقوات القومية التي قتلت أثناء الاجتياح ودفع 3000 فرنك مقابل ما قتل من الخيول .[2]

2. مصادرة الأراضي الفلاحية ونهب الأثاث المنزلي والمؤن والمصوغات بمختلف أنواعها كما صادرت النخيل 337 نخلة وداران بالعامري، البرج 144 نخلة، فوغالة 1810 نخلة[3]، إضافة إلى 700 خيمة و 4000راس من الإبل و 15000 رأس من الغنم وقد منحت بعض الممتلكات للعرب الغرابة الذين كانوا في تناحر دائم مع البوازيد.

3. استشهاد 400 مجاهد من بينهم قائد المعركة أمحمد يحي ومصادرة سلاحه وجواده وبيعها في المزاد العلني أمام محكمة طولقة بمبلغ (4دورو) اشتراها شيخ قرية أوماش المسمى بولخراص .[4]

4. إبعاد ونفي الأعراش الأربعة الموجودة بحيث نفوا عرش الجبابرة إلى فرندة وتيارت وأولاد إدريس إلى ولاية المسيلة وأولاد أيوب إلى تبسة وأولاد سعود إلى بريكة كما نفي البعض منهم إلى سبيطلة (تونس) شرقا

---

[1] مصطفى حداد، المرجع نفسه، ص 218.

[2] شلبي شهرزاد، المرجع السابق ص99.

[3] مصطفى حداد، المرجع نفسه، ص 218.

[4] مديرية المجاهدين لولاية بسكرة، المرجع السابق، ص22 .

والى تيهرت والتل الوهراني وفاس والدار البيضاء غربا، وبمنطقة القبائل الكبرى يوجد هناك قرية البوازيد وسكانها يطلق عليهم إيبوزيدن كما نفي آخرون إلى شاطودان (شلغوم العيد حاليا) ومن بين الأعوان الذين تولوا مهمة نقل البوازيد إلى الغرب الجزائري اوزلاقن والباشا أغا بن علي الشريف كما تم نفي قادة المعركة إلى كل من جزيرة

كيان وكورسيكا ولم يبقى إلا 18 عائلة كان أربابها في سفر فلم تثبت ضدهم أي تهمة وأثناء حملات التهجير تعرضت العائلات الى مجاعات قاسية وأزمات اقتصادية فتاكة بحيث صرح قائد منطقة سطيف بمايلي :"منذ انتهاء حملة الحصاد أصبح المنفيون عاجزون في أغلب الأحيان عن الحصول عما يسد رمقهم إلا ما يقدم لهم في شكل صدقات... ولهذا نقترح على الإدارة العسكرية بسطيف استقدام هؤلاء إلى أقبو بمنطقة القبائل للعمل كأجراء لدى الكولون هناك".

أما عرش الجبابرة فقد نفوا إلى الغرب بنواحي فرندة حيث لم يستطيعوا العيش في المنطقة لذا فروا إلى المناطق المجاورة للقطاع الوهراني ونجد الحاكم العسكري بوهران يقول " إن بيوت البوازيد التي نقلت إلى غرب البلاد قد فر البعض منها إلى موطنها الأصلي "وهكذا حتى تاريخ 18جوان 1882 كانت عدد بيوت البوازيد المجبرة على الإقامة في القطاع الوهراني 133 بيتا منها 54 بيتا في دائرة سعيدة و 53 بيتا في معسكر و 6 بيوت في تيارت.[1]

وفي سنة 1879 تمت أول عملية بيع لواحة العامري وكانت المزايدة التي حدثت تشمل قطع منفصلة لكنها فشلت لعدم حضور أي مشتري وذلك تضامنا مع أصحاب الواحة الأصليين.

وفي3 نوفمبر 1879 أقيمت ثاني عملية بيع على أساس الواحة كاملة و تمت عملية البيع لصالح السيد (Forciolle Treille)و السيد (Sarradin) وهما من المعمرين.

وفي 7 أوت 1890 تم العفو عن مجموعات البوازيد المتواجدين في التل ويسمح لهم بالعودة إلى الزيبان ووزعت عليهم أراضي زراعية في الدوسن وقد خيروا بين شراء البساتين أو الدور فاختاروا الثانية .[2]

---

[1] مصطفى حداد، المرجع السابق، ص218 .

[2] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص 103.

وبقيت البساتين بيد المعمرين اللذين سخروا الأهالي لخدمتها تحت الذل و الهوان كما أجبروا على ممارسة حياة الرعي والخماسة في ممتلكاتهم كما أجبروا على ممارسة أعمال السخرة والمتمثلة في شق الطرقات وتعبيدها مثل الطريق الرابط بين باتنة وبسكرة .[1]

وفي سنة 1922 قدم البوازيد التماسا يطالبون فيه رفع الحراسة القضائية عليهم وفي سنة 1917 قاموا بإجراء اتصالات مع السيد ترايل قصد إعادة شراء نخيلهم و ذلك بواسطة ابن قانة وقد طلب السيد ترايل قيمة 150.000 فرنك، لكن البوازيد لم يكن بإمكانهم جمع غير 100.000 فرنك ويبدو أن العملية فشلت لأنهم لم يتمكنوا من الحصول على 50.000 فرنك الباقية وقد تم شراء واحة فوغالة من طرف نفس الشخص ثم انتقلت الملكية إلى السيد(Bchère) [2]و ذلك بعد تصفيتها.

5. إلقاء القبض على أحمد بن عياش الزعيم الروحي لثورة واحة العامري بعد أن أصيب بجروح وعرض على محكمة عسكرية حكم عليه بالإعدام ونفذ فيه كما قامت بنفي 31 شخصا إلى جزيرة كورسيكا.[3]

6. تهجير الأهالي وتشتيتهم في مناطق مختلفة من البلاد وخارجها (تونس، المغرب) بهدف تفكيك الرابط القبلي والاجتماعي .[4]

7. عزل الخائنين علي باي ومحمد بن إدريس أغا تقرت وورقلة، الأول لعجزه عن الدفاع عن تقرت ضد بوشوشة 1872 وقد صدر قرار تجريده من جميع وظائفه في أفريل 1877 والثاني رغم ولائه الأعمى لها وتمكنه من القضاء على حركة بوشوشة، إلا أن العقيد نولا اتهمه بالخيانة والكذب فتم إبعاده عندما انتصرت الزاوية التيجانية عليه تخلت القوات الفرنسية عن حلفائها التقليديين وحاولت التقرب من الزاوية التيجانية تحت شعار " نحن مع الأقوى".[5]

8. بتاريخ 12 أوت 1876 صدر قرار فرنسي في الجريدة الرسمية يتضمن استخلاص الأموال المحصل عليها بسبب ثورة واحة العامري وهي كالتالي:

---

[1] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص 103.

[2] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص 103-104.

[3] محمد العيد مطمر، مقاومة واحة العامري1876 ، ص95 .

[4] مديرية المجاهدين لولاية بسكرة، المرجع السابق، ص 22 .

[5] شلبي شهرزاد، المرجع نفسه، ص104 .

نموذجا

أ - الأموال المحصل عليها من طرف العدو الفرنسي كعقاب وتغريم سكان واحة العامري تصب في صندوق خاص جعل لهذا الغرض.

ب - كل شخص من سكان واحة العامري اغتصبت أرضه ويطالب بإرجاعها بعد تهدئة الوضع ما عليه إلا أن يشتريها من جديد وبأموال باهظة يدفعها للصندوق الذي جمعت فيه أموال العقاب والتغريم وذلك لصرفها في تعبيد الطريق الرابط بين باتنة وبسكرة، تقرت وورقلة .[1]

في سنة 1906 طلب مجلس الجماعة من البوازيد الذين بقوا في ديارهم شراء ممتلكاتهم السابقة وتتابعت هذه المطالب الموجهة للحاكم العام وأعيد نفس الطلب في 3 أفريل 1910 فكان رد الحاكم العام (إن المعنيين بالأمر البوازيد قد أخبروا عدة مرات أن عقاراتهم قد باعتها الدولة لأفراد في عين المكان فما عليهم إلا أن ينظروا في الأمر مع اللذين اشتروا تلك الأملاك).[2]

تعد ثورة واحة العامري 1876 نموذجا للثورات الشعبية في الجزائر عموما والصحراء خصوصا والتي كانت عواقبها انعكاسا للسياسة الاستعمارية التي أثبتت مدى بشاعة العدو الفرنسي والتي طبقت في حق السكان غير أن ذلك لم يمنع من مواصلة المقاومات الشعبية التي وأن تسكن أو تخمد في ظرف معين فإنها سرعان ماتلتهب من تحت الرماد وهو ما أثبتته الأيام بعد ثورة واحة العامري.[3]

[1] جمعية أول نوفمبر، المرجع السابق، ص 186.

[2] مصطفى حداد، المرجع السابق، ص 220.

[3] أنظر الملحق رقم: 21.

المبحث الثالث: مقاومة الشيح بوعمامة (1881- 1904).

1. التعريف بالشيخ بوعمامة:

الشيخ بوعمامة هو زعيم المقاومة الشعبية التي اندلعت سنة 1881 بالجنوب الغربي الجزائري في مواجهة التوسع الاستعماري الفرنسي. وهو ينتمي إلا قبائل أولاد سيدي الشيخ التي تزعمت المقاومة المعروفة باسمهم سنة 1864.

وينحدر الشيخ بوعمامة[1] من سيدي التاج الابن الثالث عشر لسيدي الشيخ جد القبيلة. لم يكن لقبيلة "أولاد سيدي التاج" دور بارز في تاريخ القبيلة، بل كان رجالها محايدون من ذلك الصراع الذي دار بين فرعيها الشرقي والغربي على رئاسة الزاوية، وكان أسلافهم قد انتقلوا إلى منطقة عين الصفراء وفكيك المغربية في تاريخ سابق(ق 18م) قادمين من منطقة الابيض سيدي الشيخ.

كانت قبائل أولاد سيدي الشيخ ذات النسب المرابطي، تسكن الجنوب الغربي الجزائري منذ القرن الرابع عشر الميلادي. وكانت تحظى بمكانة محترمة بين سكان المنطقة. وقد ازداد التكريم والاحترام لهذه القبائل بعد ظهور الشيخ عبد القادر بن محمد الذي سيدعى "سيدي الشيخ"، بعد أن أسس طريقة صوفية متفرعة عن الشاذلية. وبعد وفاته سنة 1616م، أصبحت بلدة الحاسي الابيض التي دفن فيها، تدعى منذ ذلك الحين بـ "الابيض سيدي الشيخ"، تكريما للشيخ الراقد في تربتها. وأصبحت البلدة والضريح مقصدا للزيارة قصد الذكرى والتذكر، أو قصد التبرك والتوسل.

كان للطريقة أتباع كثيرون بين مختلف قبائل المنطقة، يُقدمون العطايا المادية فيما يدعى بـ "الغْفارْ" للزاوية سنويا، مما كان يُدِرُّ الدخل المالي للمكان الذي أصبح زاوية تعلم القرآن الكريم وتؤوي الغريب والمسافر. وكان تأثير الطريقة يمتد من مدينة فكيك المغربية غربا إلى مدينة وَرْقلة شرقا.

الوضع في الجنوب الغربي بعد احتلال مدينة الجزائر سنة 1830كان الوضع مستقرا، وكانت الزعامة الشعبية في المنطقة لقادة أولاد سيدي الشيخ باعتبارهم ورثة جدهم سيدي الشيخ مؤسس الطريقة المذكورة.

---

[1] أنظر الملحق رقم: 23.

وقد سارت القبيلة مع الأمير عبد القادر سنة 1836 لتأديب الزاوية التجانية في عين ماضي، وفرض الانضمام إلى المقاومة الوطنية، وعادت بعد ذلك إلى العزلة التي عاشتها منذ زمن.

وبعد أن احتل الفرنسيون مدينة الجزائر سنة 1830، انطلقوا لاحتلال القطر الجزائري كله، وكانت لهم محاولات للسيطرة على الجنوب الغربي من خلال القيام بعدة حملات عسكرية: منها حملة العقيد جيري سنة 1845، وحملة الجنرال كافينياك سنة 1847، والحملة الثالثة تحت قيادة الجنرال بليسيي سنة 1849.

جاءت هذه الحملات للاطلاع على المكان من أجل السيطرة عليه مستقبلا، وقد عاثت هذه القوات المعتدية فسادا في التنكيل بالسكان والاستيلاء على مقدراتهم المادية، وعادت إلى قواعدها في الشمال. وكانت بلدة البَيِّضْ هي التي نجح جيري في إقامة أول مركز عسكري بها عندما عاد إليها ثانية سنة 1853، وستدعى البلدة بعد حين باسم (جيريفيل).[1]

عمل الفرنسيون على التقرب من العائلة الشيخية لكسب أبنائها إلى جانبهم، وقد وُفقوا في ذلك بجعل زعيمها حمزة بن بوبكر زعيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة يسير في ركابهم، فعينوه خليفة على الجنوب في ذلك الوقت حتى ورقلة. وعندما ارتابوا في إخلاصه لهم استدعوه إلى الجزائر العاصمة، وهناك توفى سنة 1861، وقد أثيرت حول موته عدة تفسيرات، منها أنه مات مسموما بتدبير من الفرنسيين. جاء في أحد التقارير الفرنسية أن حمزة بن بوبكر خليفة أولاد سيدي الشيخ مات يوم 21 أوت 1861 في ظروف غامضة بمدينة الجزائر.

وبعد موت حمزة بن بوبكر، خلفه ابنه بوبكر برتبة باشاغا، وهو منصب أقل من منصب خليفة، ولم تدم فترة حكمه طويلا، حيث توفى في السنة الموالية(23 جويلية1862)، ليخلفه أخوه سليمان بن حمزة، الذي أعلن المقاومة سنة 1864 [2]، فاستقال من منصبه، وأعلن الجهاد في أبريل من السنة نفسها، بمراسلة مختلف قبائل أولاد سيدي الشيخ والقبائل الموالية لهم.

---

[1]عبد القادر خليفي، المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2010، ص: 55.

[2] جرت حادثة بين كاتبه سي الفضيل وبعض جنود الصبايحية، اعتقل على إثرها هذا الأخير من قبل المكتب العربي بجيريفيل(البيض)، مما أثار حفيظة سي سليمان، وكانت هذه الحادثة التي أفاضت الكأس ضد الفرنسيين.

وقد قتل سي سليمان في أول معركة في مواجهة الفرنسيين، كما قتل الجنرال بوبريتر قائد القوات الفرنسية في المعركة نفسها وهي معركة عُوَيْنَة بوبكر بنواحي البيِّض. وتولى الزعامة بعده أخوه سي محمد ثم أحمد وأخيرا قدور بن حمزة الذي عقد الصلح مع الفرنسيين سنة 1883.

هذا عن قبائل أولاد سيد الشيخ الشراقة(الجزائريون) عامة، قبل ظهور مقاومة الشيخ بوعمامة، الذي ينتمي إلى هذه القبيلة الكبيرة بفرعها الغربي، والذي استقر في بلدة مُغرار التحتاني سنة 1875 لينشئ فيها زاوية شيخية، ثم يعلن المقاومة المسلحة سنة 1881 ويخوض معارك ضد العدو المحتل، ويبقى صامدا في موقفه العدائي من الفرنسيين حتى وفاته سنة 1908 بعيون سيدي ملوك بالمغرب الأقصى.

2. **مميزات مقاومة الشيخ بوعمامة:** تميزت بعدة خصائص نذكر منها ما يلي:

1–الزعامة الدينية:

كان بوعمامة شيخا لطريقة صوفية، قبل أن يعلن المقاومة سنة 1881، أي أنه كان زعيما دينيا بحتا. وإذا قارناه بزعماء مقاومة أولاد سيدي الشيخ، التي اندلعت قبل ذلك سنة 1864؛ فإننا نتوصل إلى حقيقة أن الشيخ بوعمامة يختلف عنهم؛ حيث أنه تولى هذه الزعامة منذ استقراره ببلدة مُغرار سنة 1875، كمقدم للطريقة الشيخية، بتوجيه من شيخه محمد بن عبد الرحمن ممثل الطريقة في بلدة بني ونيف، ثم كشيخ في مرحلة تالية؛ في الوقت الذي تزعم مقاومة 1864 زعماءُ سياسيون، ورثوا ولاء القبائل التي كانت مُوَالية لأسلافهم، وليس لمنصب ديني كانوا يتولونه.

كما أن مقاومة الشيخ بوعمامة عُرفت باسمه لأنه كان الزعيم الأوحد لها، بينما تعدد زعماء المقاومة التي اندلعت سنة 1864. ويتمثل هؤلاء الزعماء الآخرون في سليمان بن حمزة مفجر المقاومة، فأخوه محمد فأحمد وأخيرا قدور بن حمزة، يضاف إليهم أعمامهم سي الاعلى وسي الزبير، بالإضافة إلى زعماء أولاد سيد الشيخ الغرابة ومنهم سي سليمان بن قدور.

وكان شعار مقاومة 1881 هو مواجهة الاستعمار عن طريق الجهاد تحت راية الإسلام ودفاعا عن الوطن، وليس لمنصب فقده زعيمها أو لقضية أثيرت بينه وبين الفرنسيين أو مع أعوانهم من الجزائريين الذين باعوا ضمائرهم لأعداء الوطن.

كان الشيخ على علم بالحركة الجهادية التي عزم على قيادتها، فأعلم تابعيه وأعوانه أنها المشقة والمآسي وأنها ترك الأولاد والأوطان. لم يجبر أحدا على ذلك، بل كان يخيرهم بين إتباعه أو التخلي عنه، ولكنه وفي الوقت نفسه، يطلعهم على أن ما يقوم به، وهو إحدى شعائر الدين الإسلامي وهي شعيرة الجهاد. جاء في إحدى رسائله إلى قبائل الشعامبة سكان الصحراء الجزائرية: "..وبعد نعلمكم أعلمكم الله خيرا، نريد قدومكم، ونلاقوا(كذا) على أمر الجهاد في سبيل الله، هذا الأمر نادى (به) المنادي...".[1]

وهو بهذا الطرح كان يحاول تحاشى قناصي الفرص والمتملقين ذوي النفوس المريضة الراغبين في استغلال الفرصة للإغارة والسلب، على حساب المبادئ والدفاع عن الوطن بإخلاص وتفان، ويريد أن لا يتبعه إلا مَنْ قَبِل الجهاد وقلبُه مطمئن كل الاطمئنان.

لقد كان الدين ولا يزال من أهم الروابط الاجتماعية التي تربط الأفراد بعضهم ببعض، لأن الدين بما له من قوة التأثير يُوَلد لدى أتباعه نوعا من الوحدة في الشعور ويثير في نفوسهم العواطف والنزعات الخاصة التي تؤثر في أعمالهم تأثيرا شديدا.

وبهده الخاصية اختلفت مقاومة الشيخ بوعمامة عن مقاومة أولاد سيد الشيخ السابقة لها تاريخيا، والتي تميزت بالجانب العسكري دون غيره.

2-إنشاء الزاوية:

بمجرد أن استقر الشيخ في بلدة مُغرار جنوبي عين الصفراء ابتنى زاوية بمساعدة سكان القصر، التي أصبحت تؤدي مهمة تحفيظ القرآن الكريم وإيواء المحتاجين والمسافرين وذوي الحاجة بصفة عامة. كما ابتنى ثانية تحت الزرائب في بلدة أولاد عبو بدلدول في الجنوب الجزائري عندما انتقل إلى هناك، وثالثة متنقلة في الخيام بعد خروجه من دلدول سنة 1894 إلى وفاته سنة 1908. وقد استقبلت الزاويتان الأخيرتان، بالإضافة إلى ما سبق ذكره من أعمال البر والإحسان، استقبلت الناقمين على السلطة الفرنسية في الجزائر، الذين كانوا يجدون في الزاوية الأمن والإيواء.

وقد ظلت الزاوية خلية تلتف حولها القبائل الجزائرية في الجنوب الغربي وفي شرقي المغرب تحت زعامة "شيخ يجمع إلى جانب الورع والتقوى موهبة القيادة الحربية والمناورة السياسية، حريص على جمع كلمة المسلمين

---

[1] عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة(1830-1900)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص: 137.

وخدمة الإسلام عقيدة وعملا. ومن ثمة يمكن اعتبار هذه الزاوية، (كما يقول عبد الحميد زوزو) نموذجا للدور الإيجابي الذي اضطلعت به بعض الزوايا، والمتمثل في رفضها للاستغلال والاستعمار".[1]

3-التحضير المُحْكَم:

لم تقم مقاومة الشيخ بوعمامة من العدم أو دون تحضير ورغبة، بل كانت مسألة المقاومة في ذهن الشيخ قبل سنوات من اندلاعها. فقد زار قبائل مختلفة في الجنوب الغربي[2]، ووعدها بإعلان الجهاد في الوقت المناسب، وأرسل مقدمي الطريقة إلى قبائل أخرى[3]، يدعوها إلى الاستعداد للجهاد بتوفير السلاح والذخيرة(تقرير 22 أبريل 1881) معلنا لهم بأنهم سيسمعون عنه قريبا "سلطانا" (بالتعبير الصوفي). وكان السبب المباشر الذي اندلعت على إثره المقاومة هو حادثة محاولة القبض على أحد مقدميه وهو الطيب الجرماني. جاء في تقرير للسلطات الفرنسية مؤرخ في 25-4-1881 أن الزائرين لبوعمامة يَرُوحون عُقلاء ويغدون مجانين.[4]

وهو ما يعني رفضهم للحكم الاستعماري، وهذا ما يراه الفرنسيون خروجا عن الأعراف وعن القانون الذي وضعوه، وهو في نظرهم جنون.

ويذكر أحد الضباط الفرنسيين المعاصرين للشيخ أنه "منذ سنة 1878 قام مقدمو بوعمامة بأعمال مشتبه فيها لدى القبائل البدوية جنوبي إقليم وهران، يبشرون بالجهاد ويسجلون الإخوان وينظمون جهودهم من أجل حركة عامة".[5]

ويقول آخر، معاصر له أيضا، إن بوعمامة كان يكرر في ظروف متعددة أنه لن يطول الوقت حتى يسمع عنه الكثير، وأن أيام فرحة المسلمين ستعود قريبا.[1]

---

[1] عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة 1881-1908 جانبها العسكري والسياسي، دار هومة، الجزائر 2013، ص: 108-109.

[2] أنظر الملحق رقم: 24.

[3] من القبائل التي زارها نجد قبائل الرزاينة وأولاد خليفة وحميان والطرافي وأولاد التومي وأولاد أحمد. ومن المقدمين الذين أرسلهم نذكر: مرزوق السروري- الطيب الجرماني- العربي ولد الطيب- بلقاسم ولد لزغم.

[4] عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، المرجع السابق، ص: 12.

[5]- Empéranger, Etude sur les causes, les effets et les conséquences de l'insurrection de 1881, cercle de Tiaret, le 1er Janvier ,1883 archives de la wilaya d'Oran N° 4465

وفي 23 مارس 1880 أعلم قايد الشلالة الظهرانية السلطات العسكرية بأن عددا كبيرا من الزوار من قبائل الطرافي حملت الزيارة لبوعمامة. وأن أفرادا من قبائل دراقة وأولاد سرور وعَكَّرْمة، كَوَّنوا، في الأيام السابقة، قافلة تتكون من 60 إلى 70 شخصا، ذهبوا كلهم لمنح الشيخ كمية هامة من المواد، أكثر مما كانوا يدفعونه له عادة. منها تسعة من الإبل تحمل الألبسة والقمح والزبدة والقهوة وألفين من العملة. وكانت القافلة تتضمن أيضا حصانين خاصين للاحتفالات، وتم تسليم كل ذلك للزاوية.[2]

فهذه الزيارات وتلك الوعود، إلى جانب تلك المؤن من أغذية وألبسة، ما هي سوى مقدمات لحركة مستقبلية كانت تُهَيؤ في الخفاء، علم بها أعوان الاستعمار الذين كانوا يتتبعون عَوْرات بني وطنهم لرصد كل حركة تنم عن معارضة أو تمرد في مواجهة العدو المستعمر، تلبية لتوجيهات أرباب نعمتهم، وخدمة لمصالحهم مقابل فتات يتسلمونها من هذا العدو.

4- كثرة المراسلات :

كانت للشيخ مراسلات عديدة ومع جهات كثيرة، وبخاصة بعد انتقاله إلى دلدول. وفي مقدمة الجهات التي راسلها نجد السلطات الفرنسية، كرئيس الجمهورية ووزير الحربية والحاكم العام بالجزائر، وحكام المقاطعات المختلفة هنا وهناك (غرداية- جنين بوزرق- عين الصفراء- القليعة.)، إلى جانب مراسلاته للسلطان المغربي[3] وإلى سي قدور بن حمزة آخر زعماء مقاومة 1864، وإلى زعامات أخرى وأشخاص جزائريين ومغاربة. وكان له ختم وأسلوب معين في الكتابة والتوقيع، وكانت له مفاوضات مع قادة فرنسيين؛ وبهذه الخاصية، كما يقول المؤرخ عبد الحميد زوزو، كانت هذه المقاومة أقرب إلى مقاومة الأمير عبد القادر وأحمد باي منها إلى بقية المقاومات الشعبية الجزائرية الأخرى.[4]

---

[1]- Bezy (Le citoyen), Insurrection du sud Oranais, publié par le Citoyen Bezy, Oran collet 1884, P : 14

[2] Bezy(Le citoyen), IBID, P : 13-14

[3] مولاي الحسن حتى سنة 1894، ثم مولاي عبد العزيز بعد ذلك.

[4] عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص، 108.

وقد استعمل الشيخ بوعمامة أسلوب المناورة في تعامله مع السلطات الفرنسية، فقد كان دائم المراسلة معهم، وبخاصة بعد انسحابه من المنطقة التي اندلعت فيها حركته؛ داعيا إلى الحوار، مرجحا التفاوض بدل الصدام، مدافعا عن أتباعه. وهو بذلك يستغل طلباته للأمان من أجل توسيع نفوذه أو أخذ قسط من الراحة لجنوده بعدما كابدوه من هجرة وتشرد ومتابعة من قبل القوات الفرنسية، أو من أجل التحرك من مكان إلى آخر.

كانت السلطات الفرنسية تفرض على الجزائريين الذين يتنقلون في الجنوب الحصول على رخصة مرور للمغادرة، وعليهم الاتصال بسلطات المنطقة التي يحلون بها. يُذكر في هذا المجال، أن بوعمامة لم يفعل ذلك في إحدى المارات؛ ففي 15 جوان 1879 قام بزيارة ضريح سيدي الشيخ، كما كان يفعل دائما. ومن هناك وجه رسالة إلى القائد العسكري الأعلى لجيريفيل، يعتذر له فيها عن عدم المرور بالمركز الفرنسي، على إثر تنقله هذا، مبررا ذلك بشدة تعبه.[1]

فهل فعلا كان تعبُ الشيخ هو المانع له من المرور بالمركز الفرنسي؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ لا شك أن الشيخ لم يكن يرغب في رؤية الفرنسيين أعداء الوطن وأعداء الدين، فأراد من تلك الرسالة أن يتقي شرهم في كل الأحوال.

وجاء في أحد المؤلفات الفرنسية المعاصرة لمقاومة الشيخ أيضا: "إنه (بوعمامة) يرغب في تبادل المراسلات معنا بهدف خداعنا، لقد طلب في شهر أوت 1880 القدوم للسكن في الابيض (سيدي الشيخ)، حيث اقترح بناء مسكن له فيه. وقد أجبناه بالإيجاب ومنحناه تصريح مرور، ورغم ذلك بقي يسكن مُغرار ولم يتكلم عن تغيير مسكنه مرة أخرى.[2]

وفي تقرير آخر، ورد أن الشيخ تقدم سنة 1883 بطلب للأمان، ورفضته السلطات الفرنسية لعدم ثقتها فيه.[3]

[1] Bezy(Le citoyen), IBID, P : 13
[2] Bezy(Le citoyen), IBID, P : 15

[3] عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 71.

لقد وعى كثير من الفرنسيين أهداف الشيخ من طلبه للأمان، فلم يعيروه اهتماما كبيرا، ودعوا حكومتهم إلى الانتباه لهذا الأمر، واتخاذ الإجراءات اللازمة للقبض عليه أو إبعاده عن الأراضي التي كان الفرنسيون يسعون للسيطرة عليها.[1]

أما عُروض الأمان من قبل الفرنسيين فتتمثل، بحسب علمنا، في الآتي: في سنة 1885 زاره، وهو في دلدول، الملازم مارسيل بالات، وأبلغه العرض الفرنسي بتسليم نفسه بدون شروط مع إحالته على العدالة للنظر في الدور الذي لعبه في حوادث ما كان يسمى بالجنوب الوهراني، فلم يرد عليه ردا واضحا. وفي سنة 1892 جاءه مبعوث السلطات الفرنسية الحاج علي بوطالب الملحق بالوزير المفوض بطنجة، تَعْرض عليه السلطة الفرنسية الأمان والتمتع بالراحة والحصول على كل الامتيازات التي حصل عليها أبناء عمه سنة 1883.

وفي المرة الثالثة توصل برسالة أمان، من قِبل الحاكم العام لافيريير، في نوفمبر سنة 1899 يَعِدُه فيها بالحصول على ما ناله الرعايا الفرنسيون من حسن الحماية. وقد كانت ردود الشيخ كلها مراوغة لاستغلال الوقت، فلا هو قبلها ولا هو رفضها قطعيا، بل نجده يؤجل ذلك إلى الوقت المناسب؛ مما يدل على حنكته ومعرفته بالأوضاع المحيطة به.

وفي السنة التي غادر فيها منطقة دلدول في اتجاه فكيك المغربية وهي سنة 1894 راسل عدة جهات فرنسية يطلب فيها منحه الأمان، مذكرا إياهم أنه لا يرغب في تعكير الجو بين الطرفين. وقد وجه ثلاث رسائل في السنة المذكورة إلى كل من الحاكم العسكري لبلدة جنين بورزق القريبة من مدينة فكيك (4أبريل)، وثانية إلى الحاكم العام بتاريخ(24 أفريل)، وثالثة إلى الحاكم العسكري لدائرة غرداية(جوي). وبعد سنتين أي في 17 جوي 1896 راسل الحاكم العام بنفس المعنى، ومما جاء في رسالته: "..ونحب منك تنبه طاعتك وتأمرهم بكف الأذى عنا. لهم يستوصوا بنا خيرا. ".[2]

فهو يطلب الأمان من السلطات العسكرية الفرنسية بين الحين والآخر، وعندما يصدر له الأمان يتلكأ في الخضوع، وبعد مرور سنوات يراسل السلطات العسكرية ليذكرها بالأمان الذي منح له في السابق كي لا يتم التعرض بالأذى لأتباعه، رغم أنه لم يَبْدُ منه أي رد إيجابي.

---

[1] عبد القادر خليفي، الشيخ بوعمامة وقضية الأمان، مجلة حولية المؤرخ، العدد الثاني سنة 2000. ص: 205-206.

[2] عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 152.

وإذا أردنا معرفة رأي أحد معارضي الشيخ بوعمامة وهو عبد الوهاب بن منصور المؤرخ المغاربي، الذي لم يترك شاردة ولا واردة مشينة إلا ألصقها بالشيخ؛ فها هو يُرغَم على قول جزء من حقيقة سلوك الشيخ تجاه الفرنسيين؛ فيذكر أن بوعمامة كان دائما حذرا في مخالطته مع السلطات الفرنسية بالجزائر، تارة بعامل الخوف، وأخرى بدافع المحافظة على نفوذه حتى لا ينهار. "وقد ذهب ضابط فرنسي لزيارته في يوم من الأيام فتمارض ونام. وكان إذا طلب منه التفاوض مع ولاة فرنسا طلب منهم أن يقطعوا إليه نصف الطريق على أن يقطع هو إليهم نصفَها الباقي، حرصا على قواعد البرتوكول المعمول بها بين النظراء والأنداد".[1]

ويضيف المؤرخ المغربي نفسه، أن طلبه للأمان من فرنسا، كان يفسره تفسيرا خاصا، ليُشعر مريديه وأتباعه أنه يتفاوض معها مفاوضة الند للند والدولة مع الدولة.

5-التعامل بالحسنى:

عَمِلَ بوعمامة، منذ تأسيس زاويته في بلدة مُغرار التحتاني على إيجاد مناخ ديني متسامح مع كل الطوائف الجزائرية، بعد أن غاب عن الطريقة الشيخية شيخ مُوَجِّه. وكان هدفه جمع شَمل قبيلة أولاد سيدي الشيخ دون إقصاء أحد، وكان أن عمل على إحياء أذكار الطريقة وأورادها، وهي أحد عوامل التآلف والتوادد؛ ولم يفرق بين شراقة وغرابة ولا بين مرابطين وغير مرابطين، بل تعامل مع الجميع بإنصاف. فمُقدموه، كانوا من مختلف طوائف مجتمع المنطقة، وهم أنفسهم مبعوثوه إلى قبائلهم أو إلى غيرها.

وقد عمل الشيخ على العناية بأصحابه المحاربين منهم وغير المحاربين، فكان يسهر على راحتهم ويسأل عن غائبهم ويحنو على المريض منهم. فرفاقه هم العُمدة وعليهم الاعتماد، وبهم يكون النصر أو الاستشهاد، فكان عليه أن يقترب منهم، وأن يَعرف ظروف حياتهم ومتطلباتهم، ويشارك في حل مشاكلهم، ولم يكن يرضى لهم إلا الخير والنجاح، لذلك وثقوا في حركته وتفانوا في الذود عن وطنهم بكل ما أوتوا من قوة.

---

[1] عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، الجزء الثاني، المطبعة الملكية، الرباط 1979. ص 91.

وكان يراسل السلطات الفرنسية للحفاظ عليهم ومعاملتهم بالحسنى، وكان يصدر رخص مرور لهم للتنقل من مكان إلى آخر؛ لكن الفرنسيين لم يكونوا يعترفون بتلك الرخص، يقول أحد الضباط الفرنسيين أن السلطات الفرنسية كانت لا تعترف بتلك الرخص، بل كانت تنزعها من حاملها ثم تعيده من حيث أتى.[1]

أ–مع بني عمومته: كان إيمان الشيخ كبيرا بوحدة العائلة الشيخية، فقد دعا إلى التآلف بين أفرادها، وتحاشَى دائما الصدام مع بني قومه، وكان يرفض التقاتل بين الإخوة المسلمين عامة، ويفضل الانسحاب على مقاتلة أبناء عمومته. رغم محاولاتهم هم جره إلى ذلك. لقد رأوا فيه منافسا لهم في قيادة سكان المنطقة، واعتبروه غير أهل لهذه الزعامة، وبخاصة لخمود ذكر قبيلته "أولاد سيدي التاج"، بالمقارنة مع بقية الزعماء الذين ورثوا الزعامة أباً عن جد. فقد حاصره سليمان بن قدور، زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة، ليستولي على زاويته، فتركها له وغادر المكان منعا لإراقة دماء الإخوة.

وزاره قدور بن حمزة زعيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة، ليلومه على إعلانه للجهاد في الوقت الذي لم يُدَعم مقاومتهم عندما أعلنوا الجهاد سنة 1864، وأنه ليس أهلا لهذه الزعامة، وأن راية سيدي الشيخ هم حُماتها وليس بوعمامة. وسأله عن أتباعه، هل هم حقا مجاهدون؟ وخاطبه قائلا: لماذا انتظرت حتى فشلنا نحن؟.[2]

فكان أن استقبل نِدَّهُ هذا وأضافه في خيمته واستمع إلى لومه وتأنيبه له دون أن يرد عليه بالأسلوب نفسه. وعندما اتهمه بأنه ضم إليه الرجال الذين كانوا إلى جانبه، قام الشيخ إلى رجاله، وخيرهم بين البقاء معه أو الانسحاب عنه، فتركه الكثير منهم وبقي معه آخرون.

ب–مع بقية الأفراد الجزائريين:

كانت معاملة الشيخ مع بقية إخوانه من الجزائريين بالأسلوب نفسه. فقد حدث في 25 ماي من سنة 1881 أن ألقى القبض على "قَوْمْ" أغوية فرندة بزعامة القايد الطيب بن حمو واعتقلهم دون صعوبة، وهو في

---

[1] Dans l'extrême sud oranais, un poste dans le bled, en escorte de convoi au Sahara, manuscrit d'un officier anonyme, Paris 151 ,1901-1900 pages. Archives de la wilaya d'Oran, cote N°182

[2] Hamza Boubakeur , Un Soufi Algérien Sidi Cheik, éditions Maisonneuve et larose, Paris 1990. P249

أوج الانتصار بعد معركة تازينة في 19 ماي 1881، ثم أطلق سراحهم دون شروط ليستميلهم إليه، وقد انضم إليه بعضهم، وبقي الطيب بن حمو وفيا للشيخ يخبره بما يبيت له الفرنسيون.[1]

وهو سلوك عال، يدل على حسن السياسة وإتباع سبيل الحكمة والموعظة الحسنة، بنبذ العنف وإسالة الدماء، دليله في ذلك تقليد السلف الصالح، وأولهم النبي صلى الله عليه وسلم، الذي استطاع بهذه الوسيلة تحبيب الإسلام إلى الأفراد والجماعات، رغم محاولات بعض أصحابه استعمال الشدة والعنف في كثير من الأحيان. من ذلك مارُوِيَ، من أنه صلى الله عليه وسلم قد عفا عن جماعة عسكرية من قريش (50 رجلا) جاءت لتنال منه، وهو مقيم بالحديبية يريد العُمرة، بعد أن قبض عليهم، وكانوا "قد رموا العسكر بالحجارة والنبال".[2]

وعندما جاءه رجل من أعوان الاستعمار بسمن مسموم، والشيخ مستقر في دلدول، لم يعاقبه، بعد اكتشاف أمره، وكان قادرا على ذلك، ولكنه عفا عنه وسمح له بالعودة إلى بلده، قائلا له: "إنك لن تقتلني ولكن الله هو القادر على ذلك".

يقول عنه قرول، الضابط الفرنسي ورئيس مكتب عربي سابق: لقد قلتُ دائما إن بوعمامة ليس رجلا دمويا.[3]

وقد استدل قرول في هذا الطرح على بعض الأحداث، التي ذكرها كما يلي: أولا- كان رجال مقدمة جيشه قد قتلوا مجموعة من القوم يقودهم أحد الفرنسيين يوم 28 ماي 1881 في عين الدفالي، بينما كان يمكنهم أسرهم دون قتلهم، فغضب عندما علم بذلك، وقرر يوم 3 جوان الموالي ترك رجاله والعودة إلى بلدة مُغْرار، فتدخل شيوخ قبائل الطرافي وألحوا عليه للبقاء معهم ووعدوه بعدم تكرار العملية.[4]

---

[1] يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، مرجع سابق، ص 250.

[2] محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، الجزء الثاني، المكتب الإسلامي، بيروت دمشق 1399هـ/ 1979، ص: 303.

[3] Graulle. E. Insurrection de Bouamama, édition militaire Henri Charles-lavauzelle. Paris 1905. P :52

قرول: عسكري برتبة رائد، رئيس مكتب عربي سابق، معاصر لمقاومة الشيخ بوعمامة .

[4] Graulle.. P :53.

ثانيا–قام رجال مقدمة جيش بوعمامة بقتل عمال ورشة الحلفاء في خلف الله يوم 11 جوان، ولما عَلِم بذلك في وقت متأخر، أعطى الأمر بإطلاق الأسرى منهم، وكانوا قد وصلوا إلى المكان المسمى الأعوج. ومن أجل إسكات غضبه تعهد رجاله بإطلاق سراحهم...[1]

فالحق ما شهدت به الأعداء، وها هو الضابط الفرنسي المعاصر لمقاومة الشيخ يؤكد سلوك بوعمامة القويم تجاه الآخرين، سواء كانوا من الفرنسيين أو من أعوانهم؛ وهو سلوك ينم عن خلق كريم وعمل نبيل، صادر عن نفسية مترفعة عن الدنيا ورغبات النفس اللئيمة.

6– خلق الارتباك والاستنفار الدائم للقوات الفرنسية:

رغم انسحاب الشيخ من المنطقة التي اندلعت فيها مقاومته، والتجاؤه إلى الجنوب الجزائري ثم إلى الأراضي المغربية في مرحلة ثانية؛ فقد ظل حجر عثرة أمام التوسع الفرنسي نحو الجنوب، وبخاصة وأن كل قبائل المنطقة الجنوبية الغربية موالية له، حتى وإن غُلبت على أمرها ميدانيا. لكنها ظلت تستعيد ذكرى الشيخ البطل في وجدانها وتنتظر وإياه الفرصة المناسبة لاستئناف الجهاد مرة أخرى. وقد زاد من قوة الشيخ هناك في الجنوب، تحالفه مع الشيخ الدرقاوي بالجنوب المغربي والشيخ باجودة مقدم السنوسية بعين صالح. أما قبائل الشعامبة سكان الصحراء المترامية، فقد ظلوا إلى جانبه وبخاصة بعد خمود مقاومة أولاد سيدي الشيخ الأولى.

والدليل على ذلك ما شهد به الأعداء؛ فقد جاء في كتاب دو لامارتينيار ولاكروا، حول الشمال الغربي من إفريقيا، الصادر في نهاية القرن التاسع عشر، ما يلي: لا ننسى أن جميع محاولاتنا للقضاء عليه (بوعمامة) قد باءت بالفشل، بل استطاع أن يُحدث في صفوفنا خسائر مهمة أكثر من مرة. أسفرت إحداها عن مقتل 78 قتيلا. إن هذه المقاومة جد مكلفة على الحكومة الفرنسية باعتبارها حرب عصابات لا تخضع للطرق الحربية المألوفة... إنه وهو في الجنوب يستطيع أن يعيد الكرة ضدنا في أية لحظة بالنظر إلى القوة الكبيرة التي بين يديه وللنفوذ القوي الذي يتمتع به، وللمكانة الدينية التي استعادها مؤخرا على الوجه الأكمل.[2]

ولهذا ولغيره مثلت مقاومة الشيخ بوعمامة العقبة الكبيرة تجاه التوسع الفرنسي نحو الجنوب الغربي حتى مطلع القرن العشرين، بإغاراتها الدائمة على أعوان الفرنسيين وعلى المركز المنعزلة للفرنسيين ونصب كمائن

[1] Graulle.. P : 76

لكن الحقيقة، كما يقول قرول، أنهم لم يُسَرحوا سوى الرجال البالغين وأخفوا عنه النساء والأطفال في خيامهم، وأخذوهم أسرى.

[2] De lamartinière et Lacroix, Document pour servir à l'étude du nord ouest africain, gouvernement générale de l'Algérie, Tome/2, A. Jourdan, Alger 189.

للعدو في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة التي لا يعلمها العدو. نستدل ذلك من كتابات الضباط الفرنسيين المعاصرين له أنفسهم. وفي هذا المجال يؤكد الجنرال ليوتي (1903-1906) في رسائله على خطورة بوعمامة وهو لاجئ في الأراضي المغربية. وذلك في رسالة له مؤرخة في 29-12-1903 جاء فيها ما يلي: "ينبغي أخْذ الحيطة والحذر لأن هناك بوعمامة العدو الأبدي ومنبع جميع التحرشات، وكل جهودي ستكون منصبة للقضاء عليه. فإذا ما سقط ستسقط معه تقريبا جميع المصاعب التي نعاني منها على حدودنا بالجنوب الوهراني".[1]

وبتاريخ 17-2-1904 يقول ما يلي: "يظل بوعمامة العقبة الكبرى أمامنا، وجميع جهودي منصبة الآن من أجل أن أتوصل إلى عزله ومحاصرته وجعله تحت رحمتنا. فهل سأنجح في ذلك؟ وإذا كنا قد أخفقنا في القبض عليه لمدة اثني عشر سنة، فإني لا أعتقد أننا سنوفق في ذلك في مدة لا تتعدى ستة أشهر. ويقول في رسالة أخرى بتاريخ 2-3-1906 ما يلي: تصوروا حتى خاصتي من السبايس يؤدون "الزيارة" (والزيارة هي عطاءات مادية) لبوعمامة، وأما أولاد سيدي الشيخ الموجودون في البيض فلا زالوا في اتصال مع الغرب.

كل هذا يعني أن بوعمامة لم يتوقف يوما عن مناوشة العدو وإقلاقه بالغارات المستمرة، عليه وعلى أتباعه، حيثما حل وارتحل، إلى أن وافاه الأجل، وانتقلت الزعامة بعده إلى ابنه الطيب الذي وجد الاستمرار في المقاومة غير مجد، وبخاصة وأن الفرنسيين احتلوا بلدة عين بني مطهر(راس الما آنذاك) الحدودية سنة 1904، ثم احتلوا مدينة وجدة في الشرق المغربي سنة 1907.[2]

7-عدم الخضوع للفرنسيين :

تميزت شخصية بوعمامة بصفات حميدة منها: الصبر على المكاره بمختلف أنواعها، سواء تجاه الفرنسيين أو تجاه بني عمومته، وتجاه كل معارض له مساند للسلطات الفرنسية، وصبره على الأوضاع المعيشية المزرية التي عاشها زمنا طويلا رغم العروض السلمية، ومطالبة بعض رفاقه له بالتوقف لأنه لا يستطيع مواجهة القوة

---

[1] Lyautey, Vers le Maroc, lettres du sud oranais 1903-1906 ,librairie Armand colin, Paris 1937. P :95

[2] لم يحتلوا بلدة عيون سيدي ملوك التي كانت زمالة الشيخ مقيمة بجوارها، سوى سنة 1910 أي بعد وفاته بسنتين.

الفرنسية، إلا أنه كان يقول لهم دائما: لن أخضع لأية جهة كانت، شرقية كانت أم غربية، وإذا سمعتم البارود في قبري فاعلموا أنني في حرب ضد الفرنسيين.

لقد واجه الشيخ الفرنسيين وجها لوجه خلال السنتين الأوليين (1881-1882)، وعندما اعترضته صعوبات مختلفة آثر الانسحاب إلى الجنوب، حيث بقي حوالي عشر سنوات في منطقة دلدول. ومن هناك ارتحل إلى المغرب بعد أن كثرت عليه الضغوط من قبل الفرنسيين والسلطات المغربية، كما أن انسحاب أغلب أتباعه بتحريض من جهات مختلفة كان أحد أسباب هجرته الثانية نحو المغرب. ورغم عروض الاستسلام التي عرضت عليه، فقد بقي مدة 27 سنة بعيدا عن المنطقة التي يسيطر عليها الفرنسيون، وكان ينصح أتباعه من القبائل المختلفة أن يفعلوا العمل نفسه. وهو من الزعماء القلائل الذي لم يخضعوا للاستعمار ولم يُلق عليهم القبض، ولهذا لا تعرف له صورة فتوغرافية عند الفرنسيين.

لم يَلِنْ ولم يخضع، ولم يتأثر بمن سالم الفرنسيين، حتى عندما تركته الكثير من القبائل التي فضلت الاستفادة من الهدنة التي عُقدت بين زعماء مقاومة أولاد سيدي الشيخ في المرحلة الأولى، لأنه كان يعرف أن الأعمار بيد الله، واعتقد أن الخضوع للفرنسيين هو موالاة للكفار، فرفض ذلك.

وقد ساعده على مواصلة عدائه للفرنسيين، انضمامه إلى ثورة الجيلالي بن عبد السلام الزرهوني المعروف بـ بوحمارة/الروقي في المغرب الشرقي؛ فقد استغل العرض الذي تقدم به هذا الثائر على السلطان المغربي، عندما وصلته رسالته سنة 1902 يطلب منه مساندته لمحاربة الخونة والمفسدين المتعاونين مع العدو الكافر. فانضم إليه لمحاربة السلطان المغربي مولاي عبد العزيز الذي سلب العرش عن مستحقه مولاي المحَمد -كما كان الاعتقاد-

وقد اتُهم هذا الثائر المغربي، السلطانَ مولاي عبد العزيز بموالاة الفرنسيين والتأثر بالغرب عامة، وشرح للشيخ بوعمامة، كما يقول عبد الوهاب بن منصور المؤرخ المغربي، "اتهامه لأخيه السلطان-بزعمه- ورجال مخزنه بموالاة الكفار وممالأتهم والرغبة في اقتباس نظمهم وعاداتهم وإدخالها إلى المغرب. ".[1]

[1] عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، الجزء الأول، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية، الرباط، 1425هـ/2004م. ص 309.

مما يتوجب مقاومة ذلك النظام المغربي الهش الخاضع للغرب الاستعماري، والمعرَّض للضغوط من قبل قوات الاستعمار الفرنسي، وهو ما كان يحاربه الشيخ بوعمامة في الجزائر، أي محاربة من يوالي الأوربيين الصليبيين أعداء الإسلام والوطن.

وإذا كان الشيخ بوعمامة قد وجد السند في المغرب، بعد انتقاله إليه؛ فإن الأمير عبد القادر، مثلا، لم يجد مثل هته الفرصة عندما كان يلتجئ إلى الأراضي المغربية حين يشتد عليه الوضع في الجزائر؛ بل وجد نفسه بين كماشة القوات الفرنسية من الشرق والقوات المخزنية المغربية من الغرب، مما اضطره إلى التوقف عن المقاومة.

وقد شارك بوعمامة، في الانضمام إلى الروقي/ بوحمارة، عبد المالك ابن الأمير عبد القادر القادم من بلاد الشام رفقة نجله الطيب رفيقه في الكفاح. وقد واصل الشيخ عداوته للفرنسيين إلى وفاته في أكتوبر من سنة 1908 وهو طليق حر لم يخضع لأية جهة كانت.

وبهذه الخصائص التي ذكرناها عن مقاومة الشيخ بوعمامة، نجدها تشابه في بعضها بقية المقاومات الشعبية الأخرى، وتنفرد ببعضها دون غيرها. وقد طبع الشيخ بوعمامة هذه المقاومة بطابعه الخاص وأصبغ عليها طبعه وطباعه.

3. العوائق المحلية في وجه مقاومة الشيخ بوعمامة:

اعترضت بوعمامة مجموعة عوائق كانت أحد أسباب تدهور حالة المقاومة، في أحيان كثيرة، ولكنها لم تقض عليها؛ بل استمرت المقاومة تتحدى الفرنسيين وغير الفرنسيين برفض الاستسلام ورفض العمل تحت راية الكفار، كما كان يرى الشيخ.

1- القوى الاستعمارية:

إنها فرنسا، القوى الكبرى صاحبة المصلحة في القضاء على رمز المقاومة والتي كانت تؤلب عليها قبائل المنطقة المراد احتلالها في الجنوب، وتعمل للقضاء عليه هو إما بالقبض عليه أو بإبعاده إلى أقصى حد من الحدود الجزائرية المغربية، وبتحريض بني عمومته عليه، وتقديم الإغراءات لضعاف النفوس للخروج عنه

ومعاداته، وتجنيد قوات ضخمة تتكون من عدة طوابير لملاحقته حيثما حل؛ كما جندت من أعوانها العارفين بخبايا السكان مما كان له أشد الوقع عليه.

وكانت تضغط على السلطان المغربي لطرد بوعمامة أو القبض عليه، وبخاصة منذ إنشاء مفوضيتها بطنجة. وقد ورد مثل ذلك في الاتفاقيتين المعقودتين بين السلطتين في سنتي 1901 و1902. وكانت تقوم بتجريد أعوانه من وسائل عيشهم وتدمير محاصيلهم وحجز مؤنهم، إلى جانب القتل والسجن والنفي(إلى الشرق الجزائري–وإلى كاليدونيا..). وقد تم تدمير زاويته من قبل القوات الفرنسية بما فيها من متاع وحجز أملاكه يوم 22 ديسمبر 1881 ببلدة مغرار التحتاني.[1] وعاقبت سكان القصر بحجز بساتينهم وبيعها في المزاد لأعوانها القادمين من جهات مختلفة.

2– المخزن المغربي:

كانت السلطة المغربية هي السلطة الشرعية المحلية الوحيدة في المنطقة بعد القضاء عليها في كل من الجزائر وتونس. وباعتبار أنها تملك سلطة معنوية بسبب الأخوة في الدين، كانت علاقة الشيخ بها دائمة لوجود أعداد هامة من أعوانه في البلاد المغربية. ورغم ضعف هذه السلطة فهي تملك سلطة ما. هذه الجبهة كانت ترفض معاداة فرنسا المجاورة لحدودها خوفا من المتابعة والسيطرة على المغرب. وقد راسلت سكان الحدود طالبة منهم عدم التعاون مع بوعمامة وطرده لأنه فتان وصاحب أغراض دنيئة، أو أنه يريد إنشاء إمارة مستقلة في الأراضي المغربية.

وقد جاء في إحدى رسائل السلطان إلى قبائل المناطق الحدودية ينهاهم عن التعامل مع بوعمامة ومن معه. "..وعليه فإن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فلتبادروا بالخروج من زمرة الخائضين المذكورين. ولتطردوا كل من ورد عليكم منهم يريد إدراجكم في حزبهم والدخول في زمرتهم. ولتقصروا نظركم على عمارة أرضكم والمحافظة على دينكم ومحارمكم... وإن ورد عليكم أبوعمامة الشيخي فنأمركم أن لا تقبلوا استقراره ولا نزوله ببلادكم. إذ لا خير له ولا لكم في بقائه بناحيتكم".[2]كما فعل السلطان مع سكان فكيك الذين رفضوا استقباله سنة 1883 وفي سنة 1902 تطبيقا لأوامر السلطان المغربي.

---

[1] عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص: 85.

[2] عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، ص: 83.

وبما أن سلطة المخزن كانت تعتبره مغربيا، فكان يجب إيقافه عند حده والرضوخ للسلطة وما تريده. وكانت فرنسا تضغط على المخزن للتحرك ضد الشيخ، وبخاصة منذ إنشاء فرنسا لممثلية لها في طنجة. "فقد وجه برتليمي سان هيلان، المكلف بشؤون فرنسا بالمغرب، رسالة إلى محمد برقاش، ممثل السلطان في طنجة ووزير خارجيته، يتساءل فيها عن الأخبار القائلة بإقدام سكان منطقة تافيلالت على مساعدة بوعمامة، وينبهه إلى ما سيسفر عنه هذا العمل.... وقد رد برقاش وكأنه فوجئ بالأخبار التي تضمنتها الرسالة وبأن هذا العمل لن يقبله جلالة الملك"[1] وقد أكثرت فرنسا من الشكاوي ضد بوعمامة، وما كان على السلطان إلا تنفيذ ما تريده السلطات الفرنسية ولكن بحسب إمكاناته المحدودة.

3- بنو عمومته:

عمل زعماء أولاد سيدي الشيخ بأنفسهم حينا وبتحريض من الفرنسيين حينا آخر، على التحامل على الشيخ. فقد سعوا إلى إبعاد القبائل التي كانت موالية لهم عن مناصرته سواء كانوا مغاربة أم جزائريين، منهم سليمان بن قدور وقدور بن حمزة وأخوه الدين وعلال بن الشيخ.[2]

ففي نهاية سنة 1882 وجد الشيخ نفسه مجردا من كثير من القبائل المناصرة له، وبخاصة وأن الشيخ كان لا يواجه بني عمومته في ميدان المعارك، بل كان يتحاشى ذلك وعلى حساب مستقبل حركته أحيانا كثيرة، وكما ذكرنا فقد حاصره سليمان بن قدور ليستولي على زاويته، ففضل الشيخ تركها له وانسحب، كما تَحَمَّل، ما ذكرناه سابقا، من لوم قدور بن حمزة والانتقاص من مقاومته، ولم يَرُد عليه بسوء، بل أكرمه وعامله بالحسنى.

4- القياد والباشوات، عملاء فرنسا:

استطاعت فرنسا أن تكون طبقة من العملاء من بين الجزائريين الذين خدموا مصالحها من أجل تحقيق مصالحهم الخاصة على حساب مصالح بلدهم بالقضاء على أبناء بلدهم من الوطنيين الراغبين في مواجهة الاستعمار بكل قوة. وقد تمثل ذلك في فرق القوم وفرق السبايس التي كان يقودها زعماء أعمتهم مصالحهم على مصالح قومهم العليا.

---

[1] عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 96.

[2] أحمد العماري، توات في مشروع التوسع الفرنسي في الغرب، ص: 67.

منهم باشاغا فرندة المدعو أحمد ولد القاضي، وهو ابن أخ مصطفى بن إسماعيل خصم الأمير عبد القادر وزعيم قبائل الدوائر. هو الذي أعلم السلطات الفرنسية بتحركات مقدمي الشيخ بين القبائل؛ حيث أعلم جنرال القسم بتاريخ 15 أبريل 1881 وأعطاه أسماءهم، وهم المبعوثون إلى قبائل الطرافي والرزاينة والاحرار في دائرة جيريفيل وسعيدة وتيارت.

ومنهم الآغا قدور ولد عدة آغا سعيدة الذي اعترض بقومه عدة قبائل لمنعها من الانضمام إلى الشيخ(الرزاينة). ومنهم الآغا قدور الصحراوي آغا الاحرار الذي طارد القبائل الثائرة مثل الاغواط اكسل ودوار أولاد سيدي الناصر.

ومنهم قايد الشلالة الظهرانية الذي خابر الفرنسيين في 23 مارس 1880 وأعلمهم بمن زار بلدة مغرار للالتقاء ببوعمامة ومعه الهدايا للشيخ. وأعلمهم أن بوعمامة قام بزيارات لقبائل حميان والطرافي والرزاينة. وأخيرا أخبر العقيد إينوسينتي الذي أقلع من جيريفيل يوم 14 ماي 1881، أن بوعمامة يبيت في القصر(19 ماي)، وأنه على رأس 1500 فارس و1200 مشاة، وهو ينوي لقاءه في الغد(19 ماي). وقد شارك هؤلاء "القوْمْ" كلهم في معركة تازينة إلى جانب القوات الفرنسية في مواجهة قوات الشيخ بوعمامة.

5- سكان فكيك:

فكيك بلدة مغربية تقع إلى جوار بلدة بني ونيف الجزائرية. بها طوائف هامة من ذوي الأصول الجزائرية كالعمور وأولاد جرير وأولاد سيدي الشيخ، والذين يعتبرهم البعض مغاربة، بالإضافة إلى السكان الأصليين للقصور السبعة التي تتكون منها المدينة وهم الشلوح.[1]

وقد كان لسكان المدينة علاقة وطيدة وحميمية بسكان جبال القصور في الأطلس الصحراوي الجزائري منذ أقدم الأزمنة عن طريق التبادل التجاري والعلمي والفلاحي والمصاهرة.

عاش فيها الشيخ بوعمامة فترة طويلة من حياته قبل أن ينتقل إلى بلدة مُغرار سنة 1875، وله فيها أهل وأصحاب؛ فهو من أولاد بلحُرمة الذين استوطنوا قصر الحمام التحتاني منذ القرن الثامن عشر، بعد أن انفصلوا عن عشيرتهم أولاد سيدي التاج المقيمين بضواحي بلدة مُغرار.

---

[1] هي قصور: زناقة- الوداغير- المعيز- الحمام الفوقاني- الحمام التحتاني- أولاد سليمان- العبيدات.

ورغم أن سكان المدينة كانوا قد دعموا مقاومة الأمير عبد القادر بالسلاح وساعده مهندسو الأسلحة والذخيرة؛ فإنهم رفضوا استقبال الشيخ بوعمامة سنة 1883 بعد خروجه من منطقة الانطلاقة. كما رفضوا استقباله سنة 1900-1902 بعد عودته من دلدول. وكان الرفض تلبية لأوامر السلطان المغربي مولاي الحسن ثم بعده مولاي عبد العزيز. ومن هناك دخل الشيخ المغرب في اتجاه وجدة بعد أن تلقى عرض التحالف مع الروقي/ بوحمارة. وهي الفرصة التي ساعدته على إيجاد حليف مغربي في مواجهة السلطة التي كانت تتخوف من وجوده على أراضيها.

الفصل الخامس

انعكاسات السياسة الاستعمارية
على الجنوب الجزائري

في الفصل الأخير من دراستنا هذه نعالج آثار وانعكاسات السياسة الاستعمارية على الجنوب الجزائري، إذ كان لعملية التوسع والتوغل الفرنسي في الصحراء والسياسات المتبعة عدة نتائج على أصعدة مختلفة، سواء من حيث الصعيد الاقتصادي، أو الاجتماعي، كذلك الجانب البشري والمادي، إذ أحدث الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية جملة من التغييرات الكبيرة على وضعيتها.

فعلى الصعيد الاقتصادي سيترتب عن السياسة الاستعمارية في الصحراء الجزائرية آثار بالغة على النشاط الاقتصادي المحلي واستنزاف لموارد المنطقة وتحويلها لخدمة الاقتصاد الكولونيالي في الجزائر وخارجها (أي في فرنسا) ، وفيما يخص أثار وانعكاسات السياسة الاستعمارية على الصعيد الاجتماعي فقد كانت كارثية وأضرت بالبنية الاجتماعية لسكان الصحراء ، إذ أن التركيبة الاجتماعية المتماسكة لمجتمع الجنوب لم تكن في صالح عملية التوسع الفرنسي ، بل ساهمت إلى حد بعيد في تأخير هذه العملية عشرات السنين ، وأمام هذا الوضع ستلجأ السلطات الاستعمارية إلى عملية تفتيت وتقسيم الوحدة المجتمعية لسكان الصحراء وضرب بعض العائلات الكبرى بأخرى ونشر العداوة بينها ، إذ يذكر لنا الدكنور ابوالقاسم سعد الله نقلا عن سيروكا ما يلي (إن معرفة خلفيات العائلات الرئيسية في هذه البلاد " الجزائر" وعداواتهم وصدقاتهم وثاراتهم ، تجعلنا قادرين أكثر على حكمهم) .

أما بخصوص اثر السياسة الاستعمارية على الجانب البشري فلقد كانت وخيمة ، إذ ضربت الآلة الكولونيالية بقوة في سبيل قتل اكبر عدد ممكن من الجزائريين وإرهابهم بشتى الوسائل .

المبحث الأول: النتائج الاقتصادية:

لقد كان التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية وتغلغله فيها نقمة كبرى وكارثة أعظم على اقتصاد أراضي الصحراء ، فعواقبه الوخيمة أدت إلى انهيار التجارة عبر الصحراء ويتجلى ذلك من خلال:

- انهيار تجارة القوافل أو ما يسمى الاقتصاد التقليدي، وذلك بعد إنشاء العديد من الطرق بجانب خطوط سكة الحديد حيث أصبح يتم نقل البضائع والسلع الصحراوية عن طريق الشاحنات والعربات واستبدلت بالدكاكين المتركزة في شمال الصحراء[1].

فبعد أن كان التمر المنتوج الرئيسي للتسويق في هذه الأراضي[2] أصبح لا يجد له أي مشتري بعد أن سدت في وجهه أسواق السودان، والمنتجات التقليدية لم تعد رائجة، فمثلا عدد الصناع قل عم كان عليه حيث كان عددهم حوالي 6000 صانع زرابي في الميزاب، وأصبح عددهم لا يتجاوز 1500 صانع[3]، وظهور مصدر آخر للتصدير نحو الخارج وهو الحلفاء خاصة بعد اكتشاف فرنسا لأهميتها في صنع عجينة الورق.

- هذا ما أدى إلى ضعف التبادل التجاري بين الشمال والجنوب و الجنوب وبلدان وسط الصحراء، كما أن بعض المنتجات أصبحت غير رائجة لتنافسها مع بعض السلع الأوروبية التي غزت الأسواق الجزائرية.[4]

تغيير وسائل الدفع من المقايضة إلى التعامل بالنقود وإيجاد سوق نقدية كان سببا في ظهور أنماط جديدة للاقتصاد لا تعتمد لا على المقايضة ولا المبادلة.

- استنزاف الثروات الباطنية وذلك بالتنقيب عن المياه عن طريق حفر الآبار الارتوازية من طرف المعمرين والمستثمرات الأجنبية وبنسبة كبيرة خاصة في منطقة "واد ريغ" و" الزيبان"،حيث ارتفع عدد النخيل لدى الشركات الاستعمارية فازدهرت مغروساتهم وأتلفت أشجار النخيل كما لم يحل محلها أشجار أخرى. وبالمقابل الفلاحين لم يستطيعوا استصلاح أراضيهم البور التي لم تفرنس ولنقص الأموال لحفر آبار أخرى فمثلا في سنة 1930 في الأغواط تضاءلت المساحة الفلاحية وماتت حوالي 3000 شجرة[5].

---

[1] السويدي محمد، بدو الطوارق بين الثبات والتغيير، دراسة سوسيوأنتروبولوجية في التغيير الاجتماعي، (دط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص143.

[2] ابن هطال التلمساني (أحمد)، رحلة محمد الكبير، باي الغرب الجزائري الى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم، محمد بن عبد الكريم، القاهرة، عالم الكتب، 1969م، ص 113.

[3] Daumas, le sahara algérien , paris, 1845, p 94.

[4] قنان جمال، المرجع السابق، ص 150.

[5] Daumas ,op.cit, p.221

وكان النقص في المياه في الآبار الاتوازية راجع للاستغلال الغير عقلاني لهذه المياه، ففي سنة 1924 بلغت المياه المستخرجة في الدقيقة الواحدة 278000 لتر بعدما كانت تبلغ سنة 1890 حوالي 200.000ل .

وقد استخرجت هذه المياه من مساحة جغرافية ضيقة جدا لا تكاد تساوي 10% من المساحة المخصصة لها، هذا ما أدى إلى استنزاف المدخرات المائية وقلت المياه[1].

- القضاء على الثروة الحيوانية التي تراجعت بنسبة 80 %بسبب النظام الذي فرضته فرنسا على مربي المواشي " العشابة" هكذا كانت تحمي فرنسا أراضي المعمرين الرعوية المقيمين في المراعي الصيفية، هذا النظام ترك البدو لا ينتقلون إلا باحثين عن العمل بعد فقدانهم لقطعانهم حيث بلغ النقص أقصى حد له في الحيوان سنة 1910 في المناطق الجنوبية .[2] .

- كما أن سنوات القحط والجفاف التي كانت تصيب المنطقة من وقت إلى آخر وكذا الأوبئة فتكت بالماشية ، فالجفاف الذي اجتاح الأقاليم الجنوبية بين (1920-1924) أدى إلى فقدان ثلثي الماشية وثلث قطعان الإبل[3].

- الاستغلال الغير عقلاني للثروات المعدنية الباطنية كالفحم الحجري الموجود في " القنادسة" " ببشار"، والذي بدأ العمل به منذ سنة 1920 حيث بلغ إنتاجه حوالي 2000 طن، وهي كمية كان من الممكن أن تزيد خلال الحرب العالمية الأولى،هذا التغيير جعل سكان الصحراء يبتعدون عن التجارة[4].

- أثقل كاهل السكان بالضرائب والغرامات الحربية وهذا ما أدى إلى انعكاس سلبي على الإنتاج لاقتصادي مثل الضرائب الاستهلاكية حيث ارتفعت الضرائب إلى 13500 فرنك سنة 1919 بعدما كانت 4500 فرنك سنة 1853 ، وكان ذلك بحجة توحيد الضرائب وهو ما يخالف الاتفاقية مع الميزابيين سنة 1853،ولم يتوقف إلى هذا الحد بل زاد إلى أن طال الخماسين حيث فرضت عليهم غرامات مالية تصل إلى 12.50 فرنك للمحراث الواحد الذي لا يحرث سوى 15 هكتار وتوسعت هذه الضرائب إلى أن شملت الزكاة والعشر على المحاصيل الزراعية والأنفس والحيوانات[5].

---

[1] نوشي أندري ، المرجع السابق، ص.401

[2] زوزو عبد الحميد، ثورة الأوراس ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986، ص.52

[3] نوشي أندي وآخرون، لمرجع السابق، ص.405

[4] نفسه، ص.400

[5] فركوس الصالح، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين ، دار العلوم ، عنابة، الجزائر، 2003، ص. 205

هذه الضرائب والغرامات أثرت بشكل كبير على حياة السكان الأهالي الذين أصبحوا عاجزين عن نشاطهم الفلاحي و التجاري حيث أصبح العديد منهم مدين لأصحاب النفوذ بسبب القروض التي كانوا يأخذونها ولم يستطيعوا تسديدها فاضطروا إلى بيع أملاكهم بأثمان زهيدة كما اضطر البعض منهم إلى رهنها[1].

كما أن ارتفاع الضرائب الجمركية التي فاقت سعر المواد والبضائع المستوردة أدى إلى انهيار التجارة، وتم تنظيم الضريبة على المنتجات الفرنسية و تعديلها في 1903 ثم 1907.

هذا التنظيم ساهم في خلق عوائق جمركية كانت سببا في عدم توحيد السوق، حيث كانت تمثل ثلث الضرائب الغير مباشرة أي ربع الموارد المالية في المناطق الصحراوية[2].

نلاحظ أن سكان أقاليم الجنوب تحملوا أعباء مالية ثقيلة كما أنهم عانوا من التدهور الاقتصادي وكوارث طبيعية، ورغم كل هذه الخسائر نلاحظ أن الميزانية كانت تسجل فائض كل سنة يستخدم هذا الفائض في إنشاء منشآت عسكرية، وإدارية لا تخدم مصالح الأهالي بل كان تزايد النفقات نتيجة زيادة رواتب العمال والموظفين والعسكريين وكذلك استغلال مساحات أكثر زراعيا وإنشاء مختلف الأعمال والبناءات المخططة والمبرمج إنجازها و التي تخدم مصالح الفرنسيين وفقط[3].

*فكانت الموارد العادية للميزانية من الضرائب والمداخيل تساوي 2.519.140 فرنك سنة 1904 ليصبح 13.967.567 سنة 1927 وهذا قبل تخفيض قيمة الفرنك في سنة 1928[4].

وكانت حصة الضرائب العربية من هذا المبلغ 1.966.515 فرنك في سنة 1904 وأصبحت 4.803.455 سنة 1927 ، أما الضريبة على المباني فكانت 31.743 فرنك سنة 1904 لتصبح 62.301 فرنك،في حين ضريبة المهنة كانت سنة 1904 تساوي 19.227 وأصبحت 76.783 فرنك سنة 1927، ومكوس أخرى قدرت ب 4.971 فرنك سنة 1904 وأصبحت تبلغ حوالي 101.759 سنة 1927[5].

---

[1] عميراوي أحميدة ، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص.165

[2] نوشي أندري وآخرون، المرجع السابق، ص. 398

[3] قنان جمال، المرجع السابق، ص.153

[4] Bulletin du comité de l’Afrique française, 1905, p.167

[5] M .Duclos., op.cit, p.297

من خلال هذه الأرقام نلاحظ أن سكان أقاليم الجنوب قد عانوا كثيرا من الإدارة الفرنسية التي أنهكتهم بثقل الأعباء المالية وجعلتهم يعيشون تحت ظروف صعبة ولم تحاول التخفيف من وطأة هذه المشاكل رغم الأوضاع المزرية والمأساوية التي كانوا يعيشونها.

هذا الفائض الذي عرفته ميزانية أراضي الجنوب خلال سنوات ما بين (1920-1924) عندما أعادوا تقييم ضريبتي الزكاة والعشر وضريبة اللزمة، ففي سنة 1920 كان المبلغ الفائض في الميزانية هو 2.144.799 فرنك، ونلاحظ أنه سنة 1921 انخفض إلى 1.243.745 فرنك ليشهد ارتفاعا سنة 1922 ليصل إلى 1.761.125 فرنك[1].

المبحث الثاني: النتائج الاجتماعية :

كنتيجة للأوضاع الاقتصادية المتدهورة والمتردية التي كان يرزخ تحتها سكان الجنوب والتي انعكست سلبا عل الحياة الاجتماعية والتي نتج عنها:

1 Ibid., p.297.303

- تفكك النظام الاجتماعي بسبب القوانين التي كانت تصدرها فرنسا من حين إلى آخر، دون أن تقوم بأدنى جهد لإعادة هذا التنظيم عن طريق المشروعات المخططة الهادفة في ميادين التعليم والصحة والاقتصاد...الخ[1].

ففرنسا قامت بإنشاء ما يسمى société de prévoyance التي كانت تهدف إلى إيجاد حلول ومعايير وطرق لتطوير المنطقة والسكان ، فكانوا يزيدون في عدد المدارس لكن الإمكانيات لم تكن كافية ، وهدف الفرنسيين منها هو جعل التلاميذ معتادين على نظمهم وعاداتهم الاجتماعية وتعلميهم اللغة الفرنسية[2].

كما أن تركيبة المجتمع الجنوبي المتماسكة، لم تكن في صالح عملية التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري، ساهمت إلى حد بعيد في تأخير هذه العملية عشرات السنين والدليل على ذلك هو عدم تمكن القوات الفرنسية من فرض سيطرتها المطلقة على الصحراء الجزائرية ونظرا لهذا التماسك والتضامن اتبعت عدة أساليب لتوسعها حيث:

1- حيث تمكنت من جعل قسم من السكان موال لها ، ،عندما كان هناك قسم مقاوم لها، وقسم محايد وهو قليل جدا، فالجزء الموالي لفرنسا ساهم في ترسيخ الوجود الفرنسي في الجنوب الجزائري ولكنها تخلت عن هذه الفئة بعد فرض وجودها[3].

2- إثارة النزاع و الشقاق بين الأسر الكبيرة مثل أسرة بن قانة وبوعكاز في منطقتي بسكرة و لأوراس وهذا النزاع ساهم بشكل مباشر في تمزيق وتفكيك روابط هذه الأسر وتمكين الاستعمار من السيطرة على الجنوب[4].

3- تدهور وضعية السكان المعيشية بشكل رهيب فقد أصبحوا تحت وطأة الفقر والمجاعة والأمراض الفتاكة خاصة بعد مصادرة كل ممتلكاتهم وكذلك الأزمة الاقتصادية التي مست فرنسا، وأدت إلى تناقص عدد السكان مثل ما حدث لسكان واحات قورارة وتوات وتيديكلت الذين كانوا حوالي 400 ألف نسمة في

---

[1] السويدي محمد، المرجع السابق، ص.142

[2] Progress in the algerien sahara, op.cit, p.19.20

[3] سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية ، ج1، المرجع السابق، ص. 346

[4] سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ص .345

منتصف الثمانينات ليصبح 60 ألف نسمة سنة 1906[1]وكذا سكان الساورة الذي كان حوالي 8700 نسمة سنة 1906 وأصبح لا يتجاوز 4000 ساكن سنة 1921[2].

ويرجع تناقص عدد السكان في أقاليم الجنوب كذلك إلى المشاركة في الحر ب العالمية الأولى بعد صدور قرار التجنيد الإجباري الذي أصدر مرسوم في 05 مارس 1921 يبين شروط تطبيق القرار على أهالي أراضي الجنوب[3].

وكذا نقص المحاصيل الزراعية التي كانت تصدر إلى فرنسا لتغطية العجز بعد الحرب فانتشرت المجاعات واضطر التجار والعمال إلى مغادرة هذه المناطق نحو المغرب[4].

كما أن سكان أقاليم الجنوب عانوا كثيرا من الإدارة الفرنسية، وظهر هذا الظلم والتعسف في النظام القضائي، ففرنسا كانت تميز بين سكان الشمال والجنوب،اذ قامت بإنشاء محاكم أغلبها عسكرية، اثنتان منها فقط مدنية، وأعطت كل الصلاحيات في يد القائد العسكري الذي كان يطبق قوانينه الخاصة على السكان دون الرجوع إلى القوانين الأصلية، وكذا معاقبة أهالي الجنوب على مخالفات لا يعاقب عليها سكان الشمال، وكذا التكاليف الباهظة للقضايا التي تجعل السكان يقفون عاجزين أمامها، وعدم وجود محاكم استئناف إسلامية،وكذا حرمان سكان الجنوب من حقهم في التمثيل النيابي[5].

كما فرقت فرنسا بين سكان الشمال والجنوب الجزائري حتى في التعليم وكان ذلك من خلال حصرها لتعليم الأهالي على بعض الجوانب فقط كما ذكرنا سابقا الزراعة، الحرف وغيرها وتعليمهم اللغة الفرنسية، وكان هدفها من وراء هذا هو دمج الأهالي في السكان الفرنسيين وتعويدهم على عاداتهم وخلق جيل جديد معتاد على فرنسا وموالي لها، لكنها لم تستطع فعل هذا بسبب تمسكهم بقيمهم وعاداتهم ودينهم[6].

---

[1] قنان جمال ، المرجع السابق، ص. 150

[2] نوشي أندري وآخرون، المرجع السابق، ص. 406

[3] يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب. دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية ، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص ص. 163-162

[4] M .Duclos. op.cit, p.636

[5] réne valet, op.cit, p.107

[6] Progresse in the algerian sahara, op.cit, p.19

أما في الجانب الصحي فرغم كل ما وفرته فرنسا من بناء المستشفيات والعيادات وإحضار الأطباء إلا أن عدد المرضى في أقاليم الجنوب كان في تزايد مستمر، قد نرجعه إلى الظروف القاسية من مجاعة وأمراض معدية أو إلى الحروب المستمرة وكذا عدم تجهيز هذه المستشفيات بالعتاد والأجهزة اللازمة رغم الدور الكبير الذي لعبه الأطباء في أداء مهمتهم[1].

ففرنسا اتبعت كل السبل واستخدمت كل الوسائل للسيطرة على الشعب الجزائري سواء الترغيب أو الترهيب، فهي لم تدخر ولا جهد للوصول إلى مبتغاها،ومن بين تلك الوسائل ما قام به الأب شارل دي فوكو Charles de Faucauld الذي بذل قصارى جهده للتغلغل في سكان الجنوب الجزائري ، هذا الأخير الذي كان له الدور الفعال في تغيير الحياة الاجتماعية لسكان الصحراء، حيث اعتبر حلقة وصل بين السلطات الفرنسية والجزائريين بالجنوب ويعد من أهم العوامل المساعدة على توطيد العلاقة بين المدنية الأوروبية والجزائريين[2].

وساعده في تحقيق حلمه للتوغل في الجنوب الجزائري أصدقائه القادة، كالقائد الأعلى على منطقة الواحات الصحراء هنري لابرين Henri Laperrine وكان له ذلك سنة 1904 ومن خلال اتصالاته مع الآباء البيض ولقاءاته المتكررة بهم طرح عليهم مشروع تنصير سكان الصحراء وهذا ما ضاعف نشاطهم المسيحي في الجنوب الجزائري[3].

فدي فوكو درس اللغة البربرية وترجم الأناجيل إلى هذه اللغة[4]. كما أن الفرنسيون أقاموا أديرة متعددة الوظائف كاستقبال الضيوف ومعالجة المرضى والعبادة، فكان هدف الأب شارل دي فوكو كبداية هو تعليم سكان الصحراء ما كانوا يجهلونه لكسب ثقتهم وحبهم ثم يصل إلى مبتغاه وهو تنصيرهم وتطويعهم ليتقبلوا الاحتلال الفرنسي[5].

و كان له ذلك سنة 1907 بعد إصابة سكان الجنوب بمجاعة واستغل الوضع فوزع عليهم كل ما يملك من قمح وشعير وتمر على النساء والأطفال.

---

1 M .Duclos., op.cit, p.174

2 عميراوي أحميدة من الملتقيات التاريخية ، دار البعث، قسنطينة، 2001، ص ص.169-170

3 نفس المرجع ، ص. 170

4 Réne bazin, charles de faucauld librairie plon, 1925, p.148

5 Maie André, l'ermite du grand désert, le père de Foucauld, imprimerie fournir, Toulouse, 1973, p p.62.65

فقد كان لدي فوكو أثر عميق في اختراق الأهالي حيث سهل على لابريين أداء مهامه دون أدنى اعتراض وسهل للفرنسيين التوسع في الصحراء دون مقاومة فقد كان السكان يحترمون الفرنسيين بما فيهم العسكريين مراعاة لشارل دي فوكو وكانت حملته التنصيرية خاصة على البربر أكثر من العرب لقوله:" إن البربر ينصاعون بسهولة على عكس العرب الذين نحتاج معهم لمجهودات كبيرة حتى نحقق هدفنا"[1].

لكن رغم كل مجهوداته بقي سكان الصحراء متمسكين بعقيدتهم الإسلامية وقيمهم الدينية ضاربين بجهوده القائمة على تنصيرهم عرض الحائط، فقد اعتبر من أكبر المنصريين الفرنسيين الذين خدموا الاحتلال الأوروبي وخاصة الفرنسي في الصحراء الجزائرية.

فعد من الطلائع الممهدة لاحتلال الصحراء ونشر المسيحية ودليل عل ذلك ما كتب على ضريحه:

« Le père Charles de jésus – vicomte de Foucauld – massacré à Tamanrasset le 1er décembre 1916 ».[2]

وبسبب هذه الأوضاع المزرية التي كان يعاني منها سكان أراضي الجنوب الجزائري التي حزت في الضمير الوطني الذي ندد عاليا أما م الرأي العام العالمي في الجزائر، كما قام به الأمير خالد أثناء المحاضرة التي أ لقاها أمام ما يزيد عن 12 ألف مهاجر جزائري في شهر جويلية 1924 بباريس مستنكرا بقوله:" إن أهالي هذه المناطق (أراضي الجنوب) هم تحت رحمة حكامهم الطغاة في دوائرهم فهؤلاء الضباط لهم صلاحيات مطلقة يمددونها ويقلصونها حسب هواهم، إن هذا النظام لهو أشنع من قانون الأهالي لا يخضع لرقابة ولا له حدود، إن البدوي الراحل قد دمر وحول إلى متسول أو إلى سارق ليسد رمقه فالوباء لم يغادر هذه ا لمناطق منذ 1920"[3].

ونتيجة للتوغل الفرنسي في ا لصحراء الجزائرية وممارسته لأبشع وسائل القمع والتعذيب والحرمان والقتل الجماعي، اضطر سكان هذه المناطق إلى الهروب والتخلي عن أراضيهم الذين كانوا متمسكين بها متحدين كل ا لظروف الطبيعية لقاسية، فهؤلاء الناس وجدوا أنفسهم مخيرين بين الاستسلام والرضوخ والاعتراف بفرنسا، وإما مقاومة الاحتلال و إما التعاون مع فرنسا ضد الجزائريين.

---

1 Rêne valet, op.cit, p.195

2 عميراوي أحميدة ، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية ن المرجع السابق، ص148.

3 قنان جمال، المرجع السابق، ص 154.

أما الخيار الرابع والذي فضلوه هو الهجرة خارج التراب الوطني بعد أن سلبوا كل ممتلكاتهم وهذا الخيار لم يكن إراديا بل اضطرتهم ا لظروف القاسية إليه[1] .

المبحث الثالث: النتائج البشرية والمادية:

[1] عميراوي أحميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص ص 172-173.

يمكن تناولها من زاويتين رئيسيتين هما: منها المتعلقة باحتلال المدن والواحات الصحراوية، ومنها المتعلقة بعدد القتلى والجرحى من الطرفين الفرنسي والجزائري، ولتسهيل قراءة هذه النتائج ضمنتها في جدولين رئيسيين كما يلي:

1- الجدول الأول:[1]

تواريخ احتلال بعض المدن والواحات الصحراوية:[2]

المدينة / الواحة	تاريخ احتلالها	ملاحظات
بسكرة	1844	/
واحة الزعاطشة	1849	تم تدميرها عن اخرها
بوسعادة	مع مطلع سنة 1950	تم احتلالها عقب ثورة الزعاطشة انتقاما من اهلها
المنيعة	1891	بالاقتحام العسكري
الابيض سيدي الشيخ وجنان بورزق	1895	لم تراع قوات الاحتلال حرمة الاماكن المقدسة المتواجدة بها
تيميمون	12 ماي 1890	/
قصور زورة ودلدول	12 ماي 1890	/
إيغلي	05 أفريل 1900	/
تيت	23 مارس 1900	بعد معركة شديدة وحامية
أقابلي (تضم مجموعة قرى)	25 مارس 1900	/
تمنراست	1904	احتلالها شكل مركزا رئيسيا

[1] ملاحظة: لم نراع في هذا الجدول الترتيب الزمني لعملية الاحتلال، لأنها شملت المناطق الصحراوية الثلاث، الصحراء الجنوبية الغربية والصحراء الجنوبية الوسطى والصحراء الجنوبية الشرقية، كما أن هذا الجدول لا يشمل بصورة حقيقية كل المدن الجنوبية والواحات الصحراوية التي تم احتلالها.

[2] بشأن المواقع الجغرافية لهذه المدن والواحات، يراجع: الأطلس العالمي، المعهد التربوي الوطني الجزائري.

عين صالح	1908	/
اليزي	1908	/
جانت	1909	/
كولمب (بشار)	11 مارس 1904	/
الأغواط	1852	احتلالها كان شبيها ببسكرة
أدرار	10 فيفري 1901	/
الساورة	1901	/
واحة تابلبالة	1910	/
تقرت وواد سوف	1854-1855	احتلالها كان مهما جدا واستراتيجيا للعدو

2- الجدول الثاني:[1]

بعض الخسائر البشرية من الطرفين الجزائري والفرنسي.[2]

تاريخ وقوع الخسائر	الطرف الجزائري	الطرف الفرنسي
أثناء وبعد حصار واحة الزعاطشة 1848-1849	300 شهيد وأكثر من 1000 قتيل ماتوا تحت الأنقاض	10 ضباط قتلى، و60 ضابط جريح، 156 جندي قتيل، 740 جريح.
سبتمبر 1849	أكثر من 200 شهيد وعلى رأسهم القائد عبد الحفيظ الخنقي	عدم توفر الاحصائيات
03 جانفي 1850	عشرات القتلى والجرحى	08 قتلى و30 جريح
أكتوبر 1853	استشهاد الشريف عمار عمر وبمعية 500 شهيد	عشرات الجرحى
28 نوفمبر 1854	استشهاد أكثر من 500 جزائري	عدد هائل من القتلى والجرحى يتراوح بين 50 الى 100 فرنسي.
28 ديسمبر 1899	600 شهيد جزائري	مابين 100 و200 قتيل فرنسي
19 مارس 1900	300 شهيد جزائري	100 قتيل فرنسي
جوان 1900	عدد قليل من الخسائر	مقتل الملازم " فلاترس" والملازم الأول " ديانوس" وبمعية 51 من رفقائهما وحوالي 78 جنديا
30 أوت 1859	-------------	350 قتيل وعشرات الجرحى
19 ماي 1881	عدد محدود من الجرحى	قتل ضابط وأربعة من حرسه الشخصي في المولاق
19-25 مارس 1881	استشهاد أكثر من 400 شهيد	37 قتيلا و 16 جريح و47 مفقود منهم القائد " اينوسين"

---

[1] ملاحظة ليس ما تضمنه الجدول يعكس العدد الحقيقي للخسائر البشرية للطرفين الفرنسي والجزائري، وانما هو جزء بسيط جدا من هذه الخسائر لأن هناك العديد من الخسائر وخاصة من الجانب الجزائري لم يتم الكشف عنها، وبالنسبة للفرنسيين فهي تحتمل تارة الزيادة وتارة أخرى النقصان، وهذا هو حال الاحصائيات المتعلقة بالحروب والمعارك العسكرية.

[2] عميراوي أحميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص ص 152-153.

07 ماي 1902	أكثر من 70 شهيد	عدة جرحى منهم الضابط " لابيرين" و" دوفوكو"
29 مارس 1903	------------	8 قتلى منهم العريف " فوربيه لوفي" و6 جرحى
مارس 1908	02 قتلى و 15 جريح	عشرات القتلى منهم الملازم " رونييه"

ملاحظة وتعليق حول الجدولين:

1. الجدول الأول:

أ. الملاحظات:

1) التدرج في عملية التوسع.
2) عملية التوسع كانت بطيئة جدا مقارنة بشمال البلاد.
3) احتلال أهم المدن والواحات الاستراتيجية.
4) شمولية عملية التوسع من الشرق الى الغرب ومن الغرب الى الشرق.
5) عدم مراعاة حرمة الأماكن المقدسة والعمل على تدنيسها كتهديم منارة زاوية الزعاطشة ونسف قبة سيدي الشيخ.

ب. التعليل:

1) نظرا للحذر الذي كان مصاحبا لعملية التوسع.
2) نظرا للمقاومة التي واجهتها قوات الاحتلال من سكان الجنوب وكذلك الظروف المناخية الصعبة في الصحراء.
3) قصد السيطرة على منابع المياه والمدن التجارية وطرق المواصلات وبالتالي التحكم في موارد الرزق التي يعيش منها سكان الجنوب.
4) قصد القضاء على أي أمل للمقاومة الشعبية المسلحة في مختلف الجهات وللحيلولة دون احداث نوع من التعاون المشترك بينها.
5) طبيعة التشكيلة العسكرية التي هي في معظمها من الجنود اللقطاء والمتشردين، فضلا عن الجنود المرتزقة.

2. الجدول الثاني:

أ. الملاحظات:

1) كثرة الخسائر من الجانبين بين قتلى وجرحى، واستشهاد رموز المقاومة من مرابطين وأشراف، والعديد من القادة الفرنسيين ذو رتب مختلفة.

2) كثرة عدد الجزائريين الذي استشهدوا والمقدر عددهم حسب الجدول السابق بـ: 3272 شهيد، وعدد لا يكاد يحصى من الجرحى، هذا فضلا عن العديد من الانتفاضات والثورات التي لم يتسن لنا ذكرها.

ب. التعليل: نعلل الملاحظتين السابقتين بما يلي:

1) عادة المعارك العسكرية تسهدف رموزها الذين خططوا لها نظرا لوجودهم في الصفوف الأمامية للمعارك قصد تحميس الجنود للقتال.

2) غياب التكافؤ التام بين القوات الفرنسية وقوات المقاومة الجزائرية عددا وعدة وتنظيما وتخطيطا، خاصة اذا علمنا بأن القوات الفرنسية استخدمت العديد من الأسلحة المفقودة لدى المقاوميين، والتي من بينها المدافع، والملاحظ في الأخير هو ذلك التفوق الفرنسي الكبير على عناصر المقاومة الجزائرية رغم تشتت القوات الفرنسية أنذال في قارتي افريقيا وآسيا.

أما بالنسبة للخسائر المادية فالمعمرين تكبدوا خسائر عظيمة حيث قام السكان الثائرين بإحراق حضائر الحلفاء واحتجاز العربات التي تنقلها، وإتلاف العتاد والمنشآت الاقتصادية للمعمرين ،و كذا تخريب ونهب الورشات ومها جمة المصانع والمتاجر وقام السكان أيضا بتخريب ا لمزارع والمستثمرات والشركات الخاصة بالتعدين واستغلال ا لمناجم[1].

في المقابل سلب الجزائريين أراضيهم وحرمانهم من المساهمة في الحياة الاقتصادية، وأتلفت مزارعهم وموت أشجار النخيل وبورت أراضيهم وماتت ماشيتهم وحولت الزوايا والمساجد إلى كنائس وأديرة[2].

[1] مياسي إبراهيم ، المرجع السابق، ص. 139.

[2] نوشي أندري وآخرون، المرجع السابق،ص ص 402.-404

الخاتمة

امتد هذا البحث على مدار فترة تاريخية مهمة في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر بالتحديد ما بين سنة 1844م، وسنة 1912م، حاولت فيه استخدام معطيات مختلفة محلية وأجنبية ومقارنتها مع محاولة رصد دقيقة لتطور مسار عملية التوسع الاستعماري الفرنسي في الصحراء الجزائرية، ومن خلال كل تلك المعطيات والدراسة خلصت إلى تسجيل النتائج التالية:

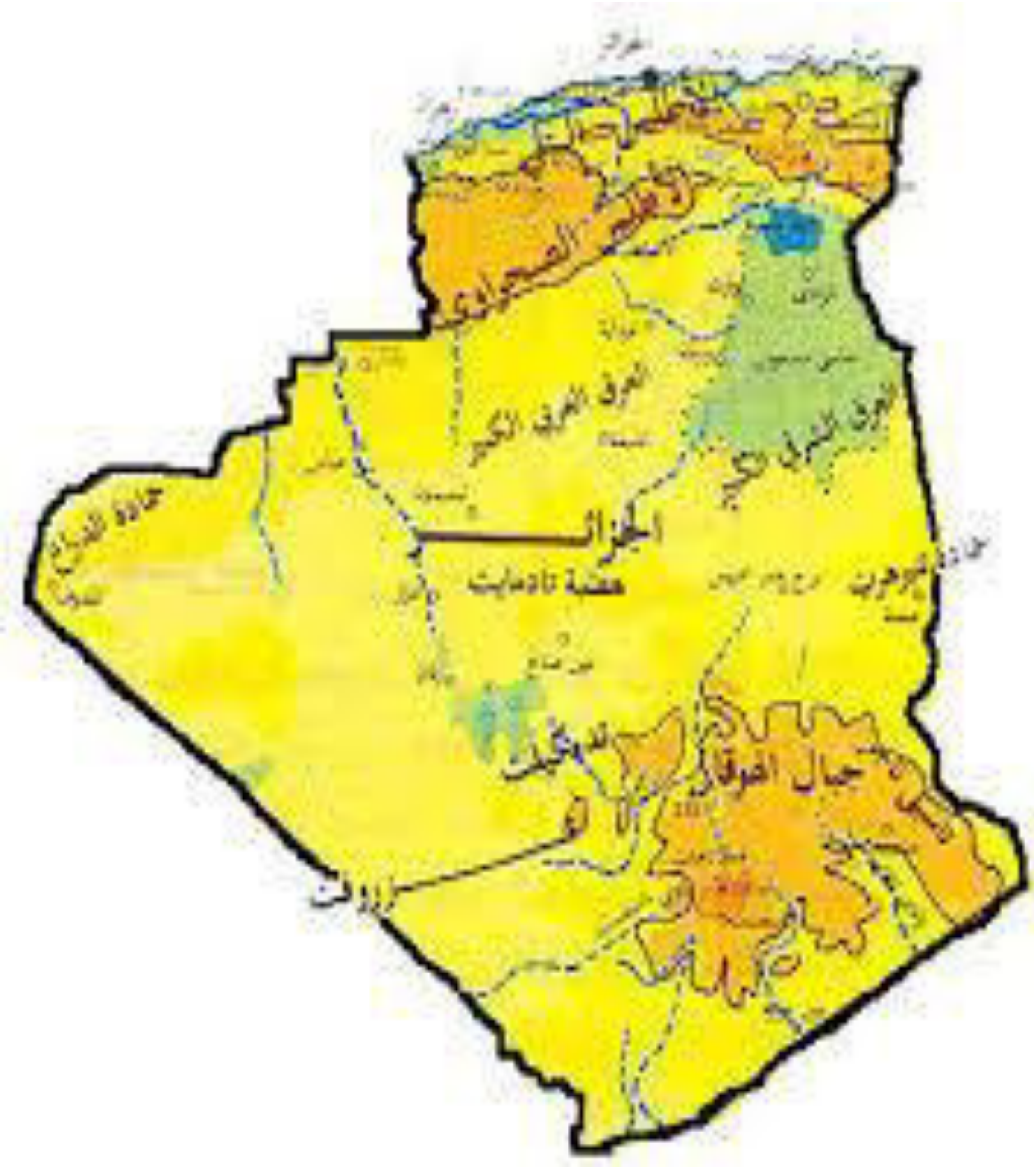
- توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الجزائري كان بفعل التغلب العسكري على الجزائريين باستعماله الأساليب و الوسائل العلمية في التوسع والاحتلال، إذ سبق عملية التوغل العسكري إرسال وفود من المستكشفين ثم جواسيس لرصد صورة واضحة المعالم عن الجغرافية الطبيعية والديمغرافية والاقتصادية لهذه المنطقة الشاسعة من الجزائر.
- طول المدة التي استغرقتها عملية التوسع، إذ تم استكمالها نهائيا عام 1912م، أي أن فرنسا استنزفت ثمانية وستين عاما (68 سنة)لاحتلال الصحراء وهذا راجع إلى سببين رئيسيين هما: شساعة الجغرافيا الصحراوية وتنوع مظاهرها وصعوبة التنقل فيها من جهة، ومن جهة أخرى مواجهتها العنيفة من قبل السكان ومقاومتهم لهذا التوغل بكل الإمكانيات المتاحة، اذ تم عرقلة حركة القوات الفرنسية في كل جهة من جهات الصحراء عبر المقاومة المسلحة أو الكمائن أو عمليات الاغتيال لقادة الحملات العسكرية في العديد من المرات.
- رغبة فرنسا في استئصال ونزع شوكة المقاومة الوطنية باحتلال الصحراء ، اذ تحولت الأخيرة ومنذ سقوط مدينة قسنطينة عام 1837م، كقاعدة خلفية للمجاهدين والثوار والزعماء، فعزمت السلطات العسكرية الفرنسية على الزحف نحو واحات الزاب والزعاطشة والأغواط لبسط نفوذها عليها ثم الى احتلال وادي سوف ووادي ريغ ومقارعة الثوار هناك ومنه تطويق المقاومة في شمال البلاد ومنع عمليات الإمداد والمساعدة من الجنوب.
- استعانة السلطات الاستعمارية ببعض الجزائريين الذين خانوا بلادهم ووطنهم وتحالفوا مع المحتل، فكان هؤلاء هم دليل فرنسا المحلي في المنطقة وساهموا مساهمة بالغة حسب رأيي في تثبيت الوجود الاستعماري في الصحراء ومنهم عائلة (ابن قانة)، وعائلة (الخليفة أحمد بن سالم) بالاغواط.

- تمكن فرنسا من بسط سيطرتها على الجنوب الجزائري، حقق لها جزء كبير من حلمها القديم الذي كانت تسعى إلى تحقيقه وهو مد نفوذها أيضا لدول الجوار كتونس سنة 1881م، والمغرب الأقصى سنة 1912م، وبقية الدول الأفريقية المتاخمة للجزائر مثل مالي سنة 1857م، والنيجر سنة 1897م، وموريتانيا سنة 1902م، وتشاد سنة 1899م.
- من خلال دراستي للتنظيم الاستعماري في الصحراء الجزائرية بمختلف جوانبه اتضح لي مدى التأثير السلبي والكارثي له على حياة سكان الجنوب اقتصاديا واجتماعيا حيث انتشر الثالوث الأسود وزادت حركة الهجرة الداخلية والخارجية، وتم استغلال الثروات الباطنية والسطحية للصحراء إلى أبعد الحدود في حين استفادت فرنسا من هذا التوسع في إنماء مواردها الاقتصادية والمالية وزيادة حجم تجارتها بالتوغل في أعماق القارة الإفريقية مع استغلال السكان كيد عاملة رخيصة خاصة في القطاع المنجمي.

وخلاصة عما سبق في التوصل إليه من نتائج خلال هذا البحث، فان مجال وحقل الدراسة في هذا الموضوع لا يزال من وجهة نظري بحاجة إلى المزيد من البحث والتعمق للوصول إلى حقائق جديدة في تاريخ صحرائنا، وأنا أدعوا من كل الباحثين والدارسين في التاريخ الوطني أن يكثفوا جهودهم أكثر لمحاولة تحرير تاريخ الجزائر في العهد الاستعماري من الاحتكار والهيمنة الفرنسية سواء من حيث الوثائق الأرشيفية أو حجم الكتابات التاريخية وهذا من أجل كتابة تاريخ وطني خال من الايديولوجيا والنزعة الاستعمارية.

الملاحق

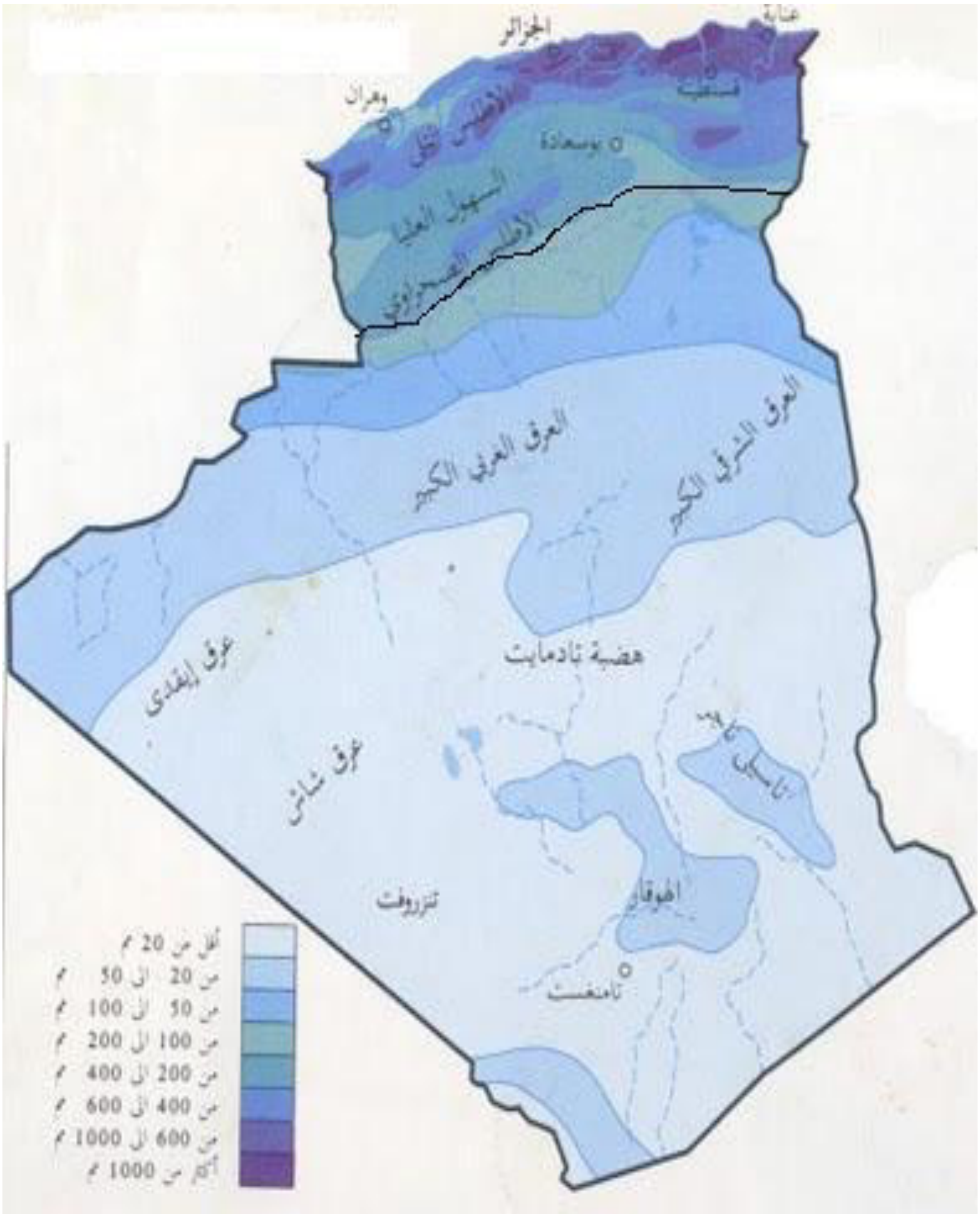
الملحق رقم : 01.



الخريطة رقم: 01

تضاريس صحراء الجزائر

الملحق رقم: 02.

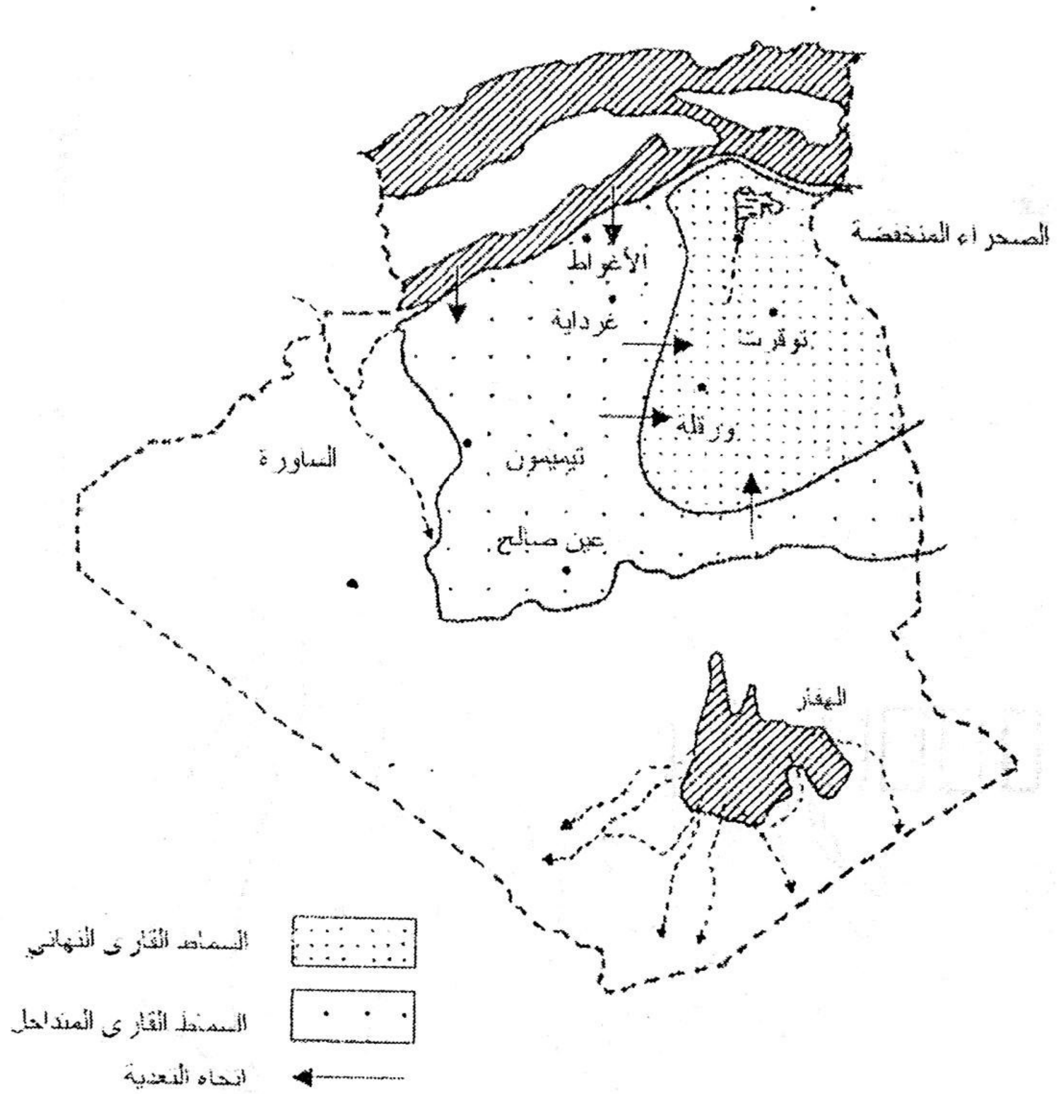


الخريطة رقم :02

متوسط المطر السنوي في الصحراء

الملحق رقم :**03**.

الأسمطة المائية في الصحراء

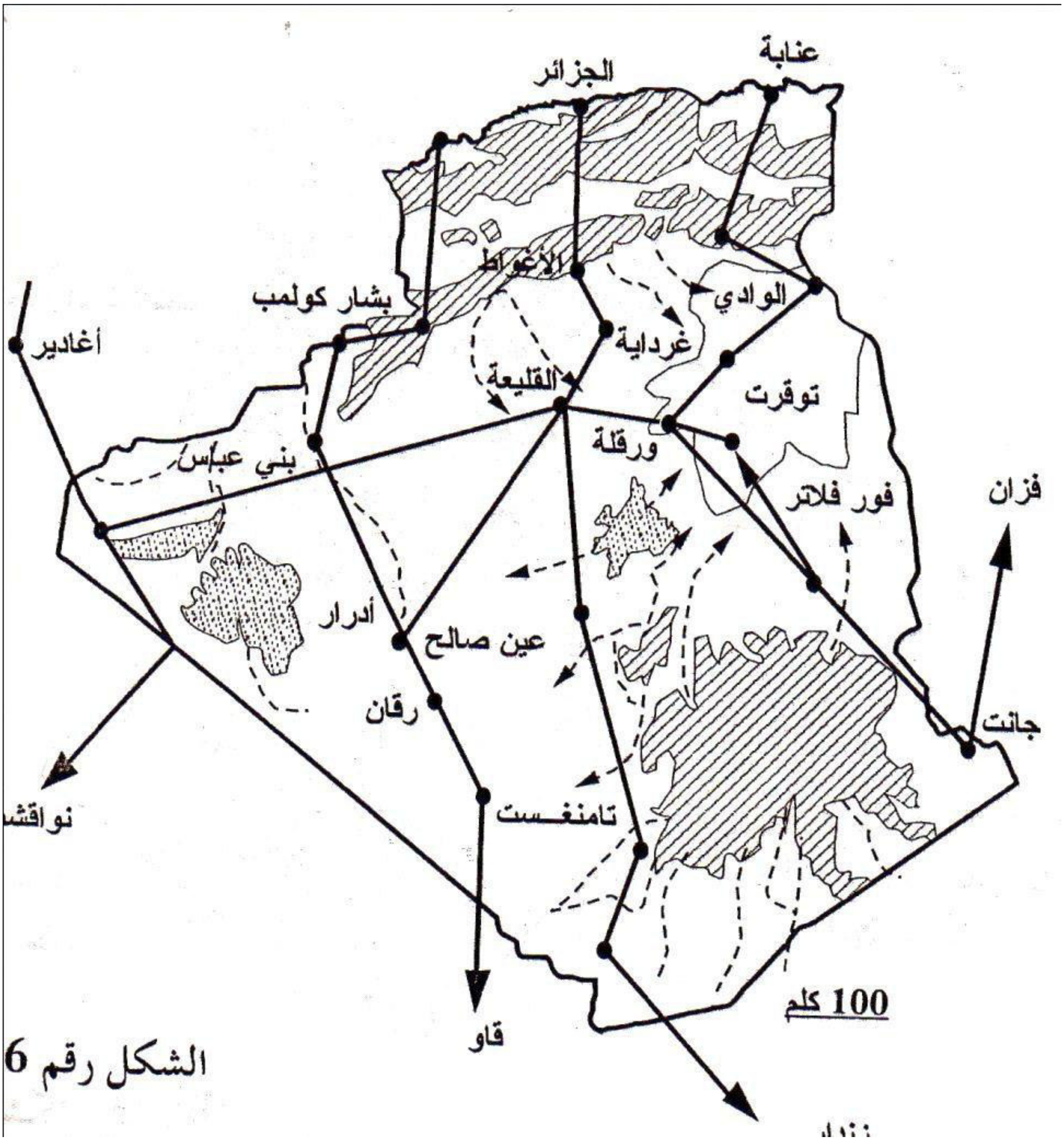


شكل 05

Source COTE MARC L'espace Algérien 1983 P 246

الخريطة رقم:**05**

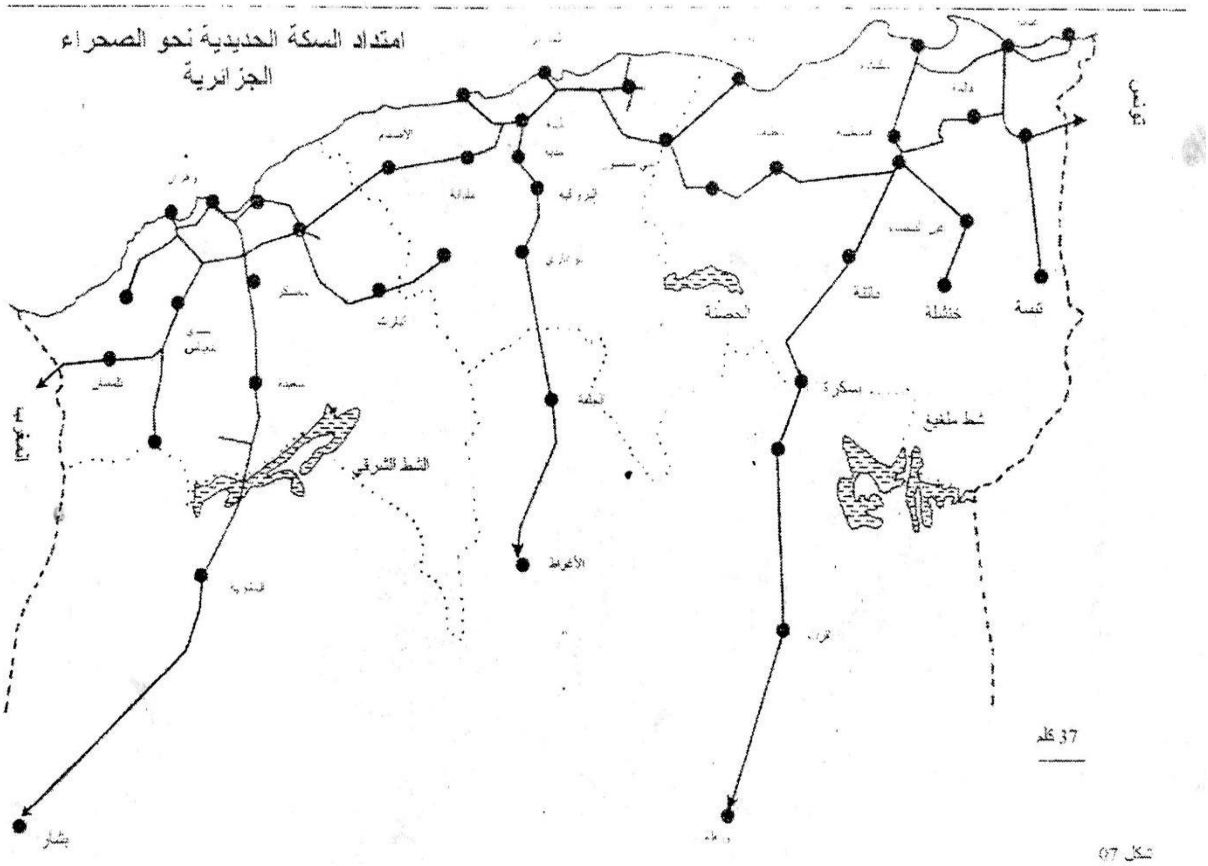
الملحق رقم: **04**.



الخريطة رقم: 06

منافذ التوغل الاستعماري الفرنسي في الصحراء الجزائرية.

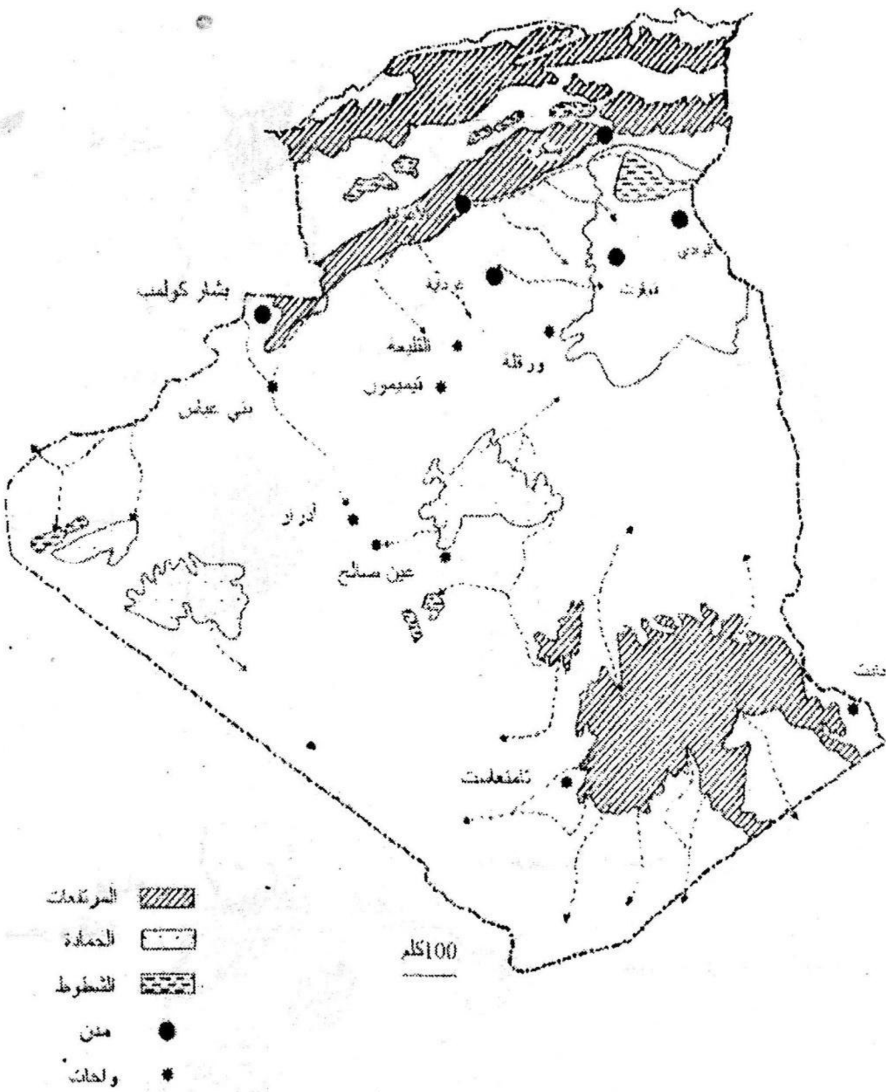
الملحق رقم:05.



الخريطة:07

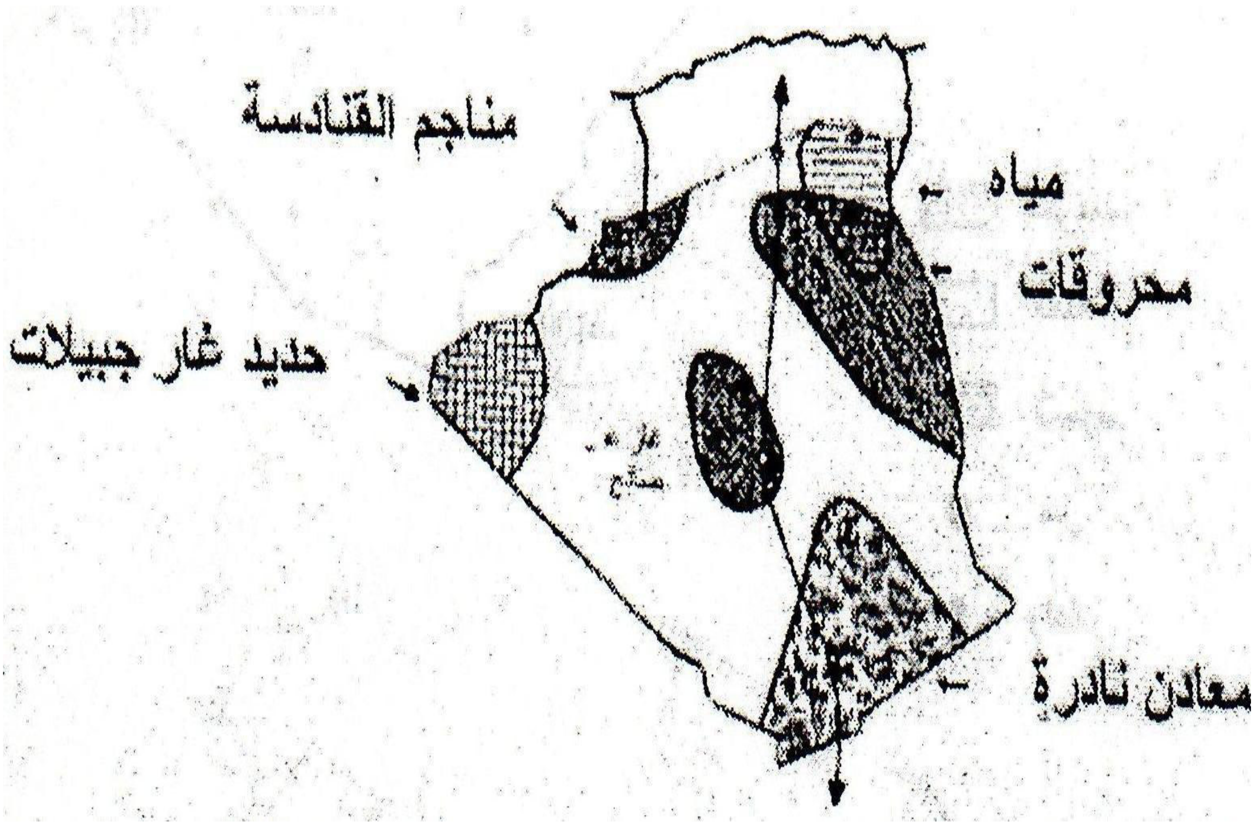
الملحق رقم: 06.

مدن و واحات الصحراء في عهد الاستعمار الفرنسي



الخريطة رقم 08.

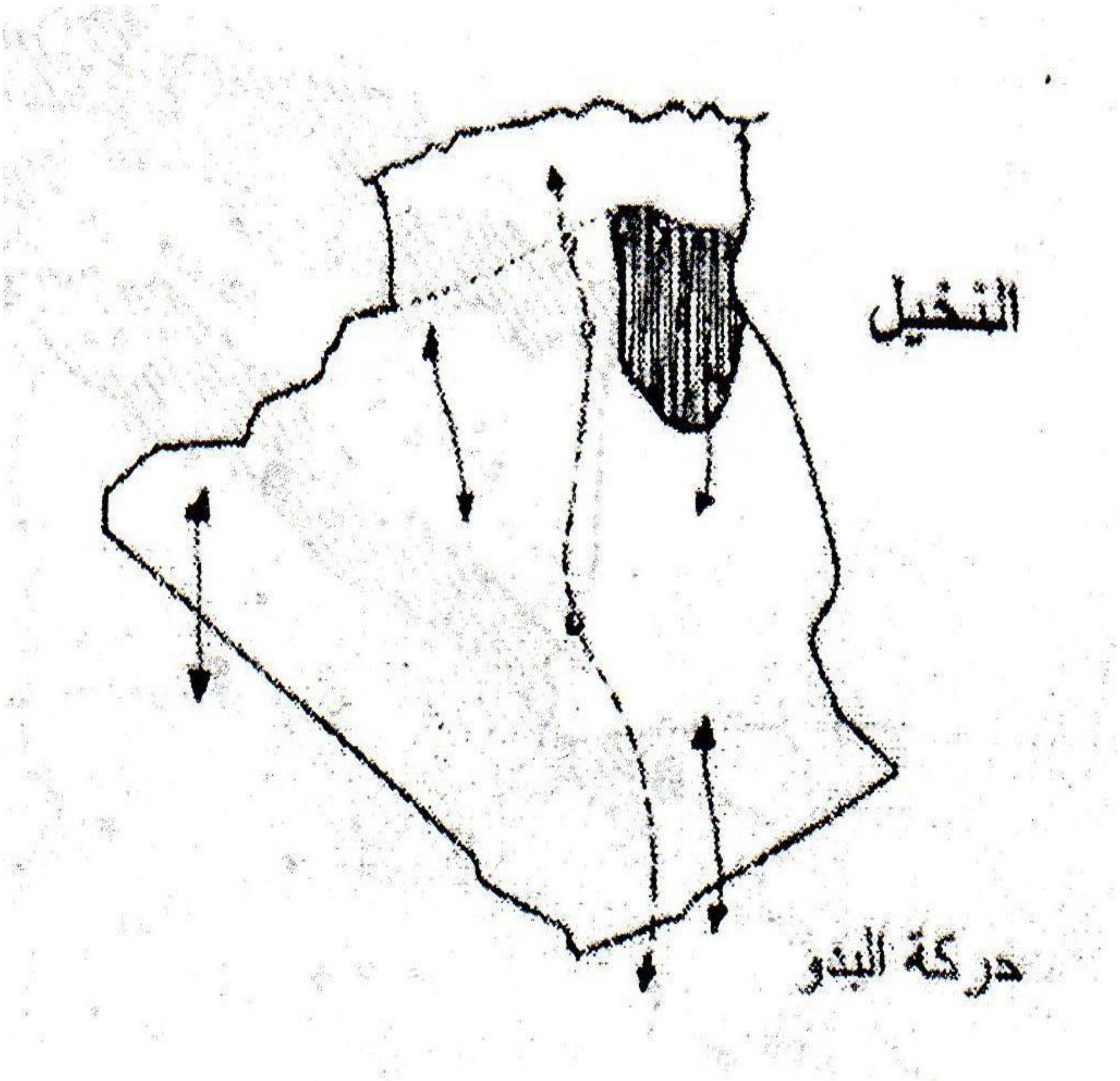
الملحق رقم :07.



الخريطة رقم: 09

الثروات الطبيعية في الصحراء الجزائرية.

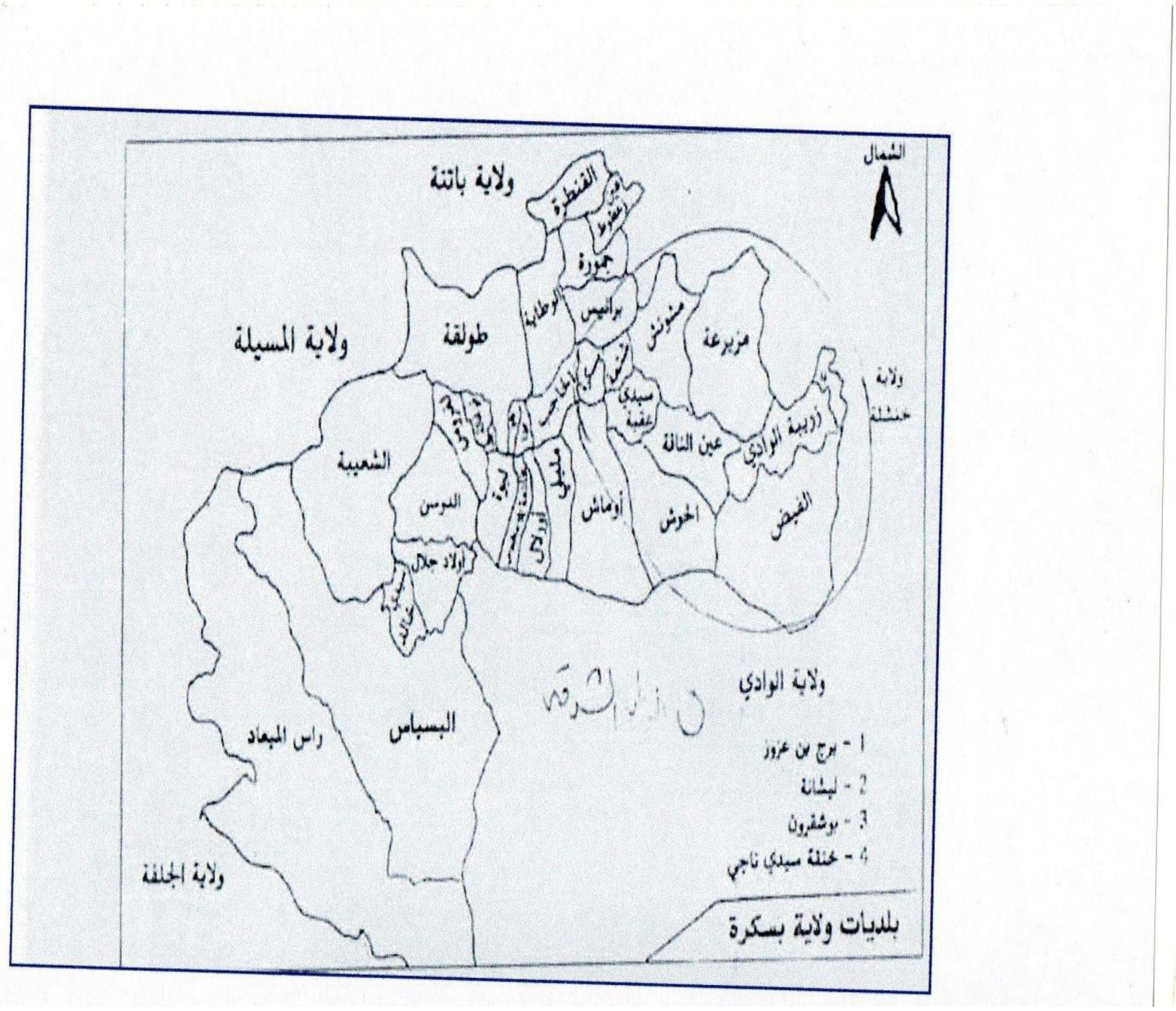
الملحق رقم: 08



الخريطة رقم: 10

خريطة توضح زراعة النخيل في منطقة الزاب الشرقي والغربي وواد سوف

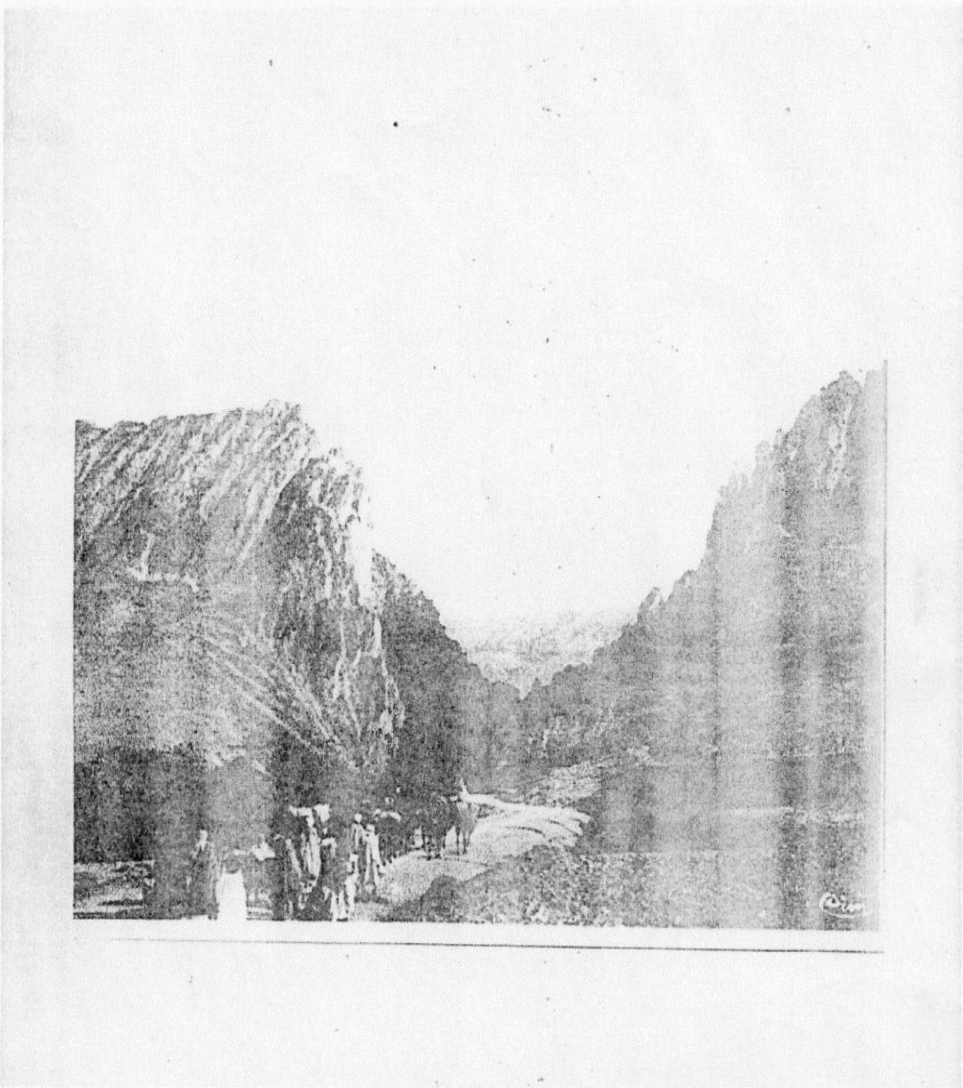
الملحق رقم:09



خريطة الزيبان.[1]

[1] عباس كحول ،المرجع السابق.الملحق رقم 02.

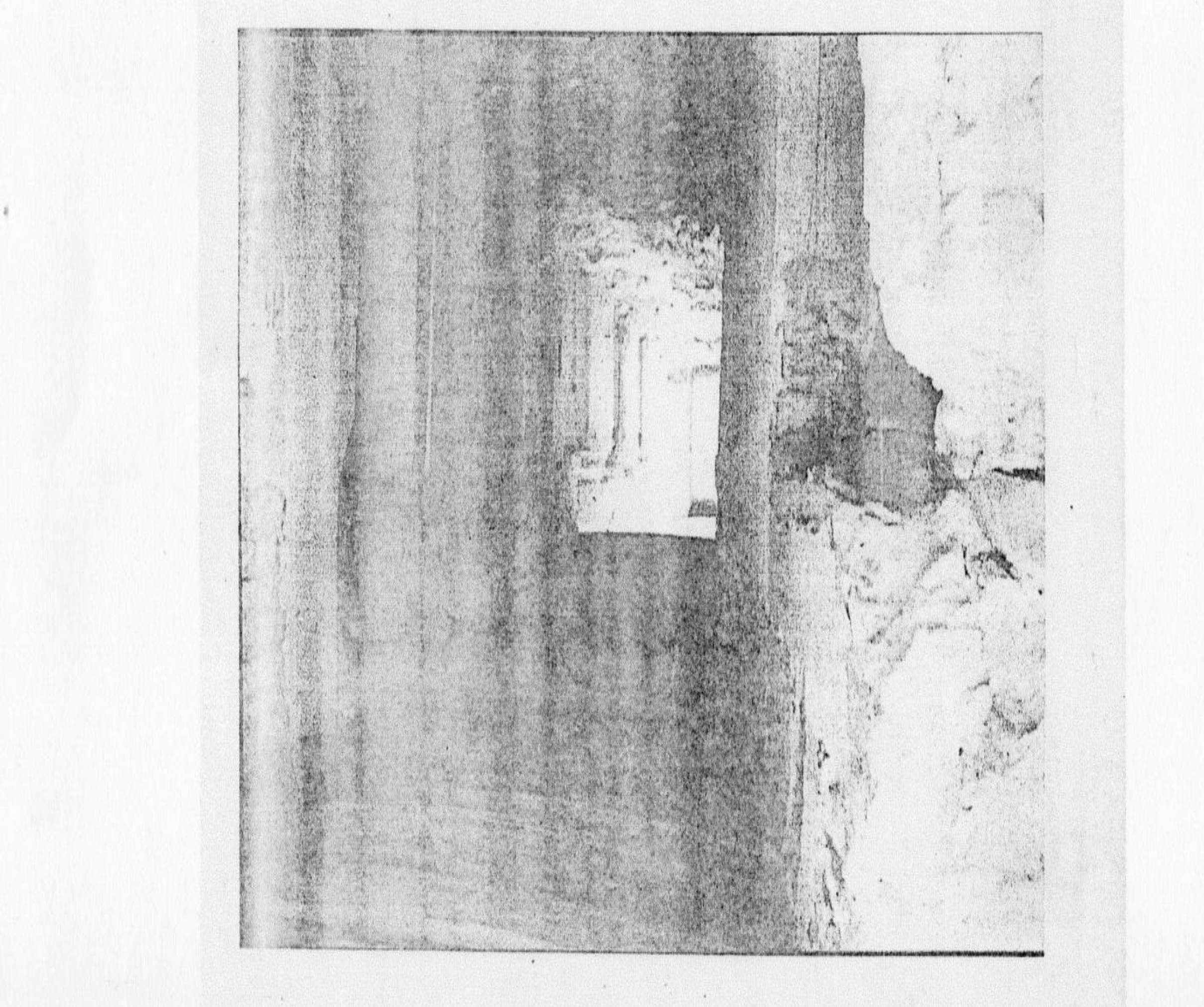
الملحق رقم: 10



صورة الطريق المؤدي إلى القنطرة الذي سلكته الحملة الفرنسية سنة 1844.[1]

[1] شلبي شهرزاد المرجع السابق،ملحق رقم: 18.

الملحق رقم:11



نمط ا لبناء في قرية ليشانة يشبه نمط ا لبناء في واحة الزعاطشة.[1]

[1] شلبي شهرزاد،المرجع السابق،الملحق رقم:22.

الملحق رقم: 12



صورة للباب الشرقي الذي اقتحمت منه قوات العدو واحة الزعاطشة.[1]

[1] شلبي شهرزاد،المرجع السابق،الملحق رقم: 24.

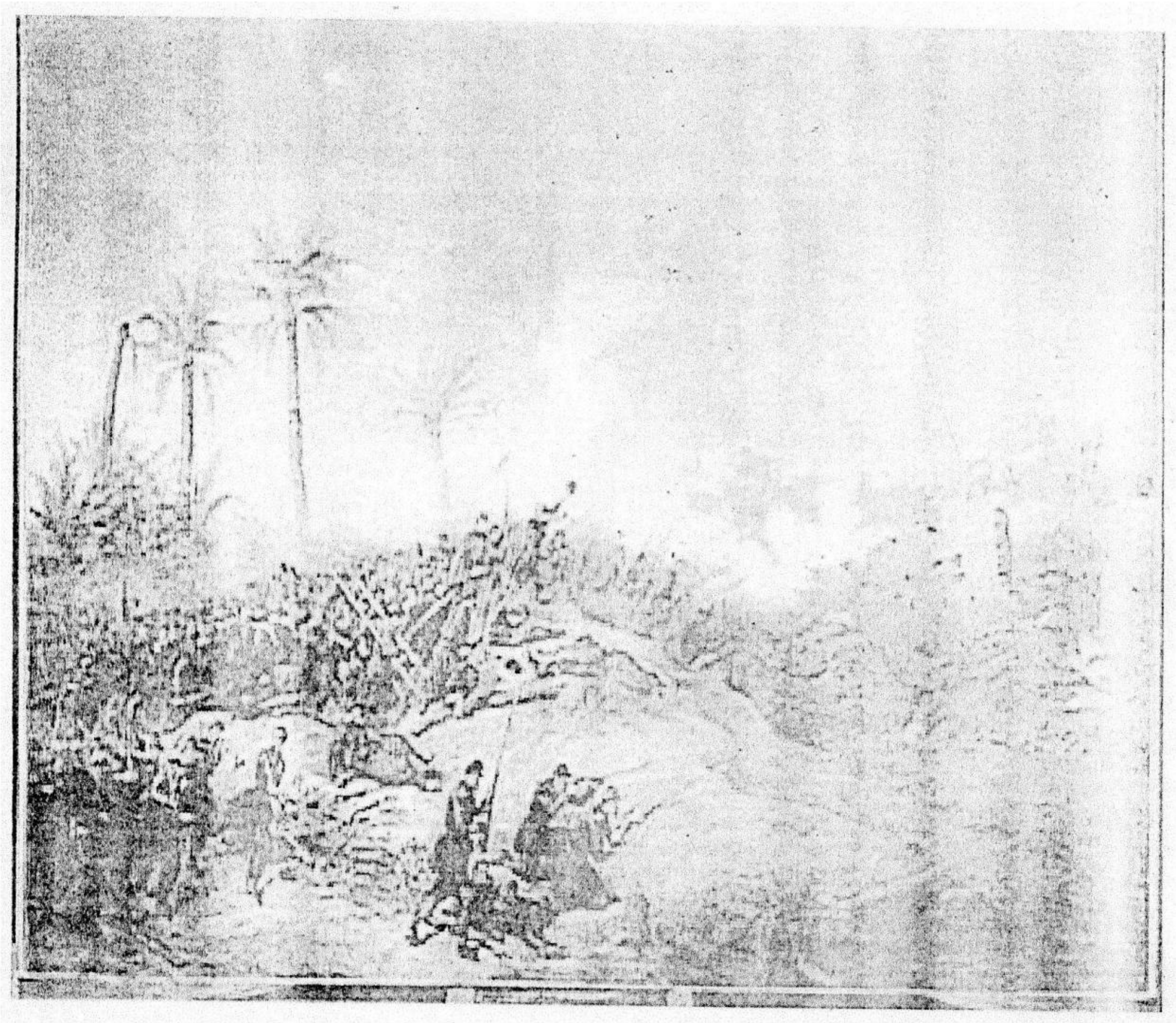
الملحق رقم:13



بداية القصف لواحة الزعاطشة.[1]

[1] شلبي شهرزاد،المرجع السابق،الملحق رقم: 26.

الملحق رقم:14



القصف الفرنسي لواحة الزعاطشة في مرحلته الاخيرة.[1]

[1] شلبي شهرزاد،المرجع السابق،الملحق رقم: 27.

الملحق رقم: 15



جدارية لثورة الزعاطشة بليشانة.[1]

[1] من تصوير الطالب.

الملحق رقم:16



كدية المايدة مكان حدوث ثورة الزعاطشة (ليشانة).[1]

[1] من تصوير الطالب.

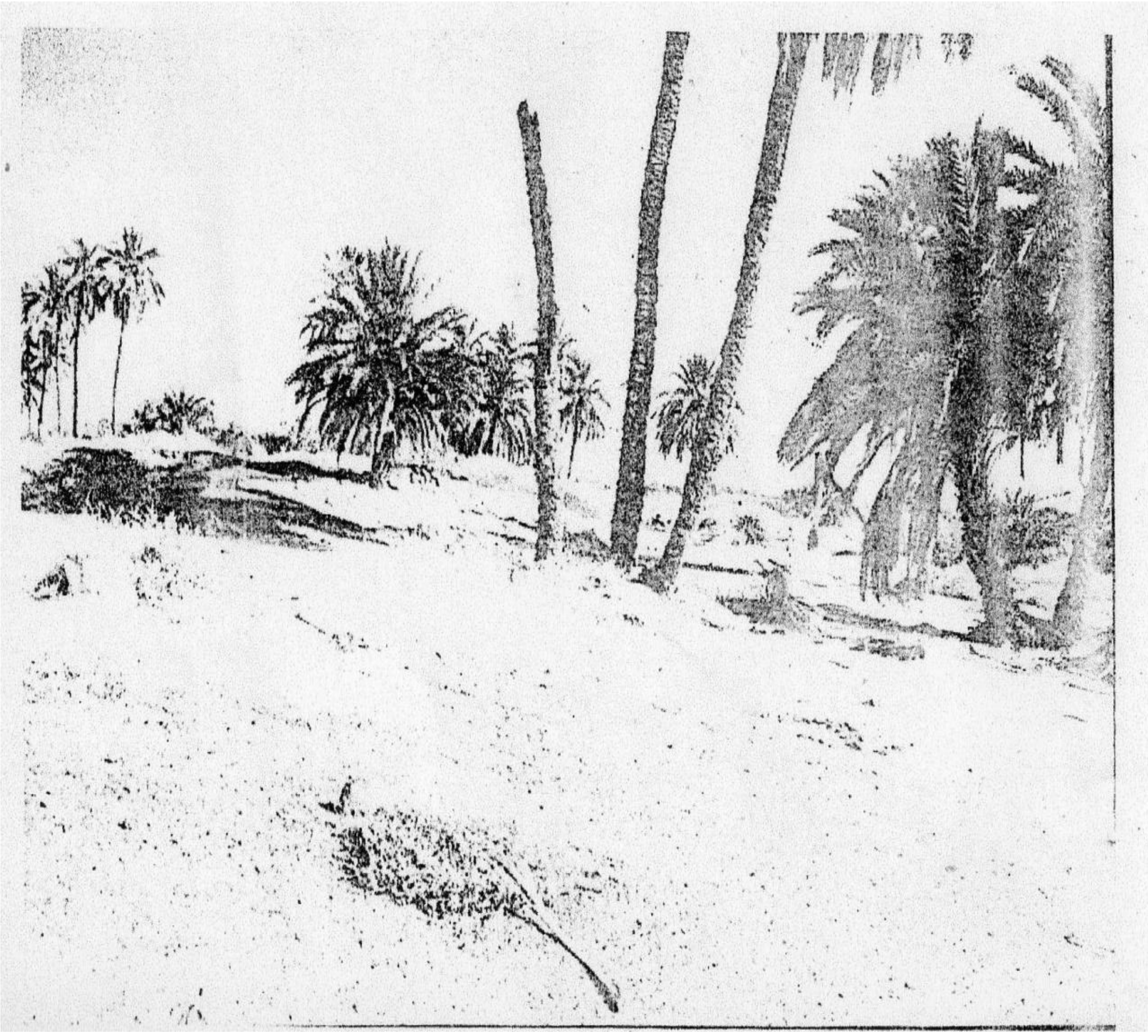
الملحق رقم:17



خريطة لواحة ا لعامري سنة 1876.[1]

[1] شلبي شهرزاد،المرجع السابق،الملحق رقم: 17.

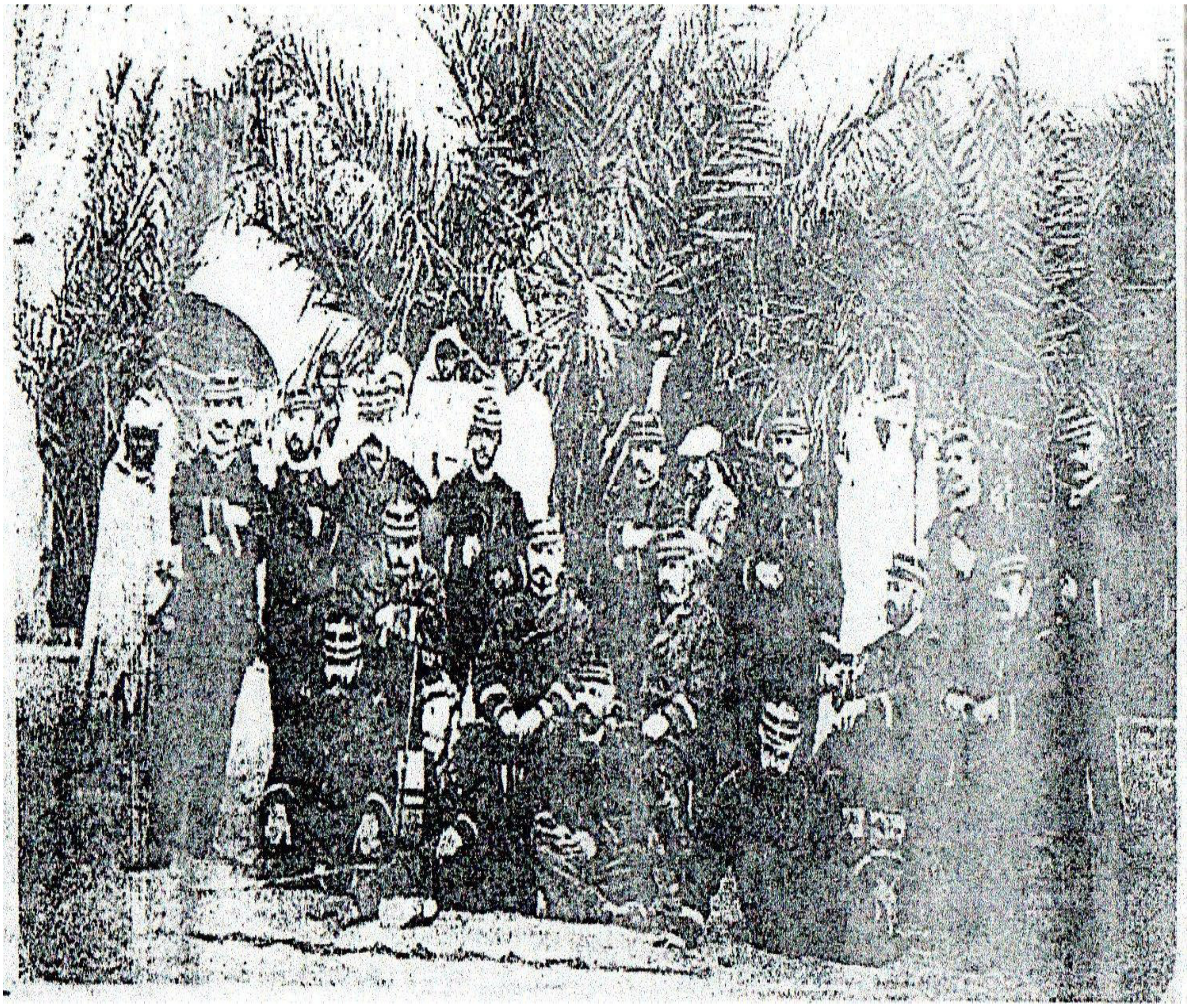
الملحق رقم:18



صورة لجنان الرومي الذي عسكرت به قوات العدو.[1]

[1] شلبي شهرزاد،المرجع السابق،الملحق رقم: 30.

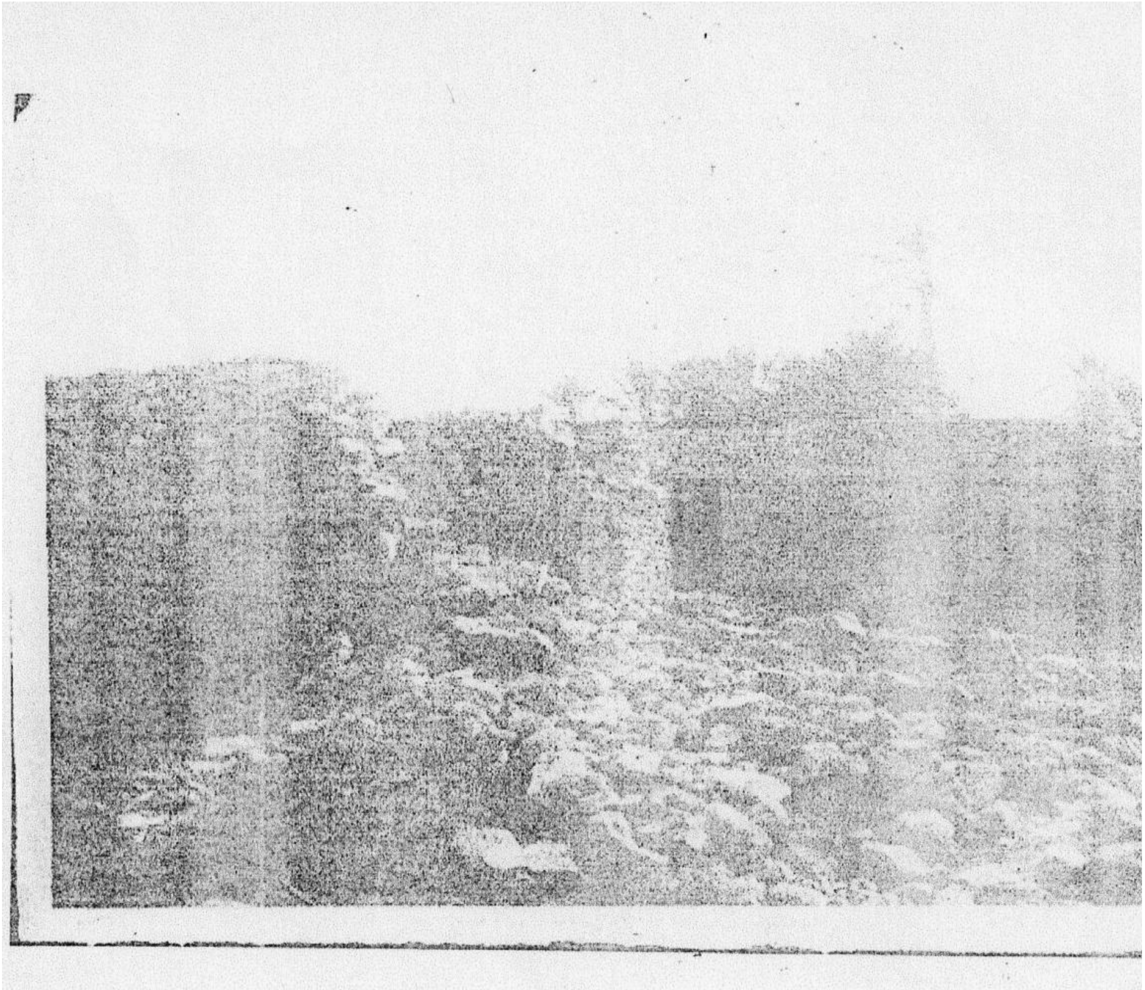
الملحق رقم: **19**



قوات الجيش الفرنسي القادمة من بوسعادة 1876 بقيادة روكيبير.[1]

[1] شلبي شهرزاد،المرجع السابق،الملحق رقم: 31.

الملحق رقم:20



آثار القصف الفرنسي لواحة العامري أخذت الصورة سنة 1980 .[1]

[1] شلبي شهرزاد،المرجع السابق،الملحق رقم: 32.

الملحق رقم: 21



جدارية لثورة واحة العامري بلغروس.[1]

[1] من تصوير الطالب.

الملحق رقم:22



بقايا آثار منازل واحة العامري.[1]

[1] من تصوير الطالب.

المحلق رقم:23



صورة الشيخ بوعمامة.

الملحق رقم: 24



وصية الشيخ بوعمامة.[1]

---

[1] نشرت : المصدر الشروق الجزائرية الخميس 29 يناير 2015 11:29

المصادر والمراجع

أ : المصادر باللغة العربية:

1. ابن هطال التلمساني (أحمد)، **رحلة محمد الكبير**، باي الغرب الجزائري الى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم، محمد بن عبد الكريم، القاهرة، عالم الكتب، 1969م.
2. بلغيث محمد الآمين، **تاريخ الجزائر المعاصر، نماذج من سياسة فرنسا للتوغل في الجنوب الغربي الجزائري، وبلاد السينغال من خلال فتوى قورارة، 22** جوان 1893م، الجزائر ، بيروت، دار البلاغ، دار ابن كثير، 2001م.
3. الحشائشي (الشيخ محمد بن عثمان)، **الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق،** قدم لها وعلق عليها وراجع ترجمتها للعربية، محمد المرزوقي، تونس، الدار التونسية للنشر، 1988م.
4. مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، ترجمة محمد العربي الزوبيري، الطبعة الثانية ، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م.
5. مذكرات الأمير عبد القادر، تحقيق الدكتور محمد الصغير بن ناني وآخرون، الطبعة الثانية، الجزائر، دار الآمة، 1998م.
6. الوازن أبو الحسن محمد الزناتي (**وصف افريقيا**)، ترجمة من الايطالية الى الفرنسية، ترجمة جديدة، الجنرال أبيولار، وترجمة إلى العربية الدكتور عبد الرحمان حميد، ط 2، بيروت، 1983م.

ب. مراجع باللغة العربية:

7. إبراهيم مياسي، **مقاربات في تاريخ الجزائر المعاصر، 1830-1962**، د ط، دار هومة، الجزائر، 2007م.
8. إبراهيم مياسي، **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912م)**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996م.
9. أحمد العماري، **توات في مشروع التوسع الفرنسي في الغرب**، (د ن)(، (د س).
10. أحمد العماري، **مشكلة الحدود الشرقية، بين المغرب والجزائر واستغلالها في المخطط الفرنسي للسيطرة على المغرب من حوالي 1830-1902م**، الرباط، 1981م.
11. أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، (د س).
12. أحمد خمار، **تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل**، مطبعة الفجر، بسكرة، 2007 .

13. إسماعيل العربي، **الترتيبات التكتيكية لحصار قرية الزعاطشة، أكتوبر نوفمبر 1849**، الدراسات التاريخية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

14. إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.

15. أندري نوشي وآخرون، **الجزائر بين الماضي والحاضر**، ترجمة اسطنبولي رابح وآخرون، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1984م.

16. جمال قنان، **نصوص سياسية جزائرية في القرن 19م**، (**1830–1914م**)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1993م.

17. جيلاني صاري، **دور البيئة في الجزائر**، ط 1، الجزائر، 1983م.

18. دميخة عبد الحميد، **الفريد في ذكر البوازيد** (ملخص تاريخ الأشراف البوازيد)، ط1 ، مكتبة الشروق اليومي، الجزائر، 2012 م.

19. زياد نادية وآخرون، **بسكرة السحر المثمر**، د ط، دار الحكمة، الرويبة، الجزائر، 2010م.

20. سعد الله أبو القاسم ، **الحركة الوطنية** (**1830–1900**)، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992 .

21. سعد الله أبو القاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية**، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992م.

22. سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م.

23. سعيد بورنان، **شخصيات بارزة في كفاح الجزائر** (**1830–1962**)، ج1 ، ط1 ، دار الأمل، الجزائر، 2004 .

24. شارل روبير اجرون، **الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871–1919**، ج1 ، ، تر:حاج مسعود أ بكلي، دار الرائد، الجزائر، 2007 م

25. صالح عوض، **معركة الإسلام والصليبية في الجزائر من سنة 1830 إلى سنة1962** ، ج 1، ط2 ، مطبعة دحلب، الجزائر.

26. صالح فركوس، **المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين**، دار العلوم عنابة، الجزائر، 2003م.

27.عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة 1881–1908 جانبها العسكري والسياسي**، دار هومة، الجزائر 2013م.

28.عبد الحميد زوزو، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة(1830–1900)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م.

29.عبد الحميد زوزو، **الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي: التطورات السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية (1837–1939)**، ج1 ، تر:مسعود حاج مسعود، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، 2005 م.

30.عبد الحميد زوزو، **ثورة الأوراس**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

31.عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة (1881–1908م)**، جانبها العسكري (1881–1883م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

32.عبد القادر حليمي، **جغرافية الجزائر الطبيعية والاقتصادية**، ط1، 1968م.

33.عبد القادر خليفي، **المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2010م.

34.عبد الوهاب بن منصور، **أعلام المغرب العربي**، الجزء الثاني، المطبعة الملكية، الرباط 1979م.

35.العربي منور، **تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن19** ، دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر، 2006.

36.عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية1962** ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، (د ب)، 1997م.

37.عمر بن محمد جغنون، **نسب البوازيد الأشراف**، مطبعة الرافدين، (د ن)(، (د س).

38.عميراوي أحميدة وآخرون، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844–1916)**، دار الهدى، الجزائر، 2009 .

39.عميراوي أحميدة، **محاضرات في تاريخ الجزائر**، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999م.

40.عميراوي أحميدة، **من الملتقيات التاريخية**، دار البعث، قسنطينة، 2001م.

41. عميراوي أحميدة، **من تاريخ الجزائر الحديث**، مطبوعات جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2000م.

42. عيسى جعنيط، **مقاومة الواحات للاحتلال الفرنسي في القرن 19م**، ثورة الزعاطشة، أسبابها وتطوراتها، الدراسات التاريخية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

43. محفوظ قداش، **الجزائر الجزائريين (تاريخ الجزائر 1830-1954)**، تر:محمد المعراجي، (د د ن)، الجزائر، 2008 م.

44. محمد البجاوي، **الثورة الجزائرية والقانون**، ترجمة علي الخش، دار اليقظة العربية، دمشق، 1965م.

45. محمد السويدي، **بدو التوراق بين الثبات والتغيير**، دراسة سوسيوأنتربولوجية في التغيير الاجتماعي (د .ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

46. محمد الشريف ولد الحسن، **من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال (1830 -1962**)، دار القصبة، الجزائر، 2010.

47. محمد الصالح الصديق، **الجزائر بلد الصمود والتحدي**، وحدة الرغاية، الجزائر، 2009 م.

48. محمد العربي الزبيري، **الثورة الجزائرية في عامها الأول**، الطبعة الأولى، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة ، الجزائر، 1984م.

49. محمد العربي حرز الله، **منطقة الزاب مائة عام من المقاومة 1830-1930**، دار السلسبيل، بن عكنون الجزائر، 2008م.

50. محمد عيساوي، نبيل شريخي، **الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري (1830-1871)**، مؤسسة كنوز الحكمة، الأبيار الجزائر، 2011 .

51. محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي**، الجزء الثاني، المكتب الإسلامي، بيروت دمشق 1399هـ/1979م.

52. منور العربي وآخرون، **تاريخ الجزائر المعاصر**، ج1 ، دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر، 2010م.

53. يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين 19 و20 م**، ط 1، دار البعث ، قسنطينة، 1980م.

54. يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية وال**دولية، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر، 1999م.

55. يحيى بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين (19-20)**، ط1، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الرويبة، الجزائر،1994م.

56. يحي جلال، **تاريخ المغرب الكبير، العصور الحديثة وهجوم الا**ستعمار، الجزء الثالث، دار النهضة، بيروت، 1981م.

57. يحيى جلال ، **السياسة الفرنسية في الجزائر من (1830-1960)**، ط1 ، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، 1959 .

58. يوسف بن بكير الحاج سعيد، **تاريخ بني ميزاب،** دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، الطباعة الشعبية للجيش 2007م.

ج. **المجلات:**

59. بلغيث محمد الأمين، **ثورة الزعاطشة في المصادر الفرنسية**، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر1954 ، الجزائر، ع2 ، 1999م.
60. بوبكر سي حمزة، " **بداية الحرب بجنوب وهران ضد فرنسا (1864-1900) حسب الرواية العربية**"،المجلة التاريخية المغربية، تونس، عدد 06 جانفي 1976م، القسم الفرنسي والانجليزي.
61. بوعمران الشيخ، " **شارل دي فوكو في تمنراست**"،المجلة التاريخية المغربية، تونس، عدد 17 و18 جانفي 1980، من أرشيف ولاية قسنطينة.
62. جعنيط عيسى، **مقاومة سكان الواحات للاحتلال الفرنسي في ق- 19** ثورة الزعاطشة - 1849أسبابها تطوراتها، مجلة الدراسات التاريخية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجزائر، ع2 ، 1995.
63. جمعية أول نوفمبر، **تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية و الإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من(1837-1954)**، دار الشهاب، باتنة، 1988 .
64. عبد القادر خليفي " **فرقة الشيخ بوعمامة في الجنوب الكبير**"مجلة جامعة الأمير عبد القادر، عدد10، مقالة للدكتور ، دار البعث، قسنطينة، 20 سبتمبر 2001م.
65. عبد القادر خليفي، **الشيخ بوعمامة وقضية الأمان**، مجلة حولية المؤرخ، العدد الثاني سنة 2000م.
66. علي تابليت، **مصادرة أملاك أهل الزعاطشة وأولاد ضاغن بنواحي قالمة (1852-1853)**، مجلة الثقافة، وزارة الاتصال و الثقافة، الجزائر، ع 115، 1997م
67. مجلة الرؤية، العدد 1، السنة لأولى، المركز الوطني للدراسات والأبحاث، الحركة الوطنية، وثورة أول نوفمبر 1954م، جانفي / فيفري 1996م، الجزائر.
68. مجلة المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، " **فصل الصحراء عن السياسة الاستعمارية الفرنسية**"، سلسلة الملتقيات.

69. محمد الأمين بلغيث، " **سياسة التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري من خلال فتوى أهل قورارة**"، مجلة المصادر، عدد3، فصيلة المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة التحرير، الجزائر، 2000م.

70. محمد الصغير سوسي ، **دوافع وأسباب فشل ثورة الزعاطشة**، المجلة الخلدونية، الجمعية الخلدونية، الجزائر، ع03، 2004،

71. محمد الطاهر عدواني، " **المشاريع الاستعمارية في الصحراء والمقاومة الوطنية**"،دورية البعث، عدد4، المطبعة المركزية للجيش، الجزائر، 1986.

72. محمد العيد مطمر، **مقاومة واحة العامري1876** ، الخلدونية، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية لولاية بسكرة، الجزائر، ع3، 2004م.

73. مديرية المجاهدين لولاية بسكرة، قاموس الشهيد من شهداء ولاية بسكرة (1954-1962)، شركة الزيبان للفنون المطبعية والمكتبية، بسكرة، جويلية2005 م.

74. مصطفى حداد، **انتفاضة البازيد من سكان من واحة العامري و المناطق المجاورة سنة** 1876، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، ع1984 م.

75. يحي بوعزيز، " **أضواء على ثورة أولاد سيدي الشيخ**"، مجلة الثقافة، عدد 51، (ماي وجوان 1979)،.

76. يحي بوعزيز، " **اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء**"مجلة الثقافة، العددين 57-58 (ماي وجوان 1980م).

77. يحي بوعزيز،" **اهتمام فرنسا بمنطقة الأهقار والتوسع فيها**"، مجلة الأصالة، عدد 72، الجزائر، 1986م.

78. يحي بوعزيز،"**وثيقتان جديدتان عن كفاح الشريف محمد بن عبد** الله"، مجلة الثقافة، العدد 33، وزارة الإعلام والثقافة الجزائرية، الجزائر، 1997م.

79. يحي بوعزيز، **ثورة الزعاطشة1849** ، المجلة الخلدونية، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية لولاية بسكرة، الجزائر، ع3 ، 2004.

د. مذكرات ورسائل تخرج:

80. بيرم كمال، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الحضنة الغربية" فترة الاحتلال (1840-1954)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2010-2011،

81. شلبي شهرزاد، **ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008/2009.

82. مبخوت بوداوية، مقاومة أولاد سيدي الشيخ، بالجنوب الغربي الجزائري، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 1998م.

هـ. المصادر باللغة الأجنبية :

83. A casset (**dans le sud oranais souvenir d un médecin militaire**) ;(ed 1913) .libraire médicaux. Paris 1911.
84. Augustin (b) . **historie de la pénétration saharienne** .Alger .1900.
85. Bernard augustin et lacroix .**la pénétration saharienne (1830 /1906**) ;Alger imper algérienne ;1960
86. Bezy (le citoyen) ;**insurrection du sud oranaise –Oran –collet 1884.**
87. De lamartinière et Lacroix, **Document pour servir à l'étude du nord ouest africain, gouvernement générale de l'Algérie**, Tome/2, A. Jourdan, Alger.
88. Henry de la croix castres .**questions saharienne et transsahariennes**. (ed ; 1902). Libraire africaine colonial . paris .1902.
89. Le Baron Henri aucaputaine:**Notice sur Boussaâda**, RA,n06 , Alger, 1862.
90. Le cete Maragon : **Insurrection dans la province de Constantine de 1870 à 1880 ,** Bercer Levrault , et c te ,Editeurs, paris,1883.
91. Louis Rinn: **Histoire de l insurrection de 1871 en Algérie**, Libraurie Adolphe Jourdan ,Alger,1891.
92. M . duclos . **les territoires du sud de L'Algérie** . gouvernement générale de L'Algérie .Alger 1929.

93. St –arnaud **. les premières années de L'Algérie françaises** .leffont. r.tours 1978 .

و.المراجع باللغة الأجنبية:

94. Ahmed Akhache:**La résistance de 1845à1945**,SEND, Alger,1972.
95. André labarthe . **document sur le pétrole de Sahara** . 1957
96. Charles de galland **; Alger et l Algérie** . imprimerie algérienne . alger . 1924 .
97. Cote marc . **l' espace algérien** .o.p.u. paris .
98. Daumas : **le Sahara algérien** . paris . 1845 .
99. Dictionnaire universel des noms propres . le petit robert . paris . 1981.
100. Estoublon et lefebure : **code de l'Algérie (1830 /1895)** , Jourdan . éditeur a Alger . 1896 .
101. Graulle. E**. Insurrection de Bouamama**, édition militaire Henri Charles-lavauzelle. Paris 1905.
102. Hamza Boubakeur , **Un Soufi Algérien Sidi Cheik**, éditions Maisonneuve et larose, Paris 1990.
103. Iuchaire (françis) : **drit d outre –mer** . paris . 1959 .
104. Lyautey, **Vers le Maroc, lettres du sud oranais 1903-1906** , librairie Armand colin, Paris 1937.
105. M . merloi : **l'organisation administrative de l'Algérie** ; 3 editeur et imprimerie amanguin . Blida . 1960 .
106. Maie André **: l'ermite du grand désert** . le père de faucauld . impremerie fournir . toulouse . 1973 .
107. Max marchand **; histoire abrégée de l'Algérie** . paris sahara- mars 1957 .
108. Réne bazini : **charles de faucauld** . libraire plon . 1925.
109. Unknow author **; progress in the Algerian sahara** . bulletin ot the American geographical society . 1908 .
110. Yves lacoste ; André nouschi et André prenant . **l'Algérie passe et présent** . ed . societe . paris . 1906.

فهرس الأعلام والأماكن

أولا: فهرس الأعلام:

– أ –

– ب –

- ت -

- ج -

- ح -

- ر -

- س -

- غ -

- ف -

- ق -

- ك -

ثانيا: فهرس الأماكن:

– أ –

- ب -

- ك -

- ل -

- م -

الفهرس

فهرس المحتويات: